قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها



تربية الطفل
ومبادئ علم النفس

ألفه

بتكليف خاص من وزارة المعارف

إملي عبد المسيح
مفتشة بوزارة المعارف

محمد كامل النحاس
مدرس بمعهد التربية للبنات

باهية بيومي سليمان
مدرسة بمعهد التربية للبنات

الدكتور أحمد شاهين
طبيب ومدرس بمعهد التربية للبنين

حقوق هذه الطبعة محفوظة للمؤلفين

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر لصاحبها محمود الخضري

[illegible]٤٨

مقدمة

إن التربية القويمة هى أعظم مايحتاجه أى شعب فى أى عصر حتى ينهض ويسمو إلى أعلا الدرجات .

ذلك لأن التربية تتعهدالنشء منذ أن يوجدوا فى هذه الحياة ، حتى يجتازوا مراحل نموهم أقوياء الجسم ، أصحاء العقل ، كاملى الخلق ، فيكوّن مجموعهم شعبا قويا عظيما .

ولقد فكر الناس فى وسائل التربيـة منذ أن وجدوا على سطح البسيطة . واختلفت وسائلهم تبعا للأغراض السائدة التى وضعها المربون وأولو الأمر نصب أعينهم ، فى عصور الإنسانية المتعاقبة .

ففى العصور القديمة ، لم يكن غرض التربية أكثر من أن يُمَهِّد للإنسان سبل العيش ، والحصول على الطعام ، واتقاء شرور الأخطار فى الحياة .

ثم تعقد الغرض وسما عنـد ما تكونت مجتمعات منتظمة اندمج فيها الإنسان وصار له بها وظيفة خاصة . واصطبغت أغراض التربية بما تكوّن فى هذه المجتمعات من مثل عليا . فكان غرض التربية عند بعض القوم أن ينشأ الإنسان نشأة حربية . ولذلك اتجهت أساليبها نحو تكوين الفرد تكوينا حربيا بتقوية جسمه ، وزيادة تحمله . وكان غرضها عند البعض الآخرين أن ينشأ نشأة دينية ، فأخذت التربية إذ ذاك مسالك روحانية ، وعملت على أن يرقى الفرد فوق الماديات .

وفى القرن الثامن عشر علت صيحات العلماء ضد التعصب فى التربية ، ونادوا بوجوب اعتبار الفرد إنساناً من جهة ، وإنساناً اجتماعياً من جهة

أخرى ، فينبغى لذلك أن تتكون فيه شخصية خاصة على أساس من ميوله ونزعاته ، حتى ينعم فى هذه الحياة ويسعد . كما يجب ان تكون هذه الشخصية اجتماعية ليحيا سعيداً فى مجتمعه ، ويعمل لرقيه .

ولقد أدت تلك الصيحات إلى دراسة الفرد دراسة تامة ، والبحث فيما ورثه من قوى ، وفى العوامل التى تؤثر فيه حتى تستطيع التربية فى ضوء كل هذا أن تشيد صرحه على أساس عملى متين ، لا على افتراض الفروض وإقامة النظريات العامة . وتكوّن من مجموع هذه الدراسات والأبحاث علم النفس الحديث الذى تستقى منه التربية الجديدة أساليبها ووسائلها ومناهجها .

تلك هى نواة بحثنا فى مؤلفنا « تربية الطفل ومبادىء علم النفس » الذى نتقدم به إلى جميع المربين . ولقد تكلمنا فيه عن التربية وأقسامها وعواملها المختلفة ، وعن علم النفس ومباحثه وميول الفرد وما يصيبها من تغير وتطور ، حتى يستطيع المربى أن يقف على تكوين الطفل بوجه عام ، وأن يعرف أهم ما يؤثر فى ذلك التكوين ، كيما يأخذ منه بما يُحدث فى الصغير أحسن الأثر وأطيبه .

ثم بحثنا فى الطفل وكيفية تهذيبه وتربيته حتى ينشأ نشأة قويمة ؛ كذلك تكلمنا عن طرق إصلاحه إن حاد عن الطريق القويم .

ونرجو أن نكون قد وُفِّقْنَا بفضل الله إلى إفادة كل من يهمهم أمر الطفل من آباء وأمهات ومعلمين .

١٦ يونية سـنة ١٩٣٨ — المؤلفون

الباب الاول

التربيـــــة

معناها . أهميتهـــا للفرد والمجتمع .

أنواعها ، وعواملهـــا .

معنى التربية

لما كانت التربية مرتبطة بالحياة من كل نواحيها ، وكان رأى الناس فى الحياة يختلف باختلاف وجهة نظر كلٍّ إليها ، اختلف كذلك المفكرون فى أمرها . فبعضهم يعتبرها إعداد الفرد للقيام بواجباته فى المستقبل ، وإدراك الغاية التى ينبغى له الوصول إليها . . كأن يُهَيَّأ لأن يكون طبيباً أو مدرسا . وبعضهم يعتبرها عملية يراد بها إظهار القوى الباطنة الكامنة فى كل فرد ، واستثمارها لمصلحته ومصلحة المجتمع ، كالانتفاع من غرائز الطفل وذكائه . هذا وكان كثير من المفكرين قديما يعتقدون أن الشخص يولد وفى رأسه قوى متعددة كالحس والإدراك والذاكرة والحكم والاستنباط وغيرها . وكانت وظيفة التربية عندهم تدريب تلك القوى بتكرار تمرينها بواسطة مواد التدريس المختلفة .

أما علماء التربية اليوم فيعتبرونها عملية نفسية ، ترمى إلى إحداث أفضل ما يمكن من التغيير والتهذيب فى طبيعة الإنسان ، لينتفع من ذلك فى حياته على وجه يجعله فردا صالحا للمجتمع ونافعا لنفسه . والمقصود بطبيعة الإنسان ، ماوهبه الله تعالى من غرائز وقوى واستعدادات ونزعات مختلفة . فغرض التربية اليوم ينحصر فى تهذيب الغرائز والسمو بها إلى مستوى راق ، وتدريب القوى والاستعدادات الطبيعية تدريبا ملائما تعود فائدته على الفرد والمجتمع معا .

وتشمل التربية جميع المؤثرات التى تعمل على تغيير سلوك الإنسان الفطرى ، ورفعه إلى مستوى الإنسان الراقى ، وذلك بإعداد البيئة إعدادا صالحا ، وتعديلها تعديلا متزنا ، يكفل للفرد النمو الطبيعى مع التهذيب

الملائم ، والتدريب المناسب ، ليرقى جسما وعقلا وخلقا ، ويصل بالتدريج إلى أقصى ما يستطيع الوصول إليه من الكمال ، فيسعد فى حياته الفردية والاجتماعية على السواء .

أهميتها للفرد والمجتمع :

يولد الكائن الحى مزودا بكثير من الغرائز الفطرية ، والميول المختلفة ، والقوى المتنوعة . ومن هذه الغرائز غريزة المحافظة على النوع ، وتشمل التناسل والأبوة والأمومة ومحبة الصغار وحمايتهم .

فكل إنسان أو حيوان يسعى لبقاء جنسه ، والمحافظة عليه من الانقراض ، بدافع غريزى قوى ، ثم هو يحتفظ بصغاره يدافع عنها ويحميها ويعنى بها ، حتى تصبح قادرة على القيام بكل ما تتطلبه حياتها .

فالحيوان يتعهد صغاره بالرضاعة ، ثم يمرنها على البحث عن الغذاء ، والدفاع عن النفس ، إلى غير ذلك ، حتى تسلك السلوك المناسب لحياتها بدون مساعدة الوالدين . وكلنا نلاحظ أن مدة دربة الحيوان وتربيته غير طويلة ، ولا تستلزم مجهودا كبيرا من الوالدين . وذلك لأن غرائز الحيوان ناضجة منذ ولادته . كما أنها ثابتة إلى حد محدود . بعكس الإنسان ، الذى هو أطول الحيوانات طفولة ، وأحوجها إلى التربية . فهو الكائن الحى الذى يخلق عاجزا جاهلا محتاجا إلى من يحوطه برعايته ، ويقوده إلى الصراط السوى . ثم يتدرج فى القدرة والعلم حتى يبلغ ما أعد له من الكمال على حسب استعداده ، ومقدار العناية بتربيته .

ولكى نفهم مبلغ عجز الطفل فى سنواته المبكرة وأهمية تربيته ، نذكر هنا شيئا عن حياته فى خلال السنوات الثلاث الأولى :

يخلق الطفل ضعيف الجسم والعقل ، ناقص الإدراك والفطنة ؛ لا يؤتى

الكمال دفعة واحدة ، وإنما يصل إليه تدريجا بالتربية الصحيحة والتعهد الصالح . وتتفاوت درجات نموه وكماله على حسب استعداده . وفى خلال السنوات الثلاث الأولى ، تحدث سلسلة من التغييرات تتفاوت فى السرعة والبطء . فإذا نظرنا إلى أعضاء جسم المولود ، وجدناها ناقصة غير مستكملة لنموها . ولا نجد بينها من التناسب ما نجده فى أجسام الكبار . فمثلا نسبة حجم الرأس إلى الجسم كله . تكون أكبر بكثير فى الطفل منها فى البالغ . غير أن النمو فى هذه المرحلة الأولى من الحياة يكون سريعا جدا .

هذا من جهة تكوين الجسم والأعضاء . أما الحواس ، فكلها موجودة ، إلا أنها لا تستطيع الإدراك دفعة واحدة بعد الولادة مباشرة . أما حركات الأعضاء ، فالطفل فى البداية لا يكون قادرا إلا على بعض حركات منعكسة وغريزية كالمص والبلع فى أثناء الرضاعة ، وتحريك الأصابع والجفون . وذلك لأن أعصابه وعضلاته لا تخضع فى هذه المرحلة لسلطان إرادته ، إذ أن مواطن المخ حينئذ لا تكون ناضجة . ثم يستطيع القيام بالحركات الإرادية تدريجا ، فيحرك يديه ورجليه حركات إرادية غير منتظمة . ثم يستطيع استبقاء رأسه وجذعه معتدلين ، ويتمكن من تحريك يديه ورجليه حركات كثيرة . أميل للنظام من الأولى . ثم بعد ذلك يتعلم الزحف على يديه ورجليه ، ثم المشى بعد عناء كبير ، والانتقال من مكان إلى آخر . مما يساعد على اتساع دائرة تجاربه وخبرته ، بتأثير البيئة التى يعيش فيها ، والتربية التى يحصل عليها .

ويتأثر الطفل فى هذه المرحلة بكل ما حوله من المؤثرات الحسنة أو الرديئة ، لأنه مستعد لتقليدها جميعا ، دون أن يميز بين ما حسن منها وما قبح . فهو قابل لأن يتشكل على الوجه الذى نشاء ، كما تتشكل العجينة اللينة فى القالب الذى يروقنا .

فعلى المربى أن يعنى بتربية حواس الطفل ، وأن يكون قدوة حسنة له فى كل شىء ، لانه مرآة تنعكس عليها صورة كل معاشريه . وكلما نمت قواه ومداركه العقلية بتدريب حواسه المختلفة والعناية بها ، ازدادت رغبته فى فهم ما حوله تلبية لغريزة حب الاستطلاع المنبثّة فيه بالفطرة . فتراه يسأل عن كل شىء يقع عليه بصره ، ويمسك كل ما تتناوله يداه ، ويحاول أن يحله ويركبه ليكشف عن سره ، ويقف على حقيقته ويدرك ما خفى عنه .

من هذا يتضح لنا أن حياة الطفل ليست إلا سلسلة تغيرات متفاوتة فى السرعة والدرجة ، من حيث النمو الجسمى والعقلى . وأهم ما يجب علينا عمله هو تهيئة البيئة تهيئة مناسبة لتربية الطفل ، ثم العناية باختيار ما يناسب حال نموه ، لنسلك السبيل القويم فى تربيته التربية الصحيحة .

هذه نظرة عامة فى حياة الطفل الأولى ، تظهر لنا التغييرات التى يمر فيها فى سنواته المبكرة . ومنها نرى أن التربية ألزم للإنسان منها للحيوان ، إذ هى ضرورية لرفاهية الفرد والمجتمع .

وقد جعل الله الإنسان أطول الحيوانات طفولة ليكون لديه من الوقت ما يمكّنه من التعلم بنفسه ، بما يقوم بة من التجارب العديدة فى لعبه ومرحه ، وبما يكتسب من خبرة آبائه الذين يهيؤن له الجو الصالح الذى يشبع رغباته ويضمن له عيشة رغيدة فى مستقبل حياته ، مستغلا فى ذلك ما زوّد به من القدرة على التعلم ، والاستفادة من الخبرات السابقة .

أنواع التربية :

لما كانت التربية هى عملية التأثير بجميع المؤثرات المختلفة للوصول بالطفل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من الكمال كانت تشمل ما يكفل : —

(١) نمو جسمه (التربية الجسمية)
(٢) تثقيف عقله (« العقلية)
(٣) تهذيب نفسه (« الخلقية)
وهذه هى أنواع التربية الثلاثة .

وهناك تقسيم آخر لبعض المربين . فإنهم يقسمون التربيـــة إلى فردية واجتماعية . وتشمل التربية الفردية عندهم الثلاث الأنواع السالفة الذكر (الجسمية والعقلية والخلقية) .

التربية الجسمية : وهى العمل على تنمية الجسم نموا طبيعياسليما ، وتقويته حتى يستطيع أن ينهض بالأعمال التى تفرضها عليه الحياة الشخصية والاجتماعية ، وليقاوم الأمراض المتعددة . فسلامة الجسم ضرورية للعمل عقليا ، كما هى ضرورية لسعادة المرء وهنائه .

وليست التربية الجسمية هى العناية بالرياضة البدنية فحسب ، بل تشمل كذلك المنزل ونظام بنائه وتهويته . كما تشمل الملابس والأغذية والنوم والراحة وعدم الإرهاق وما إلى ذلك .

التربيـة العقلية : وهى التسلح بسلاح المعارف المختلفة المفيدة للجهاد فى سبيل الحياة ، وترقية العقل من جميع نواحيه ، وتدريبه تدريبـــاً منظما على التفكير الصحيح . وتمرين الحس على دقة التمييز ، وعلى إدراك الأشياء المحسة وتنظيم الذاكرة ، والتزويد بالمعلومات النافعة المناسبة لعقول الأطفال وحالة نموهم من غير إرهاق ، وتهذيب الخيال ، إذ هو عامل مهم من عوامل الابتكار والاختراع ؛ كذلك تعويد الطفل العادات الفكرية الحسنة .

والتربية العقلية لا تكون ناجحة إذا لم تكن حافزة للطفل على أن يبذل ما يستطيع من الجهد والتفكير فيما يعرض عليه ، وما يصادفه من مصاعب الحياة ، والعمل على التغلب عليها بنفسه .

التربيـة الخلقية : هى تربية ترمى إلى تعويد الطفل جميل الصفات كحب العمل والشجاعة والاعتماد على النفس والصبر والتعاون وغير ذلك ، فهى تعمل على ما يأتى :

١ — تعديل الميول والغرائز الفطرية .

٢ — إكساب الطفل عادات وميولا جديدة مناسبة لحاله .

٣ — تكوين عواطف سامية تجعل الفرد يميل إلى عمل الخير ، ويبتعد عن الشر ليتمكن من العيشة الهنيئة فى حيـــاته . وبذا يعمل على ترقية المجتمع مضحياً فى سبيل ذلك بشىء من حريته ، مفضلا مصلحة الجماعة على مصلحته الشخصية .

هذا وإن أقسام التربية الثلاثة ليست منفصلة بعضها عن بعض ، بل هى متصلة أتم الاتصال . فالتربية العقلية الصحيحة ، هى أيضا تربية خلقية ، لأن الأخلاق مظهر من مظاهر العقل . كذلك تأثير حالة الجسم فى العقل واضحة . ولو اقتصرت عنايتنا على التربية الجسمية ، لنشأ الطفل كالحيوان ؛ أو على التربية الخلقية وحدها ، لأصبح الطفل زاهدا فى الحياة ؛ أو على ترقية العقل فقط ، لضعف الجسم حتى لا يقدر على القيام بما يتطلبه العقل .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر كلمة عن التربية الاجتماعية لأن بعض المربين يعلق عليها أكبر الآمال ، لضمان سعادة الفرد وسعادة أمته . ذلك لأن الفرد إنما يعيش للمجتمع وبالمجتمع . فهو وحده بناء الامة التى هى منبع خيره وسعادته . والأمم بأفرادها إن عملوا علت وارتفعت ، وإن أهملوا ضعفت واستكانت .

ومن أنصار هذا الرأى « جون ديوى » ، المربى الأمريكى الذى تتمشى

فلسفته مع روح العصر الذى نعيش فيه . فالتربية فى نظر هذا العالم عملية اجتماعية ، الغرض منها :

(١) النمو وفقا للطبيعة ، (٢) الثقافة والتهذيب ، (٣) التكوين الاجتماعى

ولا بد من أن ترتبط هذه الغايات بعضها ببعض ، كى تؤهل الطفل لأن يكون عضواً متوافقاً مع المجتمع الذى ينتمى إليه ، والبيئة التى يعيش فيها ؛ كما يجب أن تكون المدرسة المكان الذى يحيا فيه الطفل الحياة الطبيعية الملائمة لسنه وعقله ، وأن تكون فى الوقت نفسه على اتصال وثيق بالمنزل والحياة العامة .

عوامل التربية :

كل مؤثر يؤثر فى الفرد . ويجعله أصلح للمعيشة الطبيعية فى بيئته ، يعد عاملا من عوامل التربية والعوامل نوعان :

١ — عوامل عامة : وهى التى لا سيطرة لنا عليها فى تربية الطفل ، مثل الوراثة وصحة الوالدين ومناخ القطر وموقعه ومستوى أهل الطفل المادى والاجتماعى وغير ذلك ، وهذه العوامل تارة تنفع وأخرى تضر ؛ ولهذا يجب علينا أن ندرسها . وأن نتدخل فيها تدخلا فعليا بقدر الإمكان حتى يتمكن الطفل من أن يستفيد منها ، وبذا يتجه المجتمع كله فى تطوره إلى وجهات صالحة .

٢ - عوامل خاصة : وهى مختارة من بين العوامل العامة الكثيرة ، بقصد التأثير فى نفوس النشء ، لإحداث تغييرات معينة لمصلحة الفرد والجماعة ، ومثلها البيت والمدرسة والمجتمع .

الباب الثاني

التربيـــة الجسمية

شروط النمو الجثماني الصحيح . الغذاء الصالح
للطفل . ضرورة الهواء النقي والرياضة للنمو .

شروط النمو الجثمانى الصحيح

علاقة الطفل بأمه وتأثير ذلك فى صحته

ان علاقة الجنين بأمه دقيقة معقدة لا نستطيع مهما حاولنا أن ندرك مداها، أو نعرف كنهها على وجه التمام، لأنها أدق كثيرا مما نتصور. غير أن ما قد يظهر على الطفل أحيانا من شذوذ جثمانى، ومايلحقه من أمراض، أوعلى العكس من ذلك، اذاكان قوى البنية سليم الجسم، يساعدنا على تفهم هذه العلاقة الى حد معين، ويحملنا على اعتبار الأم قالبا انسانيا يصب فيه الجنين عجينة لينة فيتشكل الى حد محدود. ويتعين لنا من ذلك أن نوع الحياة التى تحياها الأم، وكل ما تقوم به من مختلف الأعمال، له كبير الأثر فى تكوين جنينها. فلاغرابة إذن أن تكون هى المسئولة وحدها أمام الله والهيئة الاجتماعية عن هذه الوديعة التى منحها الله اياها.

من أجل هذا يجب عليها أن تتحمل هذه المسئولية بصبر وجلد، وأن تؤدى واجباتها المقدسة نحوها. ولتكن على ثقة من أن تربية الطفل تبدأ فعلا قبل الوضع؛ فعليها إذن أن تقوم بكل ما تستلزمه هذه التربية من العناية التامة بنفسها فى النواحى الآتية: —

١ — الناحية الصحية

والمقصود بذلك أن تكون صحيحة الجسم سليمة من الأمراض، وأن تريح جسمها فتعطيه حقه من النوم والسكون، وأن تدخر قواها فلا تقوم بأعمال مضنية، أو حركات مجهدة. وأن تتجنب ما يسبب تعبها كالسفر الشاق، والرحلات الطويلة ونحوها. غير أنه لاينبغى مطلقا أن تركن الى

البطالة والخمول والكسل ، لأن هذه قد تُنتج أمراضا عصبية ، زيادة على أنها تفسح المجال للأوهام والخيالات التى قد تؤثر فى الجنين تأثيراً سيئا . بل يجب عليها ممارسة الرياضة البسيطة ، كالتنزه والمشى والقيام بعمل تمرينات سهلة لا تستلزم مجهودا كبيرا ، والتسلى بأنواع التسلية البريئة ، كأشغال الأبرة أو مزاولة بعض الفنون الجميلة ان استطاعت ، أو غير ذلك مما تقطع به وقتها فى النافع المجدى ، ونعود فنكرر ضرورة تجنب كل ما ينهك قواها ، ويؤثر على أعصابها تأثيرا سيئا قد يسبب ضررا فى تكوين جنينها .

هذا ويجب عليها العناية التامة بغذائها بمعنى أن يكون بسيطا ومضمون الفائدة ، وأن تتخذ كل ما من شأنه أن يجعل جهازها الهضمى يسير بانتظام تام ، خشية الاضطرابات والأمراض .

ويجب أن تكون معيشة الأم هادئة بعيدة عن الضوضاء والجلبة لأن هذا مما يحمل النفس على الاستقرار والهدوء . فاذا أضفنا إلى ذلك التمتع بالهواء النقى والشمس الساطعة ، فانها تجنى صحة جيدة ونفسا هادئة مستقرة ، وهذا أول ما ننشده ونأمل أن تتمتع به كل حامل .

ولا يفوتنا التنويه بما تفعله بعض الأمهات تلبية لدواعى الزى الحديث مما قد يكون له أثر ظاهر فى تكوين الجنين . فالملابس الضيقة تحدث ضغطا على البطن ، ومن ثَمَّ على الجنين ، فيحول دون نموه الطبيعى . ولهذا يجب تجنّب هذه الأنواع من الملابس التى تضر بالجنين ، وتجلب المصاعب عند وضعه .

هذا ومن مستلزمات الصحة الجيدة ، دوام المحافظة على النظافة التامة سواء أكان ذلك فى المنزل أم فى الجسم أم فى الملابس . والأم فى حاجة كبيرة إلى الاهتمام بذلك .

٢ — الناحية العقلية

ليس من شك فى وجود تلك العلاقة المتينة بين الأم وجنينها وليست

هذه العلاقة قاصرة على علاقة الجسم بالجسم أو الدم بالدم فحسب ، بل هى تتعدى هذا إلى العقل والأخلاق . فسكون الأم وهدوؤها واستقرار حالها وراحة فكرها وإحاطتها بجو من السرور والفرح ، يريح أعصابها ومن ثم عقلها . أما الانفعالات والأوهام والخيالات الممقوتة وكثرة التفكير ونحو ذلك ، فإن أثرها السيء فى أعصاب الأم ينتقل إلى الجنين البريء ، ويؤثر فى أعصابه ، ويسبب له الاضطرابات العقلية .

فعليها إذن أن تتجنب كل ما يجهد فكرها . وأن تدع التفكير والقلق والسهر ، وأن تتسلى بشتى الطرق المسلية ، كالمطالعة السهلة البسيطة ، وممارسة الأعمال اليدوية المفيدة ، إذ أن هذا لا يريحها فقط ، بل يؤثر تأثيرا حسنا فى تكوين عقل الطفل الذى تنتظره .

٣ — الناحية النفسية

عرفنا أن علاقة الأم بجنينها واسعة النطاق . وقد سبق القول أنها تشمل الناحيتين الصحية والعقلية . ونريد الآن أن نقول أنها تشمل الناحية النفسية كذلك . فأخلاق الطفل متعلقة بانفعالات أمه ، ولذلك كان واجبا عليها الاحتراس مما يثير فيها شديد الانفعالات ، فتتجنب كل ما يخيف ويرعب ، لأن ذلك ينشئه مضطربا يذعر لأقل مفاجأة ، كما يجب أن تبتعد عن النظر إلى الأشياء المرعبة ، وعن رؤية الحوادث المفجعة ، والكوارث المؤلمة ، لأن ذلك يجعل من جنينها طفلا سريع التأثر ضعيف الإرادة .

وليست الوقائع وحدها هى التى تؤثر فى النفس فتهيج الأعصاب ، بل إن لقراءة القصص المملوءة بالحوادث كالقتل أو الانتحار أو الروايات البوليسية ، تأثيراً سيئا جدا فى تهييج انفعالات الأم ، وكذلك سماع الأخبار المحزنة ، له أثر كبير فى استيلاء الكدر والألم عليها ، ولذلك كان عليها أولا ،

وعلى من يحيطون بها ثانيا ، الترفيه عن نفسها بقدر ما يمكن ، وعدم إثارة غضبها أو تكديرها حتى تكون دائما مسرورة هادئة .

ومما يزيد فى سرورها احاطتها بالصور والتحف الجميلة التى تبعث فى نفسها شعور الارتياح والاطمئنان ، ومثابرتها على التنزه والتفريج عن نفسها بشتى الوسائل الممكنة .

فإذا راعت الأم كل ما تقدم ، وقامت بكل شىء على الوجه الأكمل ، كانت الأيام كفيلة باظهار نتيجة حسنة موفقة فى تكوين وليدها .

ولنوجه نظرنا إلى الوليد وإلى واجب أمه نحوه ، ذلك الواجب الذى فرضته عليها الطبيعة ، وهو العناية بأمر تربيته تربية صحيحة تضمن له صحة جسمه وعقله ، وتهيىء له حياة طيبة ، وعيشة راضية فى مستقبله .

الحقيقة ، إن دائرة عمل الأم قد اتسعت وانتقلت من العناية بطفلها عناية غير مباشرة فى أثناء حمله ، إلى العناية والاهتمام المباشر بعد وضعه . فقد كانت من قبل تعنى بنفسها لتحفظ صحتها وصحة جنينها فى الوقت نفسه . أما الآن فقد أصبح طفلها وحده يحتاج إلى عناية مستقلة زيادة على موالاة العناية بنفسها ، ومراعاة غذائها وراحتها الجسمية والعقلية ، وإتقاء أسباب الأمراض التى تهدد حياتها فى ذلك الطور ، وتؤثر فى صحة وليدها الذى هو تابع لها فى غذائه .

هذا ومعظم وفيات الأطفال ناشىء عن جهل الأمهات بالتربية الحقة ، مع أن هذه التربية فى الشهرين الأولين ما هى إلا تمهيد لاطراد نمو الطفل نموا طبيعياً بحيث يأخذ مجراه الصحيح فى خلال هذين الشهرين ، مع المحافظة على الطفل من المؤثرات الخارجية التى قد تسىء إلى أعصابه وحواسه .

فكلنا يعلم أن العوامل الضرورية لنمو الطفل ونشاطه وحفظ كيانه هى الشمس والهواء النقى . والطفل بطبيعة الحال أشد تأثرا بتقلبات الجو من

الكبار . ولذلك يجب أن تكون حجرته مستوفية للشروط الصحية إلى أكبر حد مستطاع . فالنوافذ ينبغى أن تكون كافية لدخول الشمس والهواء حتى يتمتع بأكبر قسط منهما ، وأن تكون نظيفة على الدوام . ومما يساعد على ذلك قلة أثاثها فنجعله يشمل فقط ما هو ضرورى ونافع للطفل .

والنوم حياة الطفل وكيانه ولا سيما فى حداثة سنه . فهو ينام كثيرا ولا يستيقظ فى حالته الطبيعية إلا عندما يشعر بالجوع . ولكن من الأطفال من يسترسل فى النوم إلى حد غـــير عادى ، وإذ ذاك يجدر بالأم أن تبادر بعرضه على الطبيب ، ليبحث عما قد يكون به من العلل التى تسبب ذلك النوم الطويل . ومن الأطفال من يكثر البكاء فيمنعه ذلك عن التمتع بالنوم الذى هو فى أشد الحاجة اليه كما قدمنا ، وهنا يجب أن تتحرى أسباب ذلك وأن تعمل على ازالتها .

والطفل ينام نحو ٢٠ ساعة فى الشهور الأولى . وتقل هذه المـدة شيئا فشيئا كلما كبر فهى من ٤ — ٨ سنة تكون ١٢ ساعه تقريبا . ومن ٨ — ١١ تنقص الى ١١ ساعة تقريبا ، وهكذا . ويجب أن يتمتع الطفل بالمدة اللازمة له من النوم حتى يتكون جسمه تكوينا صحيحا ، وينمو نموا مطردا وتهدأ أعصابه ، ويقوى على مقاومة الأمراض .

وعلى الأم أن تعود طفلها النوم فى أوقات معينة ، لما لذلك من الأثر الفعال فى مستقبل حياته .

ويجب ألا ننسى أن جسم الطفل رقيق سريع التأثر ، يحتاج إلى عنايه مستمرة بنظافته أولا فأول، لأن تراكم القاذورات عليه ولا سيما عند الثنيات، يؤلمه ألما شديدا ، وينتهى غالبا باصابة الجسم أو تسلخ الجلد . فاذا تراكم العمص فى عينيه مثلا ، سبب التهابا قد يؤدى إذا أُهمل ، إلى إصابة العين نفسها ، ويترتب على ذلك ضعف البصر أو فقده . وكذلك الأذن فان

تراكم مادة الصملاخ بها ، قد يؤدى الى صمم وقتى يزول بازالتها ، وقد يؤدى الى نتائج أكبر خطرا .

أما الفم ، فتجب العناية بنظافته لأنه طريق الطعام إلى المعدة . ولما كان الطفل لا يقوى على « المضمضة » بنفسه ، كان واجب الأم أن تنظف له فمه قبل الرضاعة وبعدها ، حتى إذا ما أصبح قادرا على تنظيف فمه بنفسه ، أحضرت له فرجونا جيدة النوع ، وعودته تنظيف فمه وأسنانه صباحا ومساء مع المراقبة والارشاد .

هذا ويجب تعويد الطفل العادات الصحية الحسنة ، كغسل اليدين قبل الأكل وبعده ، وعدم وضع الأشياء فى الفم ، وما إلى ذلك .

والأنف طريق الهواء إلى الرئتين ؛ فيجب أن يكون خاليا من الأقذار التى قد تسده ، فيضطر الطفل إلى التنفس من الفم وهى عادة خطرة . ولذلك يجب أن نعمل دائما على نظافة الأنف وإزالة ما يتراكم به أولا فأول ، حتى يصل الهواء إلى الرئتين نظيفا نقيا .

أما باقى أجزاء الجسم ، فيجب غسلها من حين لآخر مع الاهتمام بالثنايات كتحت الأبط ، وبين الفخذين وأسفل الرقبة ، وكذا فتحات الإخراج ، لأنها طالما تتلوث ببول الطفل أو برازه ، وكلاهما إذا ترك سبب التهاب الجلد . لذلك تجب مراعاة النظافة التامة فيها ، ومسحها بأحد المساحيق الجيدة النوع .

وإذا ما ترعرع الطفل وجب على الأم تعويده النظافة وإرشاده إلى اتباع القواعد الصحية بنفسه ، ومراقبته مراقبة دقيقة حتى يصبح ذلك عادة فيه .

ملابس الطفل

يجب قبل كل شىء ألا ننسى أن الملابس بنوعها ، لا بكثرتها . لأن الكثرة الزائدة تضايق الطفل ، وتعوق نموه الطبيعى ، وتعرقل عملية التنفس وغيرها

من الوظائف العضوية الضرورية . وكلما كانت الملابس بسيطة ملائمة للجو ، تحقق الغرض المقصود منها ، وهو المحافظة على الطفل لا الاضرار به . ونحن فى جو دافىء كجو مصر لا يحق بنا الخوف على الأطفال منه . حقيقة أن الطفل يولد ضعيفا سريع التأثر ، ولكن هذا ليس معناه أن نبالغ فى التحفظ إلى الحد الذى يصل إليه بعض الناس . ونحن الآن فى عصر يجب أن نقلع فيه عن العادات القديمة الضارة . فلا داعى إذن لتقميط الطفل ، وحصر جسمه فى مختلف اللفائف ، وتقييد أطرافه ، فليس فى ذلك أدنى فائدة بل فيه ضرر شديد ، لأن هذه الأشياء تضغط على جسمه اللين ، ومن ثم على أجهزته الصغيرة الضعيفة فتضعف حركتها ، وتعوق نموها ، فيبدو الطفل ساكنا مكتوفا محروما مما يتمتع به الأطفال السعداء من حرية وسعة وخفة فى الحركة . والواجب بطبيعة الحال أن تتطور الملابس بتطور نمو الطفل ، كما يجب أن يكون ما يلاصق الجسم منها ناعما . أما المعاطف والأغطية الخارجية : فيجب ألا تُستعمل الا اذا استدعى الجو ذلك . وعلى الأم الاعتدال فى إنتقائها .

تغذية الطفل

لا يخفى على أحد ما لرضاعة الأم من المزايا العديدة . فكلنا يعرف ذلك الغذاء الطبيعى الذى أعده الله لهذا الوليد الضعيف . وحسبنا أن جميع الأمهات يرتحن إلى إرضاع أطفالهن . أما اذا عجزت احداهن عن اداء مهمتها لسبب من الأسباب ، فانها تلجأ إلى مرضع تقوم مكانها بذلك ، أو تعمد إلى تغذيته بالألبان المختلفة .

ولبن الأم هو أوفق غذاء للطفل من يوم ولادته إلى وقت فطامه . ولا غرابة ، فتركيبه يتدرج مع نمو الطفل شيئا فشيئا ، وفوق هذا فهو خال

من الجراثيم التى قد يحتويها ألبان الحيوانات . وهو سهل الهضم زيادة على أنه يحتوى على جميع العناصر اللازمة لتكوين جسم الطفل . وفضلا عن ذلك فانه يصل مباشرة الى فم الطفل نظيفا فى درجة حرارة ملائمة .

وفى الحالة التى تلجأ الأم فيها إلى مرضع لوليدها ، يجب أن تحرص أشد الحرص على انتقائها سليمة من العلل والأمراض ، وأن تعنى بغذائها وراحتها ونزهتها عناية خاصة ، لأن صحة الطفل مرتبطة بصحتها .

أما مواعيد الارضاع ، فيجب أن تسير على نظام خاص ، لنأمن على الطفل من سوء الهضم والاضطرابات المعدية أو المعوية التى تنتج من إرضاع الطفل فى مواعيد غير منتظمة ، أو لمجرد إسكاته عند البكاء . والواجب دائما تحديد عدد الرضعات والفترات التى بينها ، مراعين فى ذلك سن الطفل وحالته الصحية من الضعف أو القوة ، وحالة لبن الأم أو المرضع من الكثرة أو القلة ، ومن الكثافة أو الخفة ، وقدرة الطفل على الامتصاص وسرعته فى الهضم . ومادام الطفل يتمتع بالنشاط ويبدو عليه السرور ، ويرتاح فى النوم والاستيقاظ ، وما دام ممتلىء الجسم نضير اللون ، كان لنا أن نطمئن إلى صحة النظام المتبع فى إرضاعه ، وكفاية الرضاعة لجسمه ، وموافقتها لسنه وحالته .

وعند ما تفكر الأم فى فطام طفلها بعد ما يقل لبنها ويتغير فى حوالى الشهر الثامن تقريبا ، فالواجب الاستعاضة عن بعض الرضعات بأكلات صناعية يتوفر فيها سهولة الهضم واشتمالها على المواد اللازمة للنمو ، وأن تكون ملائمة لسن الطفل وحالته الصحية ونوع الجو أيضا .

وعلى الأم إذا ما كبر طفلها أن تعوده آداب المائدة ونظام الأكل ، وغير ذلك من مختلف العادات الصحية ، كنظافة الفم والأسنان ، وغسل اليدين قبل الأكل وبعده ، والمحافظة على مواعيد الغذاء ، ويمكن للأم أن تبدأ بغرس هذه العادات من السنة الثانية من حياة الطفل .

اضطراب نمو الطفل بسبب سوء التغذية

ذكرنا فيما تقدم أن هناك وسيلة أخرى لإرضاع الطفل من غير ثدى أمه ، تلك هى إرضاعه من الألبان الطازجة والمجففة .

فى مثل هذه الحالات تجب مراعاة القواعد الصحية فى التغذية الصناعية مراعاة تامة ، والحرص على عدم تلوث اللبن بالجراثيم التى قد تصل اليه من الحيوان الذى يأتى منه ، أو من الماء الذى يضاف اليه ، أو الآنية التى يوضع فيها .

وقد يتسبب عن سوء التغذية ، أو نقص بعض مواد منها ، أمراض عديدة تهدد حياة الطفل . فالأملاح المعدنية مثلا ضرورية جداً لأنها تعمل على تكوين العصارات الهضمية ، وتقوية العظام والأسنان والأظافر . و«الفيتامينات» من أهم المواد التى يحتاج الجسم اليها ، فاللبن الذى يفقد الفيتامين يصير قليل الفائدة ان لم يكن عديمها . وقد دلت التجارب على أن فقد اللبن للفيتامين يؤدى بالأطفال الى الكساح ولين العظام ، كما يضعف مقاومتهم للأمراض الفتاكة . فالفيتامين هو القوة التى تجعل الجسم قادرا على الانتفاع بالغذاء ، لأنها تجعل الغذاء صالحا لتكوين الجسم ، فلا شك إذاً أن له أهمية عظيمة جداً فى نمو الطفل وحفظ صحته .

هذا وسوء التغذية يؤثر على تكوين الطفل العقلى ، لارتباط نمو الطفل الجسمى بالعقلى ، فقد يتسبب عنه التأخر فى المشى والكلام وغيرهما .

وهناك عادة ذميمة عند كثير من الأمهات ، وهى محاولة اسكات الأطفال الصاخبين بوضع الحلمات الصناعية فى أفواههم . وليس هناك من فائدة تجنيها الأم من وراء ذلك الا أن تسكت بكاء الطفل المرتفع الذى قد يكون متسببا

عن ألم فى جسمه، أو شعور بعدم الراحة . ولهـذه العادة أضرار كثيرة . فالحلمة التى يلتهمهـا الطفل تكون معرضة للهواء الملوث بالأتربة ، والذباب الحامل للجراثيم ، فيتعرض الطفل بسببها للعدوى بالأمراض . هـذا فضلا عن أن حركة الامتصاص هذه تشوه تكوين الفم والحلق .

وليس هذا كل ما يجب علينا أداؤه نحو صحة الطفل ، بل أن هناك علاوة على التغذية والنوم والملابس شيئا آخر له أثره الكبير فى تكوين الطفل وهذا الشيء هو ترويضـــه بكثرة ، ويكون ذلك بالخروج به إلى الخلوات والأمكنة الهادئة كالحدائق والبساتين ونحوها ، التى هى فى الواقع ميدان فسيح للتعرض للشمس ، ومجال واسع للاستمتاع بالهواء النقى العليل . على أن الواجب أن تتكرر هذه الرياضة يوميا ولا نحرم الطفل منها إلا فى حالات مرضه ، عندما يأمر الطبيب بذلك .

ويمكن أن يكون أول خروج الطفل بعد أسبوع تقريبا ، إذا ولد فى الصيف ، وبعد أسبوعين إذا ولد فى الربيع أو الخريف ، وبعد شهرين إذا ولد فى الشتاء . ويحسن جداً أن يكون ذلك فى عربته الخاصة إذا سمحت الحالة المالية بذلك . ويشترط فى العربة أن تكون ذات شكل بيضى ، وذات غطاء يمكن خفضه ورفعه حتى لا يتعرض الطفل للفح الشمس الوهاجة ، أو البرد القارس ، أو المطر أن تغير الجو فجأة . ويجب أن تأخذ الأم أو المربية من ملابس الطفل ما تستعمله لتغيير ما يبتل من ملبوسه ، وبذلك تتحاشى خطر بلولة جسمه ، وتضايقه فى أثناء نزهته .

ويجب أن نحرره من كل قيد يعوق حركة أطرافه كاللفائف ونحوها ، حتى يقوم بتلك الحركة التى تعتبر أولى تمريناته الرياضية . وعندما يستطيع الطفل المشى والجرى ، يجب أن نشجعه على ممارسة ذلك بقدر ما تسمح به قدرته فى غير ارهاق لقواه ، أى أننا نجمع بين ركوبه العربة الخاصة وبين

مشيه قليلا ، ثم نقلل من الحالة الأولى تدريجا ونكثر من الثانية .

ونعود فنكرر أنه من الواجب عدم اجهاد الطفل ، وأن اعطاءه الحرية فى الجرى والوثب والتنقل من مكان لآخر ، ما يكفل لنا تمرين أعضائه وتنشيط جسمه ودورة دمه وحركات تنفسه . وعندما يبلغ الطفل الرابعة أو الخامسة ، تستطيع أمه أو مربيته أن تدربه على أداء بعض تمرينات بدنية بسيطة جدا توضع فى قالب ألعاب شيقة ، تتضمن تحريك الأذرع والأرجل والرأس والوسط وغيرها . وأن فى ذهاب الأطفال إلى المدرسة سيرا على الأقدام ، ماهو كفيل بذلك . وليس من شك فى أننا إذا اتبعنا الارشادات السابقة ، نكون قد أدينا واجبنا نحو صحة الطفل ، وضمنا له إلى حد كبير نموا مطردا ، وجسما سليما صحيحا ، ونشاطا وقوة ، وقدرة على مقاومة الأمراض .

وزن الطفل

ومما يدلنا على أن الطفل يتمتع بصحة جيـــدة ، نضارة لونه ، وامتلاء جسمه ، وانتظام نومه ، وجودة شهيته ، وقلة مرضه ، وكثرة حركته ونشاطه وسروره ، وقلة بكائه ، وتقدم نموه ، وازدياد وزنه .

وهذه الظاهرة الأخيرة مقياس دقيق لنمو الطفل . ولذلك كان من أهم واجبات الأم المثـابرة على معرفة وزن الطفل بالضبط لتقارن دائما بين أوزانه فى الأوقات المختلفة ، وتتخذ الاجراءات اللازمة إذا استدعى الحال .

ويجب أن يوزن الطفل عاريا فى حجرة مغلقة النوافذ ، أو بملابس خفيفة على شرط أن يوزن بها كل مرة ، أو توزن هى على حدة لمعرفة زنتها بالضبط .

كذلك يجب أن يكون الوزن فى وقت معين ، وفى يوم معلوم من أيام الاسبوع بعد الرضاعة أو قبلها ، مثل ما حصل فى المرة الأولى . والغرض

من ذلك كله معرفة درجة نمو الطفل بالضبط ، حتى إذا شاهدنا نقصا فى الوزن ، بحثنا عن العلة التى سببت ذلك النقص . والعادة أن تكون البنات أقل وزنا من البنين الذين فى أعمارهن . وفى الصيف يقل النمو نسبيا ، ويظهر أثر ذلك فى الوزن . وكذلك فالطفل الذى يتغذى بالارضاع الصناعى يكون أقل وزنا من زميله الذى يتغذى بلبن الأم أو المرضع . وهذه ظاهرة يجب ملاحظتها عند الوزن .

ولا يفوتنا أن نذكر كلمة عن التسنين الذى هو حادث طبيعى فى حياة الطفل ومظهر من مظاهر نموه .

فالأسنان تظهر فى الطفل حوالى الشهر السادس أو السابع . ويتم بروز « الأسنان اللبنية » عندما يبلغ الطفل سنتين ونصف سنة من عمره . ولا داعى هنا الى الكلام عن عهد ظهورها بالترتيب ، أو موعد تبديلها بالاسنان الثابتة وانما نكتفى بأن نلفت أنظار الامهات الى أن ظهور الأسنان لا يستلزم مرضاً مطلقاً كما يتوهم الكثيرات منهن . وليس من المعقول أن يكون كل ما يصيب الطفل من الأمراض فى هذه الفترة ناتجاً عن التسنين . وكل ما يمكن أن يعترى الصغير ، هو تهيج فى الأعصاب قليلا . ومعنى ذلك أن يكون الطفل كثير البكاء ، قليل النوم ، متوعك المزاج عندما تقترب السن من البروز فى اللثة التى قد يعتريها الورم لهذا السبب . ويجب علينا تنظيف الفم جيداً بأحد المحاليل المطهرة الدافئة ، ومس اللثة المتورمة بقليل من المسكنات .

الباب الثالث

البيئـــــة والوراثه

البيئـــة

البيئة هي كل مايحيط بالانسان ، وكل ما يتصل بحياته ويؤثر فيه من وقت ولادته إلى أن يموت . فالبلد الذى يعيش الإنسان فيه ، والهواء الذى يستنشقه ، والغذاء الذى يأكله ، والتقاليد السائدة فى قومه ، والجماعة التى ينتمى اليها ، كل ذلك يعتبر بيئة له .

والبيئة نوعان طبيعية واجتماعيه .

فالبيئة الطبيعية تشمل جميع المؤثرات التى تعمل فى الفرد دون أن يكون له عليها سلطان ، ومثلها الموقع الجغرافى للمكان الذى يعيش فيه ، وأنواع الجو الذى حوله من حرارة ورطوبة وبرودة ، وصنف الماء الذى يشربه ، والهواء الذى يحيط به ، والمسكن الذى يأوى اليه .

والانســـان يتأثر إلى حد كبير بالبيئة الطبيعية . فسكان السواحل يختلفون اختلافا ظاهرا عن سكان المدن ، وأهل القرى أحسن صحة وأهدأ مزاجا من أهل المـدن ، والشعوب التى تعيش فى بلاد معتدلة أنشط عقلا وأقل انفعالا ، وأضعف تأثراً بالوجدان من تلك التى تعيش فى بلاد شديدة الحرارة .

والشخص الذى يأوى إلى منزل صحى توافرت فيـه أسباب الراحة ، يختلف اختلافا ظاهرا فى طباعه ووجدانه ومشاعره عن الشخص الذى يسكن فى بقعة مزدحمة لا يتوافر فيها الشمس ولا الهواء ولا الهدوء .

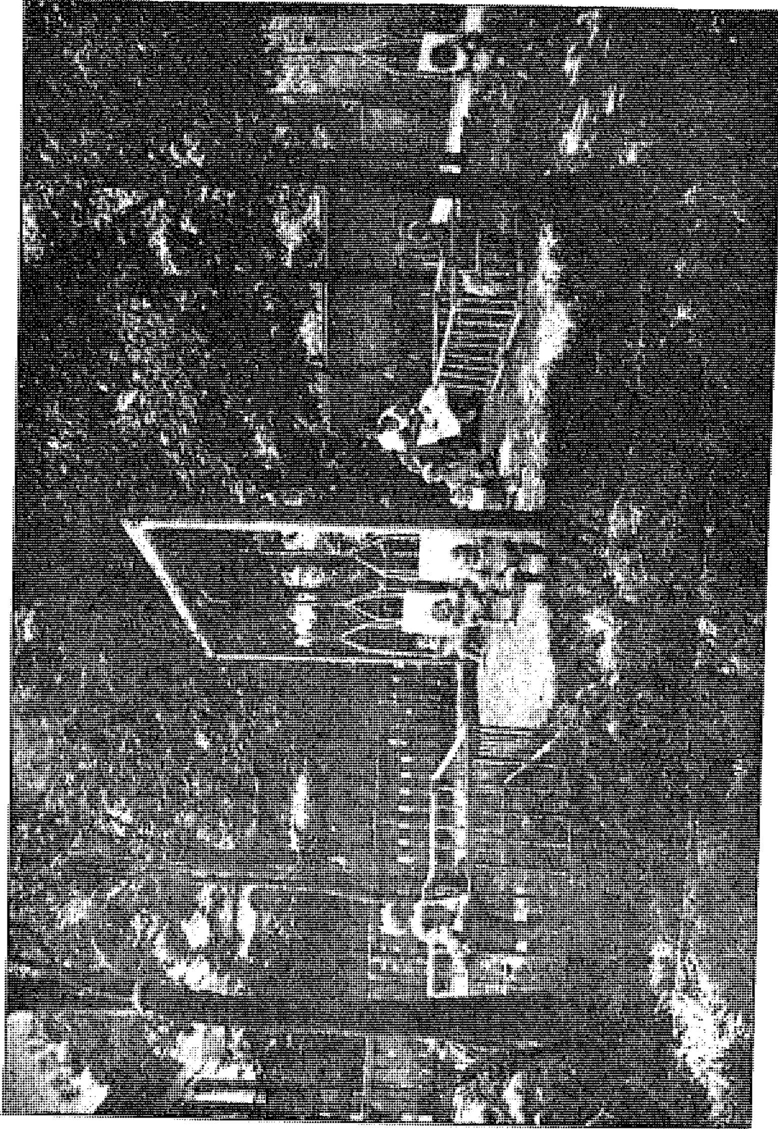
والبيئة الاجتماعية عبارة عن كل ما يؤثر فى الانسان باعتباره فرداً فى مجتمع من المجتمعات الخاصـــة كالأسرة والمدرسة ، أو المجتمعات العامة كالشعب الذى ينتمى اليه ، وما يسوده من نظام وعادات وتقاليد .

وكما يتأثر الفرد إلى حد كبير بالبيئة الطبيعية ، كذلك فهو يتأثر إلى حد بعيد بالبيئة الاجتماعية . فمقدار ما يلقاه من عطف ذويه وعنايتهم به ، وما يسود منزله من آداب وتقاليد وعادات ، والروح الذى يغلب فى مدرسيه ومربيه ، والنظم الاجتماعية فى بلده ، والقوانين التى وضعت ليسير عليها هو وعشيرته ، والدين المتمكن من نفوس من حوله ، كل ذلك وغيره يؤثر تأثيراً كبيرا فى تكوين الشخص وصوغ أخلاقه ، وبناء عاداته وعواطفه .

والمنزل هو أول بيئة تؤثر فى الانسان ففيه يبدأ حياته ، ويمضى معظم أوقاته فى طور نموه الأول عندما يكون سهل التأثر ، قابلا للتشكيل أكثر منه فى أى طور آخر. فلا غرو إذن أن يتأثر الطفل أكثر مما يتصور الوالدان من كل ما فى المنزل من أشخاص وأشياء ، وكل ماتقع عليه حواسه من مناظر ، ويسمعه من ألفاظ ، ويثار فيه من وجدانات وانفعالات ، ويشعر به من مختلف العواطف .

ولقد أجمع المربون على أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هى أهم مرحلة فى نشأته ، بل أن فيها يتم بناء أخلاقه ، ويكمل تكوينه . والمنزل هو المكان الذى يمضى الطفل فيه تلك السنوات . فهو غالباً لا يبدأ المدرسة قبل الخامسة . ومن هذا يمكننا أن ندرك الى أى حد يعمل المنزل فى تكوين الانسان ، حتى أن المربين فى كثير من الممالك الغربية ينشئون مدارس لصغار الأطفال الذين لا تساعدهم بيئتهم المنزلية على النمو الصحيح والتكوين السليم ، يدخلها هؤلاء فى سن مبكرة حوالى الثانية ، يتعودون فيها العادات الصحيحة ويتعلمون فيها النطق السليم ، وتغرس فى نفوسهم بذور الأخلاق الصالحة ، ويعتنى بأجسامهم وصحتهم ، وبذلك يعوضون فى هذا النوع من المدارس المسمى «بمدارس الحضانة» ، مالا يكفل المنزل تقديمه لهم .

فالمنزل إذن هو الذى يكوّن الطفل فى مبدأ الأمر وهو العامل الأكبر



منظر في إحدى مدارس الحضانة بسويسرا

فى تشييد بنائه فيما بعد. والشعوب إنما ترتقى برقى الأسر، وتنهض على أكتاف الآباء والأمهات.

وتشترك المدرسة مع المنزل فى تربية الطفل بعد أن يقضى سنواته الأولى فيه. فهى البيئة الثانية للطفل التى تلى فى الأهمية منزله، إذ أنها تعمل على تقوية جسمه بالألعاب والتمرينات، وتظهر ما كمن فى نفسه من ميول واستعدادات، وما جبله الله عليه من ذكاء ومواهب وقدرات، فتُشْبعها بما يعود عليه من الخير، ومايعده إعدادا طيبا للمستقبل عند ما ينفرد بأمور نفسه، ويكسب عيشه، ويتصرف فى شئونه دون سند من والديه أو مدرسيه. وهى التى على أساس ما غرسه الله تعالى فيه تكوّن أخلاقه. وتربى فيه روح المثابرة والصدق والإيثار والعدالة والتضحية للغير والمحافظة على المواعيد والتعاون؛ وهى التى تغرس فيه العادات الجسمية الصحيحة، فتقوى عضلاته وتنمى بدنه. وبذلك كله تهيؤه لأن يعيش فى مجتمع الحياة عيشة سعيدة راضية.

من هذا كله، نستطيع أن ندرك ما للمدرسة من عظيم الأثر فى تكوين الناشىء، فهى إن صلحت وعملت على تربيته فى جميع نواحيه، وأخذته بالتهذيب والتصقيل؛ ووجدت بجانبها منزلا طيبا يعاونها فى مهمتها العظيمة، ويسايرها جنبا إلى جنب فى تنشئة الطفل، بعثته لنا فى الحياة فرداً قويا سليما، وعضواً نافعا يرقى به وبأمثاله المجتمع، ويسمو إلى أوج الكمال المنشود.

الوراثـــة

الوراثة هى تلك القوة الطبيعية التى تنقل إلى الفرع صفات من أصوله الخاصة ، ومن الفصيلة الحيوانية أو النباتية التى ينتمى إليها .

أقسام الوراثة

يمكن البحث فى موضوع الوراثة من نواح عدة على حسب وجهات النظر المختلفة . وأهم هذه النواحى ثلاث وهى :

أولا : يمكن تقسيمها من حيث المصدر المنقولة عنه الصفات الموروثة الى قسمين : —

١ — وراثة نوعية ، وهى التى تنقل إلى الفرع الصفات الخاصة بالفصيلة الحيوانية أو النباتية التى ينتمى إليها ، وهى الصفات التى تتميز بها فصيلة عن سواها من الفصائل . وإن مظاهر هذا النوع من الوراثة فى الانسان كثيرة أهمها وراثة الغرائز والأمزجة الخاصة بالنوع الإنسانى . فكل طفل يولد مزودا بهذه الغرائز وتلك الأمزجة عن طريق الوراثة النوعية .

ويفسر الوراثةَ النوعية قانونُ النظرية التلخيصية العام ، الذى ينص على أن ما يظهر فى الإنسان فى أثناء نموه من الطفولة إلى الرجولة إن هو إلا صورة مصغرة لتطورات الجنس البشرى . فالمراحل التى يجتازها الطفل فى النمو ما هى إلا تلخيص (تحمله عليه الوراثة النوعية) لما اجتازه الجنس الانسانى فى ارتقائه من الهمجية إلى الحضارة . فمثلا تنص هذه النظرية على أن الطفل يرث وراثة نوعية صفات خاصة يأخذها عن الجنس البشرى عند ما كان الإنسان همجيا فى القرون الأولى ، ويظهر هذا فى ألعاب الطفل الصغير كألعاب الصيد والمطاردة .

٢ — وراثة خاصة : وهى التى تنقل إلى النوع صفات من أصول خاصة . وتنقسم من حيث قرب الأصل المنقولة عنه الى قسمين : —

ا — وراثة خاصة مباشرة : وتظهر فيما يرثه الطفل عن أصله المباشر (أبيه وأمه) ، كملامح الوجه ولون البشرة وطول القامة وقوة الذكاء وغيرها . وبمقتضى هذا النوع من الوراثة تنتقل للفرد الحالات النفسية أو الجسمية الخاصة بأبويه ، وهذه هى «الوراثة بالتحين» . ومعنى ذلك أنه قد تغلب لدى الطفل بوجه عام الصفات التى ورثها عن أحد أبويه على الصفات التى ورثها عن الآخر لدرجة تستكن معها هذه الصفات الأخيرة وتختفى مظاهرها . ويخيل إلينا فى هذه الحالة أن الفرد لم يرث إلاّ عن أحد أصليه ، مع أن صفات الأصل الآخر تكون موجودة لكنها كامنة ، وقد تظهر عن طريق الوراثة فى أبناء هذا الفرد ، وبذلك تكون وراثة هؤلاء الأبناء غير مباشرة .

ب — وراثة خاصة غير مباشرة : وتظهر فيما يرثه الطفل عن أحد أجداده أو إحدى جداته ، من جهة الأب أو من جهة الأم ، ومنها مايسمونه بالوراثة الفرعية ، أو الوراثة بالواسطة ، أو الوراثة المشتركة ، التى تظهر فيها الصفات التى يشبه فيها الطفل أحد أعمامه أو أخواله ، أو إحدى عماته أو خالاته .

فالطفل يرث بعض الصفات التى كانت موجودة فى أحد أجداده من جهة الأب أو الأم ، ولو لم تكن موجودة فى أصله المباشر . غير أن عدم وجودها فى أصله المباشر ليس فى هذه الحالة إلاّ ظاهريًا فقط . فالواقع أنها موجودة فيه بشكل خفى كامن ، وأن الطفل قد ورثها عنه ، لا عن أصله غير المباشر . فما يُطلق عليه «الوراثة الخاصة غير المباشرة» يشمل الوراثة الفرعية ، ويرجع فى الحقيقة إلى الوراثة الخاصة المباشرة .

وتنقسم الوراثة الخاصة بوجه عام من حيث نسبة الصفات المنقولة عن أحد الأصلين ، إلى الصفات المنقولة عن الأصل الآخر ، إلى ثلاثة أقسام : —

(١) وراثة بالتحيز ، وهى أن تشبه كل الصفات فى الفرع صفات أحد أصليه فقط ، كأن ينشأ الولد مثل أبيه فى صفاته الجسمية والعقلية والخلقية ، أو البنت مثل أمها فى ذلك .

(٢) وراثة بالاقتران ، وفيها يكون الفرع مشابها لأحد أصليه، فى بعض صفاته الموروثة ، وللثانى فى البعض الآخر : كأن يأخذ الولد الذكاء وطول القامة عن أبيه ، وسواد الشعر وشكل العينين عن أمه .

(٣) وراثة بالائتلاف ، وفيها تكون صفات الفرع الموروثة مخالفة لصفات أصليه ولكنها متآلفة منها ، كما إذا تزوج أسود ببيضاء فإن ابنهما قد ينشأ ولون بشرته وسط بين لونى والديه ، كما هو الحال فيما يسمى «بالمولّد»

ثانيا : — وتنقسم الوراثة أيضا من حيث نوع الصفات الموروثه عن الأصول الخاصة أو عن الفصيلة إلى ثلاثة أقسام :

(١) وراثة جسمية ، وهى وراثة الأمور المتعلقة بالجسم كاللون والطول والقصر وما إليها .

(٢) وراثة عقلية ، وهى وراثة مظهر من المظاهر العقلية كالذكاء والقدرات العقلية الخاصة مثل القدرة الموسيقية والقدرة الرياضية وغيرهما .

(٣) وراثة وجدانية ، ومنها وراثة حدة الطبع وسرعة الانفعالات وشدة الغضب وغيرها مما قد يكون له الأثر الكبير فى التكوين الخلقى للفرد .

ثالثا : — وتنقسم الوراثة باعتبار صلاحية الصفات الموروثة إلى قسمين :

(١) وراثة صالحة ، وتظهر فيما يُنقل للطفل من أصوله الخاصة أو من فصيلته ، من الصفات الجسمية والعقلية والوجدانية ، التى لها أطيب الأثر فى حياته الفردية والاجتماعية .

(٢) وراثة مَرَضِيَّة (بثولوجية) ، وتظهر فيما ينقل للطفل من أصوله الخاصة أو عن فصيلته من الصفات الجسمية الضارة ، كوراثة بعض الأمراض الجسمية ، وبعض العاهات مثل عمى الألوان والصمم والبكم ، أو العقلية كالجنون والعته ، أو الوجدانية كشدة الغضب وحدته .

هذا وقد يظهر لدى الفرد فى طور من أطوار حياته صفة وراثية جسمية أو نفسية ، كانت قد ظهرت لدى أصله فى سن مماثلة لسن ظهورها فيه ؛ وأكثر ما تحدث هذه الظاهرة فى الحالات المَرَضِيَة تبعا للقانون المعروف « بقانون الوراثة المتحدة الأزمنة » . وقد كتب عنها كثير من العلماء وذكروا لها عدة شواهد نورد منها ما يلى : —

بعض الأمراض المخيفة كالصرع تظهر لدى الفروع فى نفس السن التى ظهرت فيها لدى الأصول ، وكذا الإصابة بالعمى والصمم وغير ذلك من العاهات ، تصاب بها الفروع فى نفس السن التى أصابت فيها الأصول .

ولما كان سبب الوراثة ينحصر فى المادة المكونة للجنين التى تتألف من البويضة واللقاح ، فكيف يعقل أن يرث الطفل صفة لم تكن موجودة فى أصليه وقت أن تكون جنينه ؟ وما السبب الذى من أجله تظهر هذه الصفة عنده فى نفس السن التى ظهرت فيها عند أحد أصليه ؟ السبب فى ذلك أنه اذا أصيب شخص فى سن ما بعاهة جسمية ، أو بمرض عقلى من غير أن يكون هناك سبب خارجى لهذه الاصابة ، فما ذلك إلاّ لأن تركيبه الداخلى الأصلى كان يقتضى أن يصاب بتلك العاهة بعد مرور زمن معين . وقد يكون هناك عوامل مَرَضِيَّة كامنة ، ينتج عنها بعد مرور زمن معين العمى أو الصمم

أو غير ذلك من العاهات . وربما كان هناك استعداد عصبي ينجم عنه الإصابة فى سن خاصة كالجنون مثلا ؛ فاذا ولد لهـذا الشخص ولد انتقل اليه فى المادة الحيوية؛ وهذا التكوين الطبيعى الخاص الذى كان كامنا فى أصله ، والذى ينتقل اليه بطريق الوراثة ، يجعله يصاب هو بالعاهة أو بالمرض فى نفس السن التى أصيب به فيها أصله ، ومن هذا يتضح لنا مقدار قوة الوراثة فى تكوين الأفراد .



الاسرة المنكوبة
أفرادها جميعا بلهاء

وراثة الأمراض والعيوب الجسمية

قد يرث الإنسان عن أبويه صفات مفيدة وصفات ضارة . ففى الحالة الأولى تسمى الصفة (صفة عادية) ، وفى الحالة الثانية تسمى الصفة (صفة

شاذة) . والصفات التى تشذ عن العادة والمألوف تسمى أمراضا ، وإذا كانت على شكل عيب فى الجسم تسمى عيوباً أو عاهات .

والاستعداد لمرض من الأمراض ينشأ عن نقص فى القدرة على أداء الوظائف الحيوية . وينشأ هذا النقص بدوره عن اختلاف التراكيب الجسمية الوراثية للأفراد عن التراكيب الصحيحة ، مما يسبب عجز الفرد عن الاحتفاظ بحياته وصحته تحت ظروف الوسط الذى يعيش فيه .

مما تقدم ، يتبين لنا جليا أن أثر الوراثة قوى جدا فى تكوين النشء من حيث الصفات العقلية والخلقية والجسمية ؛ وأن لكل ما يرثه الطفل شأنا كبيرا فى مصير حياته الخاصة يتعداه الى حياة الأسرة، ثم الى حياة الشعب بأسره .

لهذا يجب أن يأخذ علم الوراثة مركزه الجدير به بين بقية العلوم الحيوية الأخرى ، التى تعمل على إسعاد الفرد ، وأن يتدارس رجال الطب وعلماء النفس والاجتماع والقانون ، كل فى دائرة اختصاصه ، للعمل على تطبيق التشريع الذى تقره النظريات العلمية الصحيحة حفظا لسلامة أفراد الأمة من العاهات والأمراض التى تنتقل من الأبوين إلى الطفل البرىء . ولا يمكن لأحد أن يقدّر عظيم الفائدة والنفع اللذين يعودان على النسل من القضاء على كل موروث ضار للجسم والعقل والنفس .

والطرق التى يجب أن نلجأ اليها لابد وأن تكون تعاونية بين الحكومة والجمعيات والافراد .

أما الذى يجب على الحكومة عمله ، فهو سن القوانين التى تحرم الزواج على ضعاف العقول والمرضى بأمراض تتناقل بالوراثة ، وتؤثر فى صحة النشء وعقليتهم ؛ بل يجب البحث عن أفراد هذه الطائفة ومعالجتهم فى مصحات

خاصة . وهناك حكومات لجأت الى أكثر من هذا وأصدرت قانونا لتعقيم الرجال والنساء الذين يخشى على توارث نسلهم من أمراض لها خطرها على الجسم والعقل ، كالبلهاء والمجانين وغيرهم ، كما أنها حتمت على كل من يريد الزواج ، أن يكون خاليا من الأمراض العقلية والعضوية كمرض الزهرى وغيره . ولم تقف عند هـــذا الحد بل تعدته الى تشجيع الأصحاء جسما وعقلا على التزاوج والتناسل ، فمنحت الأسر التى كثر عدد أطفالها مكافأة مالية سنوية ، مساعدة لهم على تربية أطفالهم تربية صحيحة قويمة .

والواجب على الجماعات التى تعمل لصالح المجتمع ، أن تنير الطريق لأفراد الامة لاسيما أفراد الطبقة الفقيرة الجاهلة ، وذلك بأن تنشر بينهم دعاية قوية تكشف لهم عن الخطر الذى ينتج عن الأمراض الوراثية على الجسم والعقل . وتكون الدعاية بإلقاء المحاضرات والإعلانات والسينما والمذياع وتوزيع الصور والمنشورات . وبهذه الوسائل يمكن المحافظة على أفراد الجيل الجديد من الأخطار التى قد تهدده بسبب التوارث السقيم .

هذا وهناك واجب خاص على كل فرد يقضى بألا يقدم على الزواج إلا إذا كان واثقاً كل الثقة من صحته ، ومن تجرده من الأمراض الجسمية والعقلية والخلقية التى من شأنها أن تنتقل إلى ذريته . وعليه أن يستعين برأى طبيب اخصائى إن كان عنده شك فى ذلك .

ومن واجب الآباء والأمهات والمربين أن ينتهزوا كل فرصة ممكنة لشرح مسائل الوراثة لمن عهد إليهم تربيتهم ، ويكون ذلك بالطرق التى يرونها ملائمة لهم ، بمجرد أن يبلغوا السن التى يستطيعون فيها فهم هذه الأمور الهامة التى لها أثرها فى حياتهم المستقبلة ، فردية كانت أو اجتماعية .

كما ينبغى للمربين أن يعنوا بدراسة نفسية الطفل واستعداداته الوراثية ،

وأن يحاولوا الوقوف على تاريخ أسرته ، ومعرفة أحوالها ، وما يتصل بها حتى يستطيعوا استغلال الصفات الوراثية الحسنة ، وإضعاف الفاسد منها .

الوراثة والبيئة :

كان من رأى بعض العلماء أن الوراثة لا تؤثر إلا قليلا ، وأن البيئة أهم عامل فى تكوين الإنسان ، إلى أن جاء عصرنا الحاضر ، وأظهرت التجارب ما للوراثة والبيئة معاً من الاهمية المشتركة فى نمو الطفل ، فاعتبرتهما عاملين قويين فى التربية لا يمكن الاعتماد على أحدهما دون الآخر . فإذا حكمنا مثلا بان الوراثة هى كل شىء ، نكون قد أنكرنا قيمة التربية المنزلية والمدرسية والاجتماعية ، وهى تربية لا يستهان بها فى نشأة الطفل الجسمية والعقلية والخلقية . وإذا نحن عولنا التعويل كله على التربية ، وحسبنا الوراثة شيئاً ثانويا ، كانت التربية ناقصة ، لأننا نكون قد أهملنا طبيعة الطفل التى هى أساس تنشئته .

لهذا يجب التسليم بأن لكل من الوراثة والبيئة أثرا فعالا فى تربية الطفل . فالوراثة مسئولة عن القوى والاستعدادات الكامنة فى نفس الطفل ؛ والبيئة مسئولة عن إظهار تلك القوى والاستعدادات . وتعهدها بالتربية الصحيحة إلى أن تصل إلى الغاية المقدرة لها من النمو .

المنزل وأثره فى التربيـــــة

الصلة بين البيت والمدرسة

أدرك علماء التربية أثر عهد الطفولة المبكرة فى حياة الطفل ، إذ أن قابليته للتعلم فى ذلك الوقت تكون أكثر منها فى أى مرحلة أخرى من مراحل نموه ، ولذلك فإنه يتأثر بسرعة وسهولة بعادات ذويه ومعتقداتهم . ومن أجل هذا أعتبر البيت البيئة الأولى التى تصوغ الطفل على حسب العوامل الفعالة فيه ، والروح السائدة بين أفراده . فهو إن صلح حاله أو ساء ، له أثره القوى فى حياة الطفل . ويستمر هذا الأثر مدى حياته .

وقديماً كان يعتبر المنزل العامل الوحيد فى التربية ، بل وفى التعليم ؛ فكان البيت هو الذى يكوّن القبيلة ، والقبيلة تكوّن الأمة . وكانت مبادىء الأسرة وتعاليمها أساساً تعتمد عليه الشعوب القديمة فى ثقافتها .

والطفل يتأثر بكل فرد من أفراد الأسرة . فهو يأخذ عن والدته ، ويتعلم عن أبيه ، وينقل عن إخوته وأقاربه . ولكل من هؤلاء تأثير خاص فى تكوينه .

ففى المنزل يتعلم اللغة ، ويتفهم معنى الكلام ، ويتشبع بالمبادىء التى يسير عليها أهله من غير قصد أو تلقين ؛ ويتعلم الطفل معنى الاقتصاد والمحافظة على التقاليد والمعاملة ؛ كما ينشأ شعوره الدينى والخلقى متأثراً بأهله وما هم عليه من نزعات دينية وخلقية ، وما بينهم من صلات الود والعطف والاحترام .

ويدرك الطفل فيه معنى الحقوق والواجبات ، ويعرف روح النظام ومعنى التعاون ، وذلك مما يراه من والديه ومن جميع أفراد أسرته ؛ كما يتعود

الطاعة ، لا لأنه مكره عليها ، بل لما يشعر به نحو والديه اللذين يبذلان النفس والنفيس لإسعاده . ولعل البيت بمفرده هو الذى يفهمه معنى التضحية تمام الفهم فالطفل يرى أمه تسهر عليه إذا مرض ، والأب يكد ويعمل ما فى وسعه لإجابة مطالبه ، وكل منهما يفضل راحة الابن على راحته الشخصية .

ولما كان البيت هو المدرسة الأولى ، تلاميذها الأطفال ، ومهذبوها الآباء والأمهات ، كان عليهم غرس الأخلاق الفاضلة ، وبث المبادىء القويمة فى نفوس الأطفال ليصبحوا النواة الصالحة لرجال المستقبل والبذرة الطيبة لأمهات الغد . والأم هى المربى الأول المسئول عن طفلها ، وعلى مجهوداتها فى تربية أطفالها يبنى المجتمع . فتربية الأم لطفلها هى النواة الاولى فى تكوينه ، فإذا ما تعهـــدته بالرعاية والإرشاد ، وبذلت أحسن المجهود فى إعداده الإعداد الصحيح ، سهل على المدرسة القيام بواجبها فى إتمام تربيته على الوجه الأكمل واستطاعت أن تعد للمجتمع أطفالا سليمى البنية ، أقوياء العقل ، واسعى المدارك .

وأثر البيت يبقى مع المرء طول حياته ، وتلازمه ذكرياته فى جميع أطواره . لهذا كان حقا للطفل على والديه أن يتعهداه منذ صغره بالتربية الصحيحة المناسبة لسنه وعقله ، وأن يقوّما أخلاقه ويتمما مداركه حتى يمكنه أن يعيش عيشة رغيدة فى مستقبل حياته وبذا يكونان قد أدّيا الواجب عليهما نحوه لوجه الله والوطن .

والواجب القضاء على ما تفعله بعض الأمهات الجاهلات من حشو رؤوس أطفالهن بالأوهام والخرافات الباطلة والأكاذيب الفارغة التى لها أسوأ الأثر فى حيــاة الطفل . ولنعلم أن الطفل مرآة للبيت الذى يأتى منه ، فالناس إذا رأوا طفلا مهذبا حكموا على أهله بذلك ، والعكس بالعكس .

ينتقل الطفل من البيت إلى المدرســـة ، لأن البيت لا يستطيع وحده أن يعده إعدادا كاملا للحياة ، بل يجب أن تشترك فى ذلك المدرسة . ولما كانت المدرسة هى البيئة الثانية للطفل ، والمكمل للبناء الذى وضع أساسه فى المنزل من وجهات التربية الثلاث ، الجسمية والعقلية والخلقية ، كان حقاً على القائمين بشئون التربية توطيد الصلة بين البيت والمدرسة بحيث يعاون كل منهما الآخر فى تأدية عمله ، إذ أنهما يقتسمان عملا واحدا هو تربية الطفل ، ويسعيان إلى غاية واحدة هى الوصول بالطفل الى أقصى ما يمكن الوصول إليه من الكمال . وعلى ذلك فبديهى أنه لا يمكن بحـــال من الأحوال أن نفصل بينهما ، ما دمنا نسعى إلى تربية الطفل تربية سليمة حقة .

فواجب المدرسة إذن ، هو مساعدة الأم على إتمام تهذيب الطفل وتكملة ما بدأته معه فى البيت ، مع تزويده بالعلوم والمعارف .

وليس البيت وسيلة لإعداد الطفل للمدرسة فقط ، بل إنه يسير معها جنبا إلى جنب . فالطفل فى أثناء حياته المدرسية يقضى جزءا من يومه فى المنزل . ولذلك كان لزاما أن يستمر تعاونهما من غير انقطاع ، وأن يعمل كل منهما على تعويض ما يجده من الضعف فى الثانى . ولا تنتهى مهمة الأهلين بمجرد إرسال أبنائهم إلى المدرسة . بل إن من واجبهم أن يتتبعوا سير نجاحهم ، ومقدار استفادتهم من وجودهم بالمدرسة ، مع تشجيعهم التشجيع المناسب ، والتحرى عن نقط الضعف فيهم من آن لآخر ، ليعملوا على تقويتها ، وكذلك الوقوف على استعداداتهم الخاصة ليساعدوهم على تنميتها .

وما أفضل المدرسة التى توافق البيت ، وما أسعد البيت الذى يطابق المدرسة ؛ وما أعظم النفع الذى يعود على الأطفال من ذلك التوافق والتطابق ، لأنهم بذلك لا يشعرون بفارق كبير بين البيت والمدرسة .

ومن أهم ما نراه واجبا على الأم أن تؤديه نحو توطيد العلاقة والصلة بين المنزل والمدرسة ما يأتى :

(١) أن تكون على اتصال مباشر بالمهيمنين على تربية الطفل بالمدرسة للتعاون على تربيته تربية صحيحة .

(٢) أن تحترم قوانين المدرسة وتعطيها حقها من التقدير والعناية لتكون قدوة حسنة للطفل فى حسن الاهتمام بتنفيذها .

(٣) تشجيع الطفل على أداء واجباته المدرسية وتنظيم أوقاته بالمنزل .

(٤) ألاّ تفسح مجال التذمر للطفل من المدرسة قبل البحث عن السبب الذى دعاه إلى إبداء تذمره وعدم رضاه ، وأن تحذر كل الحذر من تخطئة المدرسة أمام الطفل أو لومها ، لأن هذا يضعف من مركز المربين فى نظره .

(٥) أن تشترك مع المدرسة فى تربية الطفل وعلاجه مما قد يلاحظ فيه من نقص أو شذوذ فى تكوينه الجسمى أو العقلى أو الخلق ، وأن تعمل على استئصال ما قبح من العادات ، وتكوين ما حسن منها .

ومما يزيد الرابطة بين المنزل والمدرسة ، تكوين هيئات من الأمهات والمعلمات تعمل على توثيق الألفة والتعاون بينهن ، كما تعمل على إيجاد مبادىء عامة للسير بمقتضاها فى ترقية أساليب تربية الطفل ، والبحث فى المشاكل التى يقابلها وطريقة معالجتها . ومثل هذه الهيئات منتشرة فى البلاد الغربية ، وقد أصبح لها أثر كبير فى توجيه طرق التربية وتنشئة الأطفال نشأة سليمة صحيحة . وقد بلغت من القوة والنفوذ أن أصبح لها مجلات تنشر مبادئها ومباحثها ، وأن تعقد مؤتمرات تبحث فى ترقية الأساليب التى تتبع فى تربية الأطفال .

وكما أن على الأم واجبات ، فكذلك على المدرسة واجبات رئيسية نذكرها فيما يأتى : —

١ — عقد الحفلات للأهل ، والقاء المحاضرات فيما يختص بتربية الطفل التربية الصحيحة .

٢ — تنظيم اجتماعات بالمدرسة للمدرسين وأولياء الأمور معا ليتبادلوا الآراء فى كل ماله علاقة بتربية الصغار .

٣ — الاتصال بالمنزل فى الأحوال الشاذة التى قد تظهر فى تكوين الطفل لكى يتعاونا سويا على علاجها .

٤ — إخطار الآباء بحالة أطفالهم بوجه عام بوساطة تقارير ترسل إليهم من آن لآخر .

الباب الرابع

علم النفس

معناه — فائدته فى تفهم نفسية الأفراد والجماعات — دراسة الطفل وأهميتها .

معنى علم النفس

لقد اهتم الإنسان منذ وجوده بدراسة ما يحيطه من الأشياء والكائنات والظواهر، وهداه عقله بالتدريج إلى جمع المعلومات الكثيرة عن العالم الذى يعيش فيه . ثم قسم تلك المعلومات وفصلها عندما كبرت وتشعبت، حتى يسهل عليه البحث فى كل قسم منها . ومن ثم نشأت العلوم المختلفة من علم الطبيعة الذى صار مبحثه خواص المادة، وعلم النبات ومحور البحث فيه هو النبات، وغيرهما من باقى العلوم المعروفة .

ولقد اهتم الإنسان بنفسه منذ أول الحياة، فبدأ يدرس أفكاره وميوله وحالاته النفسية المختلفة، واتسعت دراسته لنفسه مع الزمن، وشملتها الفلسفة التى شملت مباحث أكثر العلوم المعروفة الآن . وبذلك صار من ضمن مباحث الفلسفة سلوك الانسان وتفكيره وميوله وطبيعته .

ولم تقتصر أبحاث الفلاسفة على الإنسان فقط، بل شملت الحيوان أيضا، فبحثوا فى سلوكه وقارنوا بينه وبين الإنسان فى ذلك . ولما أن اتسعت هذه المباحث، بدأت تنفصل عن الفلسفة، وانفرد لها علم خاص هو علم النفس .

وكانت دراسة السلوك نظرية لا ترتكن إلى التجارب، ولا تؤيدها آلات أو أجهزة للقياس، ولكن الفلاسفة منذ عهد قريب رأوا ضرورة الاستعانة بالتجارب العملية، فقاموا بشىء منها فى القرن التاسع عشر، ثم اتسعت هذه التجارب وكثرت فى أواخر ذلك القرن، وبدأ العلماء ينشئون

معامل لعلم النفس فى جميع أنحاء العالم المتمدين ، فازدادت بذلك مباحث العلم ، وتوطدت حقائقه ونظرياته ، بعد أن وضعت على أساس علمى صحيح.

فموضوعات علم النفس كانت قاصرة فى أول الأمر على ملاحظات لسلوك الانسان وحالاته النفسية والعقلية ، وكان يقوم بهذا البحث جماعة الفلاسفة . فلما اتسعت الأبحاث وانتشرت أخذت تنفصل عن الفلسفة ، ويكوّن مجموعها علما جديدا مستقلا سمى بعلم النفس ، صار يتمتع بما تتمتع به بقية العلوم من تجارب عملية قد بلغت فى السنين الأخيرة درجة كبيرة من الدقة والاتقان .

ويمكننا أن نعرّف علم النفس بأنه العلم الذى يبحث فى الحالات النفسية والعمليات العقلية ، كيف تنشأ ، وماذا يصدر عنها من أنواع السلوك .

ويمكننا أن نقول عنه إنه علم السلوك ، أو العلم الذى يبحث فى سلوك الحيوان (بشرط ألا يكون آليا كحركة القلب والرئتين أو غمض الجفن إذا اقترب شىء نحو العين) ، وفى القوى التى يتسبب عنها هذا السلوك .

أو هو علم العقل ، إذا عرفنا أن العقل هو القوة التى يصدر عنها السلوك غير الآلى .

ومن هذه التعاريف يمكننا أن ندرك أن علم النفس علم محايد يهتم بالسلوك أيا كان ، ويدرس النزعة الطيبة كما يدرس النزعة الخبيثة ، دون أن يصدر عليها حكما من الأحكام .

فهو إذن يختلف اختلافا واضحا عن علم الأخلاق وعلم الاجتماع ؛ فاولهما يبحث فيما يجب أن تكون عليه أخلاق الإنسان ؛ وثانيهما يبحث فيما يجب أن تكون عليه علاقة الفرد بالمجتمع والمجتمع بالفرد .

ولأن علم النفس يبحث فى سلوك الانسان والحيوان ، فهو يرتبط

بعلوم كثيرة كالمنطق والتربية والاجتماع والحيوان ووظائف الأعضاء وغير ذلك ، إذ أن مبحث كل من هذه العلوم تمس عن قرب أو عن بعد ، عقل الإنسان أو سلوك الحيوان .

فالمنطق يبحث فيما يجب أن يكون عليه تفكير الانسان ، وعلم النفس يبحث فى تفكيره بوجه عام سواء كان صائبا أو خاطئا ، منطقيا أو غير منطقى .

والتربية تبحث فى استغلال نزعات الطفل وميوله ، وتوجيهها التوجيه الصالح ، حتى يدخل مجتمع الحياة فرداً صالحا يسعد ويُسْعِد المجتمع الذى هو فيه ، وعلم النفس يبحث فى سلوك الانسان وميوله ونزعاته ؛ فلاهو يعمل على توجيهها ، ولا يهتم باستغلالها ، ولكنه يعطينا فكرة عن نوع هذه الميول وقوتها وخصائصها .

فائدته فى تفهم نفسية الأفراد والجماعات :

ولقد تغلغل علم النفس فى كل شىء فى الحياة ، واستفادت منه الأفراد والجماعات فى نواح كثيرة ، ولاتساع مباحثه ، وكثرة تشعبها قسم إلى فروع أهمها علم النفس التعليمى ، وعلم النفس الصناعى وعلم النفس الاجتماعى والتحليل النفسانى .

أما علم النفس التعليمى ، فيشمل تلك المباحث التى يمكن أن يستفيد منها المربى فى تربيته للأطفال . فالمربى الذى يقف على طبيعة الطفل فيعرف ميوله وذكاءه ، يمكنه أن يربيه على أساس تلك الميول ، ويوجهه فى دراساته تبعا لمقدار الذكاء الذى عنده . والمربى الذى يعرف من علم النفس أن الطفل يقطع فى أثناء نموه مراحل مختلفة ، تتميز كل منها بمميزات خاصة ، يمكنه أن يسير معه فى كل مرحلة تبعا لتلك المميزات ، ويعطيه فيها ما يناسبه ويتفق معه .

والمربى الذى يعرف من علم النفس أن غرائز الطفل باقيـة ما عاش ، لايمكن أن تندثر وتموت ، وأن الضغط عليها ضار بتكوينه الصحى ، يعمل على إعطاء هذه الغرائز شيئا من الحرية حتى يُمكّن الطفل من إرضائها ، عاملا فى الوقت نفسه على توجيهها فيما يعود عليه بالفائدة .

ولقد استفادت ميادين الصناعة من علم النفس ، وأفردت مباحث خاصة بالصناعة ومايتصل بها ، وأصبح للعلم فرع يعرف بعلم النفس الصناعى ، يبحث فى العمل والعمال ، والمهنـة وأصحابها ، ويقفنا على أحسن نظام لترتيب اوقات العمال حتى ينتجوا أكبر انتاج ، دون أن يُرهقوا أو يصيبهم الضعف والسقم .

ويختلف ترتيب أوقات العمل بالنسبة للعمل نفسه ؛ ففى بعض المصانع يستحسن ان يستريح العامل كل ساعتين ، وفى البعض الآخر كل اربع ساعات وهكذا .

ولقد أفادت مباحث هذا الفرع فى تنظيم العمل بالمصنع ، ووضع أدوات العمل وآلاته ، بحيث لا يضيع وقت العامل فى البحث عنهـا من بين أدوات أخرى ، كما نُظّمت حركاته تبعا للأعمال المختلفة ، فأراحته بذلك فى أثناء تأديته لها ، وفى الوقت نفسه جعلته ينتج أضعاف ما كان ينتج من قبل .

ولقد استفاد كثير من أصحاب الأعمال فى أوروبا وأمريكا بعد ماطبقوا مباحث علم النفس الصناعى فى مصانعهم حتى وصلت الزيادة فى إنتاج بعض المصانع الى أربعة أمثال ما كانت عليه من قبل ، فعاد ذلك بالربح الوفير عليهم وعلى العامل ، إذ استطاعوا أن يزيدوا أجره ، ويهيئوا له فى مصنعه أسباب الراحة ؛ كما استفاد من ذلك الجمهور إذ استطاع أصحاب الأعمال أن يخفضوا من أسعار ما ينتجون فى مصانعهم .

ولقد ذكرنا أن علم النفس يبحث فى سلوك الفرد ؛ والفرد يعيش وسط

المجتمع ، ولذلك كان لعلم النفس أن يبحث فى علاقة الفرد بالمجتمع . وقد أفردت لذلك مباحث خاصة ، وكوّن مجموعها فرعا جليل الشأن من فروع علم النفس ، ويسمى علم النفس الاجتماعى ؛ فيمكننا بدراسة الفرد كعضو من أعضاء المجتمع ، أن نعرف كيف يتأثر بالمجتمع ويؤثر فيه ، وكيف نجعله عضواً صالحا ، وكيف ننشىء رابطة قوية وثيقة بينه وبين من يعيشون معه .

فالحاكم يستفيد من دراسة الفرد فى المجتمع حتى يجعله خاضعا لنظمه وقوانينه ، والواعظ والمعلم والخطيب والممثل وغيرهم ، كل أولئك يستفيدون من دراستهم لعلم النفس فى التأثير على الجماهير بما يشاؤون ، واستهوائهم لما يريدون .

ولقد استطاع بعض المصلحين فى أمريكا ، أن يُحوّلوا بعض عصابات الناشئين المفسدين إلى جمعيات تتعاون مع البوليس فى اقتفاء أثر المجرمين ، وقطع دابرهم .

وبالمثل ، استفاد المصلحون كذلك من دراسة المجرمين ، والوقوف على ميولهم الشريرة وما كوّنها فيهم ، وأصبحوا يعاملونهم فى السجون بما يكون فيه صلاحهم وخروجهم للمجتمع أفرادا مستقيمين .

كذلك تبين من مباحث علم النفس أن كثيرا من الشذوذ الذى يحدث فى بعض الأطفال والكبار ناشىء عن سوء معاملة ميول الأفراد وهم أطفال صغار ؛ كما أن بعض الأمراض لا ترجع أسبابها إلى عوامل فسيولوجية يمكن علاجها بالعقاقير الطبية ، بل إن بعض الحالات النفسية لتحدث مثل هذه الأمراض . ولذلك وجب معالجة هؤلاء معالجة نفسانيـــة حتى تزول الآثار السيئة التى نشأت عما أصاب ميولهم وطبائعهم من شر المعاملة فى إبان الطفولة . ولا يتسنى ذلك إلا بعد أن تتفهم نفسيات هؤلاء الأفراد ، ونعرف

ما أصابها فى صغرهم . ويمكن القيام بذلك عن طريق التحليل النفسانى ، وهو مبحث ذو شأن عظيم من مباحث علم النفس .

ولكم أفاد علم النفس من ناحية التحليل فى شفاء أمراض كالشلل والصمم لم ينفع فى شفائها الطب ، لأنها نتيجة لاضطرابات نفسية . ولكم رد التوازن إلى عقول مختلة ، والاطمئنان إلى نفوس قلقة ، والثقة والقوة إلى أفئدة ضعيفه عاجزة .

لقد تدخل علم النفس فى كل شىء ، وأفاد أعم الفائدة وأكبرها . فالتاجر يستفيد منه فى تفهم نفسيات عملائه ليستهوى كلا إلى بضاعته بالطرق التى تنفعه ؛ والصانع يختار لنفسه ما يلائم طبيعته من الأعمال ، فيكثر من إنتاجه ؛ والطبيب فيكتسب ثقة مريضه ، ويشجعه على التخلص من مرضه ويعرف ما إذا كان ناشئا عن عوامل جسمية فيسير معـــه حتى الشفاء ، أو عوامل نفسانية فيرسله لمن يتعهده بالتحليل النفسانى ؛ والواعظ فيؤثر به على نفوس سامعيه ؛ والمربى فيفهم نفسيات الأطفال وميولهم وعقلياتهم ، حتى يتمكن من وضع طرق التربية الصحيحة فى مراحل النمو المختلفة التى يجتازها الطفل .

دراسة الطفل وأهميتها :

لقد بدأت دراسة الطفل من قديم الزمن ، وبنى المربون آراءهم على نوع دراستهم التى لم تدعمها التجارب والأبحاث الدقيقة ، ولذلك اختلفت تلك الآراء فمنهم من اهتم بتربية الطفل تربية جسمية كالتربية الأسبرطية ، ومنهم من عامله معاملة الكبار فأعطاه أكثر مما يستسيغه عقله ، كالتربية فى القرون الوسطى . وعلى العموم كانت الفكره السائدة فى جميع العصور الضغط على الطفل ، وكبت غرائزه ونزعاته الطبيعية ، إذ اعتقدوا أنها مصدر شرور الحياة .

ولقد بدأ عهد جديد فى دراسة الطفل منذ القرن الثامن عشر ، واستهل المربون ذلك العهد بجعل تربيته مبنية على أساس دراسته ، وكان أعلا المربين صوتا وأشدهم أثرا (روسو) الفرنسى ، الذى يعتبر أول من بنى قواعد التربية على دراسة الطفل . وقد أراد بذلك أن ينقذه مما كان قد طوقه من القيود القديمة فنادى بالرجوع إلى الطبيعة ، وأخذ الطفل بما يلائم قواه وميوله .

وفى أوائل القرن العشرين ، بدأت الهيئات القائمة بشئون التربية والتعليم فى البلاد الأجنبية تشعر بتأخر أطفالها من الوجهة النفسية والاجتماعية ، فقام لفيف من كبار علماء النفس بالبحث فى هذا الموضوع ودرسوا الطفل من الناحيتين الآتيتين :

(١) الناحية الصحية ، وفيها بحثوا عن الشروط اللازمة لحياة الطفل الصحية ، ودرسوا ما يحتاجه الطفل النامى من الهواء الطلق والغذاء والملبس والراحة والرياضة وغيرها .

وكانت نتيجة هذه المباحث أن أُنشئت مؤسسات متنوعة لرعاية الأطفال ، كما أنشئت الملاعب المختلفة فى المدن الكبيرة .

(٢) الناحية النفسية ، وفيها درسوا عقلية الطفل وميوله ونزعاته وقواه واستعداداته كى تقوم تربيته على أساس مايتفق معها ، وبذلك أناروا الطريق للمربين فسهلوا لهم القيام بأعباء المسئولية العظيمة الملقاة على عاتقهم .

فالمربى يجب أن يبدأ بدراسة طبيعة الطفل واستعداداته وميوله وغرائزه وعقليته والفوارق التى بينه وبين غيره من الأطفال ، وغير ذلك من الأمور النفسية الهامة ، حتى يستطيع أن يبنى عمله على أساس صحيح ، وهو تنمية قوى الطفل ، والانتفاع بها على الوجه الأكمل ؛ فتفَهُّم الطفل هو أهم شىء

يعتمد عليه المربى فى أداء وظيفته ، إذ ليس من المستطاع أن يربيه أو يعلمه على الوجه الصحيح دون أن يدرس نفسيته .

يتضح لنا مما تقدم أن الدعامة الكبرى التى يبنى عليها أساتذة علم النفس صرح التربية والتعليم فى أطواره الأولى ، هى دراسة الطفل دراسة تفصيلية ، يمكن على أساسها أن يُقـــدَّم إليه فى كل طور من اطواره نموه المختلفة ، ما يناسبه من التربية والتعليم . وبذا استطاعوا أن يكشفوا عن الأسس الصحيحة التى يجب أن يعتمد عليها المربون فى تنمية الفكر وتقوية الحكم وتكوين الخلق المتين والشخصية البارزة .

وليست هذه الدراسة من الأمور السهلة التى يتسنى لكل إنسان أن يعالجها ، بل إنه لا يستطيع أن يلاحظ الأطفال ويدرسهم ، إلا من فطر على حبهم والعناية بشئونهم ، وكان قادراً على أن ينزل إلى مستواهم العقلى ، وكان صبوراً كثير العطف عليهم ، ليستطيع بذلك أن يجذبهم إليه ، كما يجب أن يكون مشبعا بطرق البحث العلمى ، ملماً بأصول علم النفس وبهذا يمكنه أن ينظر اليهم ويسمع منهم ويفهمهم ويندمج فى حياتهم العقلية والنفسية .

وهناك طريقتان متبعتان فى دراسة الطفل وهما :

الطريقة الفردية ، والطريقة الجمعية .

الطريقة الفردية :

وهى القيام بملاحظة تفصيلية للطفل فى أثناء حديثه ولعبه ومظاهر نشاطه المختلفة التى يبديها فى أدوار نموه . ونستطيع مباشرتها بوسيلتين :

(ا) الملاحظة الخارجية (ب) التجريب

ا — الملاحظة الخارجية : وهى طريقة من السهل اتباعها مع الأطفال لأنهم

لا يتظاهرون بغير الحقيقة كما يفعل الكبار . والطريقة هى أن نتأمل فى أعمال الطفل ثم نحاول أن نفسرها من الوجهة النفسية بعد أن نفحص الطفل نفسه من الوجهة الجسميه ، ونقف على حالته الصحية العامة ، ومبلغ قوة حواسه أو ضعفها ؛ كما يجب أن نلم بعض الإلمام ببيئة الطفل التى يعيش فيها حتى يكون حكمنا صحيحاً ، وتأتى دراستنا بالفائدة المطلوبة . وتشمل هذه الطريقة ملاحظة قدرة الطفل العقلية ، من حيث سرعة الفهم أو بطئه ، وميله إلى الاستطلاع وقوة عزيمته ، وشوقه إلى التحصيل ، وذكائه الطبيعى وقوة التفكير والانتباه والذاكرة والخيال وغير ذلك ، علاوة على مراقبة ظهور القوى الكامنة فى نفسه .

ب — أما التجريب : فما هو إلا ملاحظة الطفل فى ظروف خاصة نهيئوها له ونحيطه بها ، وتتميز طريقة التجريب عن طريقة الملاحظة فى أننا نستطيع أن نكرر نفس التجارب عدة مرات حتى نتحقق من نتائج ملاحظتنا له . ومثال ذلك وضع الأطفال فى أمكنة مزودة باللُّعَب على اختلاف أنواعها ، وملاحظة ميولهم فى أعمارهم المتباينة .

ولا بد أن نعتمد على هاتين الطريقتين معاً (الملاحظة والتجريب) لنحصل بهما على حقائق ثابتة عن طبائع الأطفال .

الطريقة الجمعية :

وهى لا تقوم على دراسة طفل خاص ، بل على مجموعة من الأطفال ، فندرسهم فى اثناء عملهم ولعبهم وتنافسهم وغير ذلك من الظروف المختلفة ، ونعطيهم اختبارات جمعية معينة مثل اختبارات الذكاء والاختبارات المدرسية ، حتى نقف من كل ذلك على مدى نموهم العقلى والنفسانى من حيث

التفكير والإدراك والملاحظة والانتباه والحفظ وقوة الاستهواء والوجدان وغير ذلك .

القيمة العملية لدراسة الطفل :

١ — قد ساعدت دراسة الطفل على تفهم طبيعته وأطوار نموه المختلفة واكسبته حقوقا بعد أن لم يكن عليه إلا واجبات ، وصار ذا شخصية حقيقية ، يتمتع بكثير من الحرية التى تساعد على تنمية قواه الجسمية والعقلية والخلقية .

٢ — وجهت أنظار المربين من والدين ومعلمين إلى الفروق بين الأفراد وحملتهم على الاهتمام بها ، وصار من غايات التربية إنماء القوى المختلفة فى الأطفال ، والوصول بها إلى الدرجة المقدرة لها .

٣ — ساعدت المربين فى الوقوف على القوى العقلية فى الأطفال، فأصبحوا قادرين على معرفة أن هذا الطفل ذكى وذلك غبى مثلا، وآخر ضعيف الذاكرة أو بطىء الحفظ وغير ذلك . ومن هذا يعرف المربى ما يناسب الطفل فيعمل على إمداده به ، ولا يلومه على تأخر قد لا يكون له ذنب فيه ، أو ينسب اليه الكسل ويؤذيه ، دون أن يدرس العوامل والظروف التى تحوطه ، والتى قد تكون السبب فى ذلك التأخر أو الكسل .

٤ — تسببت فى إصلاح كثير من الغلطات الشائعة فى تعليم الصغار وأخصها التعليم النظرى الخالى من التدريب العملى . وبذا وفرت على الأطفال والمربين وقتاً كبيرا وجهدا عظيما كانا يضيعانه سدى من جراء سوء الطرق ، والجهل بطبائع الأطفال وأطوار نموهم .

٥ — أفادت فى وضع مناهج مرنة تتناسب وقوى الأطفال .

٦ — ساعدت المربين على فهم المشاكل الأخلاقية وصار الآباء والمعلمون

يفهمون أطفالهم تمام الفهم ، ويحاولون التأثير فيهم بتعديل بيئتهم ، وتحويل ميولهم إلى وجهات نافعة ، بعد أن أصبحوا يعرفون أسباب أفعالهم ومصادرها .

٧ — ساعدت على معرفة ضعاف العقول وعلى العناية بتربيتهم تربية عملية خاصة تتناسب وحالتهم العقلية .

الباب الخامس

العقل والجسم والصلة بينهما .

الجهاز العصبي ووظائفه .

تربية الجهاز العصبي .

العقل والجسم والصلة بينهما

إن كلاً منا يحس ويدرك ، ويتخيل ويفكر ، ويذكر شيئا وينسى آخر ، ويحكم على هذا ويستدل على ذلك ، ويجد فى نفسه ميلا شديدا إلى عمل ما ويشعر بنفور من عمل آخر . فمجموع هذه الخواطر التى تجول فى النفس ، والميول ، الموروث منها والمكتسب ، تسمى عقلا .

فالعقل قوة يصدر عنها السلوك غير الآلى .

على أننا لا نستطيع أن ندرك طبيعة العقل . ولكن تتجلى لنا مظاهره الثلاثة : المظهر الادراكى ، والمظهر الوجدانى ، والمظهر النزوعى . وهذه هى مظاهر الشعور ، وهو الحالة العقلية للانسان وقت اليقظة ، أو بعبارة أخرى ، هو أن يحس الانسان بما يحدث فى بيئته ، وما يحدث فى داخل نفسه من إدراك ووجدان ونزوع .

فالإدراك هو مجرد المعرفة أو الفهم لشىء من الأشياء التى تحيط بنا ؛ وهو يبدأ من الاحساس وينتهى بالتفكير .

أما الوجدان ، فهو شعور المرء باللذة أو الألم أو الحب والبغض أو غير ذلك من مختلف المشاعر . فإذا سارت الأمور فى مجراها الطبيعى من غير حائل يحول دون سيرها ، شعر المرء بالسرور والارتياح ، وعلى العكس من ذلك إذا وقفت عقبة فى سبيلنا ، وحالت دون نوال مقصودنا تأثرنا لذلك وشعرنا بالألم .

أما النزوع وهو المظهر الثالث لأى عملية عقلية ، فيبدأ بأبسط الأعمال الإنسانية وهى السلوك الغريزى ، وينتهى بالعمل الإرادى المقترن بالتفكير .

وليس الإدراك والوجدان والنزوع أنواعا منفصلة يتكون من مجموعها الشعور ، إنما هى مظاهر لشىء واحد هو العقل ، وتحدث كلها فى آن واحد ؛

ولكن لا يستلزم ذلك أن تظهر هذه المظاهر دائما بنسبه وبقوة واحدة ؛ بل الواقع إنها تختلف على حسب الأشخاص وأمزجتهم وأحوالهم الخاصة . فالوجدان يكون غالبا فى الانفعالات الشديدة ، والنزوع فى حالة قوة الارادة والعزم والتصميم ، ويغلب الإدراك فى حالة التفكير العميق .

أطوار الحياة العقلية : —

قسم علماء النفس الحياة العقلية للإنسان إلى ثلاثة أطوار — فالطور الأول هو طور إدراك المحسات وسيادة الانفعالات وغلبة السلوك الغريزى ؛ وهذا يظهر لنا فى حياة الطفل الصغير — والطور الثانى ، هو طور إدراك الكليات ونمو العواطف . والطور الثالث ، هو طور إدراك المعنويات وتكوين المثل العليا .

فحياة الإنسان تتطور منذ ولادته إلى بلوغه ، أطواراً مختلفة وينتقل من مرتبة إلى أعلى تبعا لنمو جهازه العصبى ، وازدياد خبراته ، واتساع أفق الحياة التى يحياها ، والتربية التى يتلقاها ، فحواسه قاصرة فى أول عهده بالحياة ، ومدركاته فى مبدئها تكون بسيطة غير واضحة ، وقلما تخرج عن دائرة الإحساسات الغامضة المبهمة . فإذا تفتحت حواسه ، وتقبلت الآثار التى تصل إليها من العالم الخارجى ، أخذ إدراكه الحسى يقوى شيئا فشيئا ويتقدم ، حتى يصل إلى مستوى إدراك العاقل المفكر . والفضل فى ذلك يرجع إلى حواسه التى تتصل بالعالم الخارجى اتصالا مباشرا ، وإلى نمو المخ والمراكز العصبية التى تتلقى الرسائل الواصلة إليها من الحواس ، فتترجمها وتؤولها وتربطها بعضها ببعض ؛ وهكذا يواصل العقل أعماله المختلفة .

الصلة بين العقل والجسم : —

إنا لا نستطيع أن ندرك العقل إلا فى كائن حى ، فلا نعرف عقلا

مجرداً عن الجسم . بل إن العقل والجسم يرتبطان فى الكائن الحى أحدهما بالآخر أوثق ارتباط .

والعقل حليف الجسم فى حركته وسكونه وحالة صحته أو اعتلاله . وتتوقف حركة كل منهما على الآخر . فمتى قويت أعضاء الحس وهى أبواب المعرفة والعلم ، قويت الملاحظة التى يتوقف عليها نمو باقى القوى العقلية .

فالعقل والجسم متحدان . فإذا نظرت العين شيئا ، أدركه العقل وإن اضطرب العقل ، اختلت حركات الجسم ، وهكذا .

والجسم مسرح للعقل تتجلى آثاره فيه ؛ لأن سلوك الإنسان وما يقوم به من مختلف الأعمال الجسمية ، إنما يعبرعن أعمال العقل . كما أن حالةالجسم الصحية تؤثر كل التأثير فى حالة العقل

فإن أصيب الإنسان مثلا بحمى شديدة ، ترتفع درجة حرارته ، وتؤثر حالته المرضية هذه كل التأثير على عقله ، فلا يستطيع الإدراك أو التفكير السليم ، وقد يصل به الأمر إلى النسيان التام ، أو الهذيان .

وكذلك يؤثر العقل فى الجسم ، فعند اضطراب العقل مثلا ، نشاهد أن المريض قد يأتى بحركات مختلة غير متزنة ، تتميز بالعنف والتخريب ، وربما أتى بأفعال قد تحدث لغيره أذى ، لأن قوته الجسدية تكون مجرد قوة حيوانية خالية من التفكير ، وليس للعقل والحكمة سلطان عليها .

أما إذا حدث لفرد حادث اصطدام مثلا ، وأصيب أحد المراكز المخية ، فقد يتسبب الشلل عن ذلك ، فلا يقوى المريض على تحريك العضو الذى يتصل بالمركز المصاب حتى ولو بإرادة منه ، كما أنه يفقد بعض القوى العقلية كالذاكرة إذا أصيب مركزها فى المخ .

وهناك غير ذلك كثير من الأمثلة المشاهدة التى تبيّن مقدارمابين الجسم والعقل من صلة وطيدة .

الجهاز العصبي . وظائفه بطريقة اجمالية .

تربية الجهاز العصبي من الصغر .

المجموع العصبي :

يتأثر الانسان بمؤثرات مختلفة ، بعضها يأتى من داخل جسمه ، والبعض الآخر مما يحيط به . وهذا التأثير هو الذى يدفعه إلى القيام بمختلف الأعمال . ويكون هذا عن طريق المجموع العصبي ، وهو مكون من مراكز عصبية ، وأعصاب تربط هذه المراكز بأعضاء الحس والعضلات وغيرها من أجزاء الجسم المختلفة ؛ فبواسطة هذه الأعصاب تنتقل جميع الآثار ، ماحدث منها فى داخل الجسم ، وما أتى من العالم الخارجي ، إلى المراكز العصبية .

فكل مؤثر يؤثر فينا ، وكل عمل نقوم به ، وكل انفعال ينتابنا ، إنما يرجع إلى عمل جهازنا العصبي ، أى أنه هو الذى يشعرنا بالمؤثرات المختلفة . وهو الذى يسيطر على سلوكنا ومشاعرنا . وقد سبق أن ذكرنا فى تعريف علم النفس أن العقل هو الذى يهيمن على السلوك والمشاعر والحالات النفسية المختلفة ، وعلى ذلك فالعقل مركزه الجهاز العصبي ، وإذن فهو يتحكم فى الجسم عن طريق هذا الجهاز . ونستنتج من هذا أن الرابطة بين العقل والجسم قوية متينة .

ويتركب الجهاز العصبي من مجموعتين كبيرتين هما : —

أولا : المجموعة الدماغية الشوكية — وتشمل الدماغ والنخاع الشوكى والأعصاب وعددها ٤٣ عصبا وهى موجودة على كل من جانبى الجسم ، وتنقسم إلى ١٢ عصبا دماغيا ، ٣١ عصبا شوكيا .

والدماغ تنقسم إلى ثلاثة أقسام : —

١ — المخ — وهو أكبر أجزاء الدماغ، وشكله بيضى، ويملأ كل تجويف الجمجمة تقريبا، وينقسم إلى نصفين يسميان بالنصفين الكرويين؛ وهذان النصفان متصلان من أسفل، ومنفصلان من أعلى بشق مستطيل. والطبقة الظاهرة للمخ رمادية اللون، وبها مراكز الحس المختلفة، وهى على هيئة تلافيف عديدة يقال إن عددها وعمقها يختلفان باختلاف ذكاء الإنسان. وهى المادة الرئيسية للجهاز العصبي لأن بها مختلف المراكز. وتتصل الجهة اليمنى من هذه المراكز بالجهة اليسرى من الجسم، والعكس بالعكس. وكذلك تكون هذه المراكز مرتبة ترتيبا عكسيا، أى أن المراكز المتصلة بأجزاء الجسم السفلى، هى أعلى المراكز موضعا فى المخ، والمراكز المخية المتصلة بأجزاء الجسم العليا هى أسفل المراكز فيه.

ومن ذلك يتبين لنا أن المخ هو المسيطر على جميع الحركات الإرادية وغير الإرادية، وأنه مصدر الاحساس والتفكير والإرادة والانفعال. فهو الذى يتلقى الرسائل الحسية. الآتية له من جميع أجزاء الجسم، ومن الحواس المختلفة، فيؤولها ويُصدر الأوامر بالحركة. ويُشعر بالإحساس والوجدان.

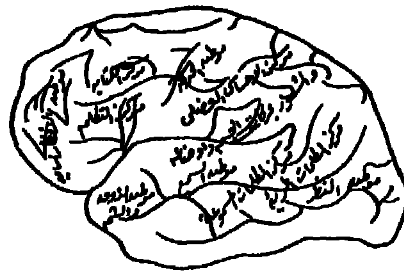
ومما يستحق الذكر، أن الطفل يولد بهذه المراكز كلها، غير أنها لا تقوم بوظائفها مرة واحدة. ولذلك لا يستطيع الطفل تأدية جميع الأعمال العقلية فى بدء حياته. على أن بعض المراكز المذكورة تعمل منذ ولادته، كمركز حركة الشفتين واللسان ومركز الذوق، وهو يقع فى أسفل الطبقة الظاهرة للمخ مع مركز الشم.

أما مركزا السمع والبصر فيقومان بوظيفتيهما بعد الولادة بأيام. ويقع أولها خلف مركز الذوق، والثانى فى مؤخر المخ من أسفل. ثم تأخذ المراكز فى النمو شيئا فشيئا؛ فينمو مركز السمع من مجرد الأصوات. وعندما ترتبط كل كلمة بمعناها ينمو مركز الكلام الذى يقع خلف مركز التفكير الموجود

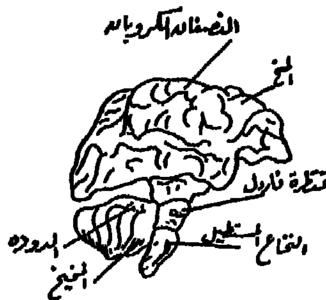
باعلى المخ من الأمام . وهنا يمكن للطفل محاكاة الأصوات بعـــد سماعها مباشرة. وعند ماتنمو الذاكرة والحافظة ، يصبح قادرا على تقليد تلك الأصوات بعد انقضاء فترة على سماعها . وفى هذه المرحلة تتصل مراكز السمع بمراكز الكلام والإبصار، فيتذكر الطفل مايمر به من الأشياء، ومدلولاتها من الأصوات والألفاظ ، ويستطيع ترديدها والتعبير عنها . وبالتدريج يستطيع أن يميز الأشياء بعضها عن بعض ، وأن يعين لكل منها اسما . وفى أثناء ذلك تحتفظ الحافظة بما يرد إليها من آثار السمع والبصر ، فيزيد إدراك الطفل . وينمو بعد ذلك مركزان جديدان هما مركز المرئيات ومركز الكتابة ، ويقع الأول منهما بجانب مركز البصر والثانى بين مركزى التفكير والكلام .

ويجب على المربى ألاّ ينسى أن هذين المركزين الجديدين ينموان ببطء ، فلا يُعلِّم الطفل الكتابة قبل نمو مركزها ، ولا القراءة قبل نمو مركز الكلمات المرئية ، ولا يملى عليه شيئا ليكتبه قبل نمو مركز الكلمات المسموعة ومركز الكتابة ، بل ينبغى أن يسير مع الطبيعة ولا يُحَمِّلها فوق طاقتها .

وتقع باقى المراكز فى أعلى المخ وأواسطه ، وكلها موجودة فى الطبقة الخارجية، ومرتبة تبعاً للنظام الذى سبق ذكره ، والمبيَّن فى الرسم .



المواطن المخية



الدماغ

والمهم أن نعرف أن أى نقص فى تكوين هـذه المراكز يسبب خللا فى وظيفة العضو المتصل بهـا ، وإن بدت لنا سلامته فى الظاهر ، فهناك حالات تظهر فيها العين كاملة التركيب ، ولكنها لا تستطيع الإبصار لتلف مركز البصر فى المخ .

٢ — المخيخ : — وهو أصغر من المخ فى الحجم ، ويقع فى أسـفل الجمجمة ، ويتصل به من أعلى ، وبالنخاع المستطيل من أسفل ، وينقسم إلى نصفين كرويين أيضاً وسطهما كتلة عصبية صغيرة تعرف بالدودة . وبه مراكز حركة العضلات وترابطها . ويعمل على حفظ توازن الجسم ، ويعاونه المخ فى ذلك .

٣ — النخاع المستطيل : — وشكله مخروطى ، وتتصل قاعدته بأسفل المخ والمخيخ ، كما تتصل قمته بالنخاع الشوكى . والجزء الأمامى والعلوى منه بارز يسمى بالقنطرة ، وبها عقدة الحياة ، وعندها تتقاطع الأعصاب الآتية من المخ إلى الحبل الشوكى ، فتذهب الأعصاب الآتية من نصف المخ الأيمن إلى الجزء الأيسر من الجسم ، والعكس بالعكس .

ويقوم النخاع المستطيل بإدارة الحركات الحيوية الهامة ، كحركات التنفس ، وتنظيم ضربات القلب ، والهضم وغيرها .

وأما النخاع الشوكى ، فهو حبل عصبى اسطوانى الشكل ، يبتدىء من الطرف الأسفل للنخاع المستطيل ، وينتهى فى القناة الفقرية على محازاة الفقرة القطنية الأولى ؛ وينتهى بطرف مدبب متصل به خيط ليفى رفيع ، يتصل بقاعدة العصعص ، ويسمى بالخيط النهائى ، ويوجد عليه انتفاخان ، أحدهما الانتفاخ العنقى ، ويقابل مبدأ أعصاب الطرفين العلويين ، والآخر الانتفاخ القطنى ، ويقابل مركز أعصاب الطرفين السفليين . ويشاهد على جانبى النخاع ،

الأعصاب الشوكية وعددها ٣١ عصبا على كل جانب ، ويتصل كل عصب بالنخاع الشوكى بوساطة حبلين ، أحدهما من الأمام ، والآخر من الخلف . وتتفرع هذه الأعصاب فى أجزاء الجذع والأطراف .

وتحاط الدماغ والنخاع الشوكى بثلاثة أغشية ، الظاهرة منها تسمى (١) الأم الجافية ، ويليها (٢) العنكبوتية ، ثم (٣) الأم الحنونة ، وهى الغشاء الداخلى .

والأم الجافية ، مكونة من غشاء ليفى متين ملتصق بعظم الجمجمة ، ويمتد فى القناة الفقرية . أما العنكبوتية ، فهى غشاء رقيق شفاف يُكَوِّن كيسا حول الدماغ والنخاع الشوكى ، بداخله السائل المخى الشوكى . والأم الحنونة تتكوّن من غشاء رقيق أيضا يلتصق بالدماغ والنخاع الشوكى ، وتتفرع فيه الشرايين قبل دخولها إلى الأجزاء العصبية .

ويطلق على الدماغ والنخاع الشوكى ، الجهاز المركزى .

والجزء الثانى من المجموعة الشوكية الدماغية يتكوّن من الأعضاء المعروفة بالجهاز الدائرى أو المحيطى وهى الأعصاب . وكل عصب من هذه الأعصاب عبارة عن حزمة مكونة من عدة ألياف عصبية محاطة بغشاء رقيق . والعصب إمّا صادر من مركز عصبى ، أو وارد إليه . فالأعصاب الصادرة هى التى تنقل الأمر من المركز العصبى إلى العضو الذى يقوم بالعمل ، ولذلك تسمى أيضا بأعصاب الحركة . والأعصاب الواردة هى التى تنقل الأثر من أجزاء الجسم إلى المركز العصبى ، ولذلك سميت بأعصاب الحس . وهناك أعصاب تقوم بكلتا الوظيفتين كما يحدث فى الاعمال المنعكسة .

والأعصاب كلها على نوعين : —

١ — الأعصاب الدماغية ، وهى اثنا عشر عصبا على كل جانب ، وتتفرع

من المخ والنخاع المستطيل، وتخرج من الثقوب التي فى قاعدة الجمجمة، وبيانها كما يلى بالترتيب : العصب الشمى، والعصب البصرى، والعصب المحرك لأغلب عضلات العين، والعصب الاشتياقى « محرك لعضلة واحدة من عضلات العين »، والعصب التوءمى الثلاثى وهو أكبر الاعصاب الدماغية وفروعه محركة لعضلات المضغ ومتصلة بحساسية جلد الوجه، والعصب المحرك الوحشى للعين، والعصب الوجهى، والعصب السمعى، والعصب اللسانى، والعصب الحائر « محرك للقلب والرئتين والأمعاء »، والعصب الإضافى الخاص بالتنفس والقناة الهضمية، ثم عصب تحت اللسان.

٢ — الأعصاب الشوكية، وعددها ٣١ عصبا على كل من جانبى الجسم وتتركب من : ٨ عنقية، و١٢ صدرية، و ٥ قطنية، و٥ عجزية و١ عصعصا.

وهذه الأعصاب مع النخاع الشوكى تسيطر على الأفعال المنعكسة.

والفعل المنعكس، كالسعال والعطس وإغلاق العين عند اقتراب شىء منها فجأة، وإبعاد اليد إذا لامست شيئا ساخنا، وسحب القدم إذا وخزها جسم شائك، وما شابه ذلك من الحركات الآلية المختلفة، التى لا تحتاج إلى إرادة أو تفكير. ويقوم بهذه الحركات أعضاء الجسم نتيجة لمؤثر خارجى. ينتقل تأثيره فيها بواسطة الأعصاب الواردة إلى المراكز العصبية المتصلة بها. وهذه المراكز تُصدر عن طريق الأعصاب الصادرة أوامر بالحركة المناسبة. وكل هذا يحصل فى وقت وجيز يكاد لا يشعر به المرء. والأفعال المنعكسة تعمل على حفظ الأعضاء التى تقوم بها من الخطر.

ثانيا : العظيم السمبتوى أو مجموعة الارتباط العصبى أو المجموع العقدى

وتتركب هذه المجموعة من سلسلتين من العقد العصبية متقابلتين مع جانبى العمود الفقرى، وهى تتفرع الى فروع عصبية دقيقة جداً تنتشر فى جميع

الأعضاء التى تقوم بالأفعال غير الإرادية ، كالقلب والرئتين والكبد وغيرها من الأعضاء الباطنة ، وفى جُدُر الأوعية الدموية .

فهى تعمل على توافق الوظائف الحيوية للأعضاء الرئيسية فى جسم الانسان ، مثل وظائف القلب والمعدة وغيرهما ، يساعدها فى ذلك النخاع المستطيل .

وكل هذا العمل آلى لا يحتاج إلى المخ إلا فى حالات خاصة كتعب القلب أو المعدة أو ما شابه ذلك . وفى هذه الحالات يتدخل المخ ويسعى فى إزالة الألم .

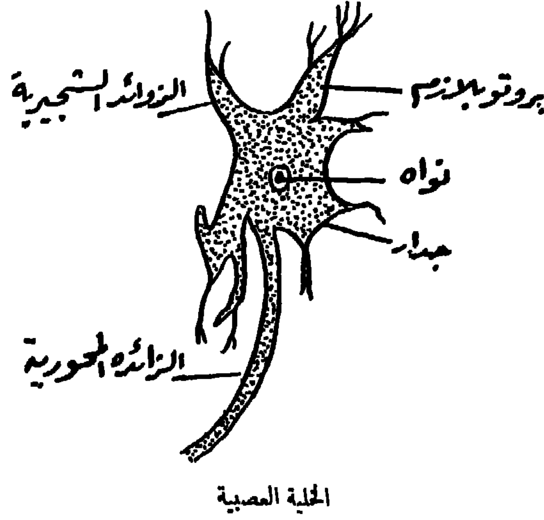
الخلايا العصبية

وجميع أجزاء الجهاز العصبى التى سبق ذكرها ، مكونة من عدد لا يحصى من الخلايا العصبية ، وتمتاز هذه الخلايا عن غيرها من خلايا الجسم الأخرى بوجود زوائد قصيرة كثيرة التفرع تربطها بعضها ببعض ، وتسمى بالزوائد الشجيرية . وبكل خلية زائدة واحدة طويلة ، تسمى بالزائدة العصبية المحورية ، وامتدادها يكوّن الأعصاب .

وهذا الاتصال الذى يربط بين الخلايا بعضها ببعض غير مباشر ، إذ أن الزوائد الشجيرية للخلية الواحدة تتقابل مع الزوائد الشجيرية لخلية أخرى تقابلاً غير تام ؛ ومعنى ذلك أنه يوجد بين الشجيرات فراغ دقيق . ويسمى هذا الاتصال غير التام ، « سِنَابْسْ » .

وهذا الاتصال غير التام مهم جداً ، لأن الإرشادات والآثار التى تحملها الأعصاب المختلفة إلى الخلايا العصبية تنتقل من خلية إلى أخرى عن طريقه . وعليه يتوقف سرعة الإدراك وسرعة أداء العمل أو بطئه ، إذ تقفز هذه الإشارات من خلية لأخرى ، وقد يصعب ذلك أحيانا فلا تتمكن الإشارة

من الانتقال إلاّ بصعوبة ، وقد تضطر إلى تغيير سيرها ، فتتأخر فى الوصول إلى المخ . ولذلك يختلف الناس اختلافا بيّناً فى سرعة الحفظ وغيره . لأن الإشارات لا تؤثر فى الإنسان إلا متى وصلت إلى مراكزها فى المخ .



الخلية العصبية

وأهم ما يجب على المربى معرفته خاصا بالجهاز العصبى هو :

١ — إن الخلية العصبية تتأثر بالمؤثرات الداخلية والخارجية ، كشعورنا بالجوع ورؤية ما حولنا .

٢ — إن الخلية العصبية تحتفظ بالأثر إلى حين ، ولذلك يمكننا استذكار المعلومات وتكوين العادات العقلية والحركية والخلقية وغيرها .

٣ — إنها هى التى تحمل الإشارات الداخلية أو الخارجية إلى المراكز العصبية .

٤ — إنها تتعب من مواصلة تأدية وظيفتها ، فيجب أن تستريح . وتختلف قابليتها للتعب باختلاف السن ، ولذلك وجب عدم إرهاق الأطفال بتكليفهم الاستمرار فى العمل بعد شعورهم بالتعب .

٥ — إن كل المؤثرات تصل إلى المراكز كتلة واحدة. فاذا رأينا صورة فاننا نراها كشيء واحد؛ وقد نستطيع بعد ذلك أن ندرك أجزاءها المختلفة وأجزاء تلك الأجزاء.

تربية المجموع العصبي:

تبيّن لنا مما ذكر مدى تحكم الجهاز العصبي فى إدارة الجسم، ومدى أثره فى عمل العقل بصفته مركزاً له، ويكفينا من ذلك أن جميع أعمالنا الجسمية والعقلية، وما يترتب عليها من حالات نفسية كالانفعالات المختلفة، إنما هى نتيجة قيام المجموع العصبي بوظائفه فى الظروف المختلفة.

ولما كان هذا المجموع العصبي كغيره من الأجهزة، غير تام النمو عند الولادة فهو إذاً فى حاجة إلى التربية الصالحة، والنمو المنتظم الذى يكفل للطفل حياة مستقبلة هادئة سعيدة. وقبل أن نتكلم عن هذه التربية، نلفت النظر إلى أن المسئولية الأولى فى نمو هذا الجهاز، تقع على الأم فى أثناء حملها، فكثرة السهر والتفكير وعدم انتظام المعيشة فى أثناء هذه المدة يؤثر فى الجهاز العصبي لجنينها البريء. ونتيجة لذلك قد ينشأ حاد الطبع كثير الغضب، وقد ينشأ أيضا ضعيف القوى العقلية.

وتتوقف تربية هذا الجهاز وكمال نموه على مراعاة القواعد الصحية فى تربية الجسم والعقل منذ الصغر، وما تشمله تلك التربية من تغذية كافية مفيدة وهواء نقى ونظافة مستمرة، ونظام دائم، ورياضة جسمية وعقلية، وراحة كافية، وغير ذلك مما يكفل تأدية كل من الحواس ومن الأعضاء المختلفة لوظيفته على أحسن وجه.

هذا إلى العناية بتنمية كل القوى العقلية مثل الانتباه والملاحظة والذاكرة والخيال وغيرها، وتدريبها تدريبا مُنَظَّما، وتقويتها على القيام بوظائفها خير

قيام . كما يجب أن نعمل على تهذيب الغرائز والميول الفطرية وتعديلها ، واستغلال نشاط الطفل الذاتى استغلالا حسنا حكيما فى الوقت المناسب ، فلا يصح أن يكون ذلك سابقا لأوانه أو متأخرا عنه ، لأنه يكون فى كلتا الحالتين ضارا بالطفل . ولا يخفى ما لهذه الغرائز والميول من الأثر الكبير فى تكوين مجموع الطفل العصبى وتربيته . ولا شك أن فى ظهورها مجالا واسعا لزيادة عمل هذا المجموع وتدريبه وتمرينه على تأدية وظيفته بما يصل إليه من الآثار التى تأتى له عن طريق الحواس المختلفة . ويتبع ذلك بطبيعة الحال نمو إدراك الطفل الحسى الذى هو نتيجة توطيد الصلة بين المراكز المخية المختلفة التى تكوّن المجموع العصبى .

وإن للبيئة المحيطة بالطفل أشد الأثر فى تنمية هذا الجهاز، لأن كل مايسمعه الطفل ويراه ويلمسه ويتذوقه ينطبع على مجموعه العصبى المرن ، فيتأثر به أشد التأثر ، حتى ليصعب إزالة هذا الأثر فيما بعد .

فعلى المربى إذن أن يُعنى كل العناية بتربية المجموع العصبى للطفل منذ صغره على الأساس الذى سبق شرحه ، لأن ذلك يجعل كل جزء من أجزاء جسمه يؤدى وظيفته على أتم وجه . وبذلك يضمن له فى المستقبل حياة سعيدة .

وتربية الجهاز العصبى تؤدى إلى قيام الأعضاء الظاهرة والباطنة بأعمالها بنظام . فينمو الجسم نموا طبيعيا مطردا لا اضطراب فيه ، وينمو العقل تبعا لذلك ويقوى .

وإذا ما اشتد جسم الطفل ونما عقله ، قويت إرادته ، واستطاع التحكم فى مشاعره ، وضبط انفعالاته ، فيسهل بذلك تكوين أخلاقه ، وبث العواطف الشريفة فيه ؛ وينشأ تبعاً لذلك نشأة طيبة ، ويتّجه فى حياته اتجاها صالحا .

وعلى المربى أن يعالج الأطفال ذوى الأمزجة العصبية، وذلك بمعاملتهم معاملة لينة وإحاطتهم ببيئة هادئة ، خالية ممايهيج أعصابهم ، ويُقلق وجدانهم .

الباب السادس

الغرائز

أثرها فى حياة الانسان — دراسة بعض الغرائز الهامة :

التملك أو الأقتناء — حب الظهور أو التسلط —

الانقياد أو الخضوع — المقاتلة .

دافع المنافسة .

الغرائز

إذا شاهدنا الطفل الصغير بعد أن يولد ، نجده يستطيع القيام بحركات كثيرة من تلقاء نفسه ، كتحريك ذراعه ورأسه ، وكالعطاس والتثاؤب ، وكالاضطراب والانزعاج ، أو الزحف والجرى إن استطاع ذلك ، إذا سمع دوياً مفاجئاً .

هذه الحركات ومثيلاتها إذن فطرية فيه ، خلق الله الطفل وهو قادر على القيام بها ، دون أن يعلمه أحد ذلك .

ومن هذه الحركات مايسمى بالحركات العكسية أوالمنعكسة ، وهى الحركة التى يقوم بها عضو واحد من أعضاء جسم الإنسان إذا ما وُجد سبب خاص له ، دون أن يتعلم القيام بها فى حياته ، فغمض العين إذا ما اقترب منها شىء متحرك ، يسمى حركة منعكسة أو فعلا منعكسا ، والعطاس إذا مادخل الأنف شىء ، وارتفاع الساق إذا ضرب على أسفل الركبة ، وتضييق حدقة العين إذا وقع عليها ضوء شديد ، كل ذلك يسمى بالأفعال المنعكسة .

والفعل المنعكس الذى خلق الله الإنسان قادراً على أدائه ، بسيط لا يكاد يشترك فى أدائه إلا عضو واحد من أعضاء جسم الإنسان ، وهو يحفظ كيان العضو الذى يقوم به . فالعين تغمض حتى تتقى بذلك ضرراً قد يصيبها ، والأنف تعطس حتى تخرج من الأجسام التى دخلت فيها ما قد يضر بها ، والحدقة تضيق إزاء النور الشديد حتى تحمى نفسها من أثره وهكذا .

وهناك نوع آخر من الأفعال ، نجد أن الإنسان يستطيع القيام بها بالفطرة دون أن يتعلمها ، ولكنها تختلف عن الأفعال المنعكسة من حيث اشتراك أكثر من عضو واحد فى القيام بها ، ومثلها الهرب إذا ظهر أمام الإنسان

ما يخيفه ، فإن ساقيه ويديه وعينيه وسمعه تشترك فى حركة الهرب . وكالمقاتلة إذا حدث ما يغضبه ، فإننا نجد فى الغالب أن أعضاءً كثيرة تقوم بحركة الهجوم والنزال . ومثل هذه الأفعال تُسَمَّى بالأفعال الغريزية .

وإذا كان الفعل المنعكس يعمل على حفظ العضو المختص بحركته ، فإن الفعل الغريزى يعمل على حفظ كيان الفرد كوحدة أو الجنس ككتلة . فالإنسان يهرب ليحفظ حياته من خطر داهم ، وهو يقاتل لينتصر على ما يقفه فى سبيله فى الحياة ، وهو يتناسل ليحفظ جنسه من الفناء .

وهذه الأفعال الغريزية المختلفة ، ناشئة عن قوى فطرية كامنة فى كل نفس تسمى بالغرائز ؛ فالغريزة قوة فطرية تجعل الإنسان يقوم بأفعال خاصة للوصول إلى أغراض معينة . وتتصل هذه الأغراض بالمحافظة على الإنسان أو على جنسه .

ولقد اختلف الناس فى حصر الغرائز الإنسانية ، فمنهم من وصل بها إلى ما فوق الأربعين ، ومنهم من نزل بها إلى اثنتين أو ثلاث . على أن كثيرا من علماء الوقت الحاضر قد اتفقوا على حصرها فى أربع عشرة غريزة ، تتميز كل منها بشعور خاص من الوجدان ، يشعر الإنسان به إذا أثيرت فيه . فعندما تثار غريزة الهرب يشعر الإنسان بالخوف ؛ وعندما تثار غريزة المقاتلة يشعر الإنسان بالغضب ؛ وإثارة السيطرة تأتى بالزهو ، وهكذا الأمر فى بقية الغرائز .

ولقد دعى ذلك العلماء إلى التوسع فى تعريف الغريزة التى سبق أن ذكرناه ، حتى يشمل النص على ذلك الشعور من الوجدان ، وقد أطلقوا عليه « الانفعال » .

على أننا لو دققنا النظر فى أمر الغريزة وإثارتها ، لوجدنا أن الإنسان

ينتبه لما يثيرها فيه ، ويدركه دون غيره من مختلف الأشياء ، فإذا ظهر حيوان مفترس مثلا ، وأثار غريزة الهرب وجّه الإنسان له أكثر انتباهه . وإذا ظهر شيء جديد أمام المرء فأثار غريزة حب الاستطلاع فيه ، تحوّل أكثر الانتباه إليه وهكذا .

ولذلك لم يكن التوسع فى تعريف الغريزة خاصا بإدماج الشعور بالانفعال فيه فقط ، ولكن العلماء وضعوا فيه أيضا نصا على إلزام الغريزة المرء أن ينتبه إلى ما يثيرها فيه . ويمكننا أن نذكر التعريف الشامل للغريزة فيما يأتى :
الغريزة قوة فطرية تجعل الإنسان ينتبه إلى أشياء خاصة (وهى ما تثير الغريزة) ويشعر بانفعال خاص ، ويقوم بأفعال خاصة ، أو على الأقل يشعر بدافع الرغبة فى القيام بتلك الأفعال الخاصة ، إن كان هناك ما يمنعه من القيام بها .
فالاستطلاع مثلا غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى أى شيء جديد عليه ، ويشعر بانفعال العجب ، ثم يقترب من ذلك الشيء أو يقلبه بين يديه للتعرف عليه ، أو يشعر بالرغبة فى ذلك دون أن يحققها ، إن كان ممنوعا عليه أن يقترب ويقلّب .

وحب الاجتماع كذلك غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى حالة وحدته وانفراده التى تثيرها فيه ، ويشعر بذلك ، ويعمل على أن يذهب إلى مجتمع أو منتدى حتى يكون بين الناس .

والتسلط أو حب الظهور غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى من هم أقل منه ، فهؤلاء يثيرونها فيه ، فيشعر بانفعال الزهو ، ويعمل على أن يظهر قدرته وكفاءته أو يتظاهر بهما .

وهكذا فى بقية الغرائز .

وإن ذلك الانفعال الذى يظهر عند إثارة الغريزة ، هو نواتها ، وهو ما يميزها عن غيرها من الغرائز الأخرى ، وهو أيضا الأساس الذى اتخذه

كثير من العلماء لحصرها فى الغرائز الأربع عشرة الآتية :

الغريزة	الانفعال
(١) الاستطلاع .	العجب .
(٢) الهرب .	الخوف .
(٣) المقاتلة .	الغضب .
(٤) السيطرة أو التسلط .	الزهو .
(٥) الخضوع .	الخنوع (الاستكانة) .
(٦) الوالدية .	الحُنُوُّ .
(٧) البحث عن الطعام .	الجوع .
(٨) النفور .	الاشمئزاز — التقزز .
(٩) الاستغاثة .	اليأس .
(١٠) الاجتماع .	الشعور بالوحدة .
(١١) التركيب .	الشعور بحب البناء .
(١٢) الاقتناء أو التملك .	الشعور بحب الملك .
(١٣) الجنسية .	الشهوة .
(١٤) الضحك .	المرح أو التسلية .

ويجب أن نذكر هنا ، أن فى الحيوانات غرائز تماثل الغرائز الإنسانية ، فالهرب والمقاتلة والاستطلاع والجنسية والبحث عن الطعام والوالدية موجودة فى كثير من الحيوانات ، والاقتناء موجود فى بعضها كالنمل مثلا . كما أن لدى الحيوانات غرائز تختلف باختلاف النوع ؛ فغريزة بناء العش موجودة فى الطيور ، وبناء الجحر فى الثعلب والأرنب وغيرهما .

ولكن غرائز الانسان تختلف عن غرائز الحيوان فى أنها أكثر مرونة

وقابلية للتعديل ، وذلك لتفوقه فى الذكاء ، وفى الحقيقة نجد أن مرونة الغرائز تزداد كلما ارتقى الكائن الحى فى المرتبة الحيوانية ، فهى فى الحشرات أقل مرونة منها فى الحيوان ، وفى الحيوان أقل مرونة منها فى الإنسان .

والغرائز أهم الأسس التى ينبنى عليها سلوك المرء وأفعاله فى الحياة ، فالاستطلاع أساس المعرفة والتعليم ، والسيطرة أساس التفوق والمثابرة ، والمقاتلة أساس الكفاح وتذليل العقبات ، والهرب (الخوف) أساس الحذر والاحتراس .

وهذه الغرائز تتفاعل كلها معاً ، وتتعدل وتتطور ، وتمتزج وتنتظم ، فمنها تتكون العواطف والمثل العليا والأخلاق والعادات التى هى أساس الحياة المنظّمة ، والمعيشة الاجتماعية الراقية . ولذلك كان واجباً علينا أن نعنى بها أشد العناية ، وأن نعمل على تهذيبها فى الطفل منذ نعومة أظفاره ، حتى لا تدفعه إلى طرق عقيمة تضر به ، وتجعل حياته مليئة بالشرور والبؤس والشقاء .

من كل هذا نرى أن الطفل لا يُخلق صحيفة بيضاء كما يقول بعض العلماء ، ولا يخلق شريراً أو صالحاً ، ولكنه يخرج لهذه الحياة بقوى واستعدادات ، إن نحن هذبناها وربّيناها ، فإنّنا نخرجه بذلك فرداً طيباً صالحاً نافعاً لنفسه ولأسرته وللمجتمع الذى يحيا فيه . أما إن أهملناها فقد تصبح وبالاً عليه ، تدفعه إلى الشرور والآثام ، فينبذه المجتمع ، ويشقى فى الحياة .

وتهذيب الغريزة ليس معناه الضغط عليها ، فالضغط ضار بالطفل . ومهما حاولنا فلن ننجح فى قتل الغريزة أو مسحها من نفسيته . وإن تراءى لنا أننا قد نجحنا ولم يظهر للغريزة أثر ، فليس معنى ذلك أنها قد ذهبت من عقله وانمحت من حياته النفسية ، بل إنها قد اختفت فيما يسمى بالعقل الباطن ، تسيّر المرء دون أن يدرى ويشعر ، وتحدث فى سلوكه أسوأ الأثر . وقد

يتسبب عنها شذوذ فى خلقه ، واضطراب فى عقله .

وقد ينتج عن الضغط رد فعل شديد ، فإن حرمت الطفل من إرضاء غريزة المقاتلة وضغطت عليها فيه . فقد تنفجر فيقسو أشد قسوة ، ويضرب أخواته الصغار ، ويعتدى على الحيوانات الضعيفة ، بل وقد يعتدى بالقول أو بالفعل على من ضغطها فيه .

على أن آثار الضغط على الغريزة لا يعدو فقط أحد هذين الأمرين السابقين ، بل قد يكون من أثره أن يحاول الناشىء إرضاء غريزته سراً وخفية بعيدا عن الرقباء الشديدين عليه ، وقد يندفع لجهله أو لاستعانته بغير مربيه ، من خدم أو أطفال أكبر منـــه سناً ، لأن يسلك طريق الإجرام ، كأن يسرق إن ضُغِطَ على غريزة الاقتناء عنده ، أو يشاكس الناس ويعتدى عليهم ، إن كان الضغط واقعاً على غريزة المقاتلة .

وكما أن للضغط على الغريزة أثره السيىء ، فإن إعطاء الطفل الحرية الكاملة فى إرضائها ضار به ، إذ قد تؤدى به الغريزة إلى مناهج فاسدة ، وبذلك ينشأ فردا غير صالح لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه . فإن أعطيت غريزة المقاتلة الحرية الكاملة ، فقد تدفع الطفل للضرب والشجار والقسوة والعنف .

وإذن كان من الواجب ألا تنهج منهج الشدة والضغط فى معاملة غرائز الطفل . كذلك يجب ألا نعطيها الحرية كاملة ؛ بل نوجهها فى الجهات الصالحة النافعة فنجعل الطفل يرضى غريزة حب الاستطلاع بتشجيعه على السؤال وإشباع عقله بما يناسبه من الإجابات . ونجعله يرضى غريزة المقاتلة فى ألعـابه الهجومية كلعب البحث والاختفاء « استغماية » وألعاب الحروب ، وفى تشجيعه على تذليل ما يعترضه من عقبات وعوائق .

ونحوّل غريزة السيطرة نحو العمل على التفوق فيما ينفع ويفيد ، لا فى أن يهتم الطفل كل الاهتمام بملابسه ومظاهره فقط .

وإرضاء الغريزة فيما ينفع الفرد ولا يضر بالمجتمع يسمى « إعلاءً » أو تساميا . وهو من أهم ما يجب على المربين أن يقوموا به نحو غرائز الأطفال الناشئين .

المقاتلة والغضب

المقاتلة غريزة موجودة فى الإنسان والحيوان ، وظاهرة قوية فى الجماعات أيضا ، إلا أنها تأخذ أشكالاً متباينة على حسب تأثير نوع البيئة والمجتمع .

ويصحب هذه الغريزة انفعال الغضب . وهو شعور وجدانى قوى يحدث بعض آثار ظاهرة فى الجسم ، وتهتاج له الأعصاب . وهو الذى يحفز الإنسان للدفاع عن نفسه أمام من اعتدى عليه .

والغضب له أثر خطير فى حيـــاة الفرد . إذ يضر بصحته وأخلاقه إذا اشتد وتكرر . أما إذا تهذب ، جعل صاحبه شجاعا مقداما ، يدافع عن أهله ووطنه .

ويثير غريزة المقاتلة رؤية العدو ، أو التعدى على حقوق الفرد ، أو مس كرامته ، أو وجود حائل بين الشخص وبين الوصول إلى رغبته .

وكلنا يلاحظ هذه الغريزة فى الصغار وفى الكبار على السواء . فمثلا إذا حاولنا أخذ لعبة من الطفل فى الوقت الذى يريد فيـــه اللعب بها ، أو إذا بعثرنا ما يجمع من الأشياء ، أو حاولنا هدم القصر الذى يشيده من الرمال ، أو غير ذلك من ضروب الممانعة للأعمال التى يميل إليها الطفل ، فإذا نلاحظ

عليه . . ؟ نلاحظ تغيرا فى ملامح وجهه ، إذ تبدو عليه أمارات الغضب ، ثم لا يلبث أن يصرخ ويبكى ويشتم ويلق ما بيده ، وربما هشمه أو داسه بأقدامه . ولا يتمكن غالبا من ضبط نفسه إذا كان الشيء عزيزا عليه ، فتراه يهجم على المعتدى يقاتله ويضربه ، ويعضه لتدخله فى أموره الشخصية .

وبين سن ٧ و ١٢ نرى الأطفال يتشاجرون لأتفه الأسباب . وإذا لاحظناهم فى الملعب — وخاصة الأولاد منهم — وجدناهم يشبعون هذه الغريزة بالمشاكسة والشجار والملاكمة والمهاجمة وغير ذلك من وسائل المقاتلة .

كذلك الحال مع الكبار . إلا أن الطفل ينقصه ضبط النفس . أما الكبير فيتمكن من ضبط نفسه ، وتحكيم عقله عند الغضب .

هذا ويجب أن نوجه هذه الغريزة إلى ما هو مفيد ونافع لصحة الفرد وأخلاقه معا . فالألعاب الرياضية بأنواعها ، كالمصارعة وكرة القدم وغير ذلك ، كلها أشياء تنفس عن غريزة المقاتلة .

ولما كان الغضب من الانفعالات الشديدة التى يجب تهذيبها ، وجب على المربين العناية بمعاملة الطفل الغاضب معاملة معتدلة حازمة ، وأخذه باللين والهدوء حتى تخمد ثورته ، ويعود إلى حالته الطبيعيه . ولا يصح بأى حال من الأحوال أخذه بالشدة والعنف ، لأن ذلك يزيد الطين بلة ويترك أثرا سيئا فى نفس الطفل ، كما يزيد قوة الباعث على الغضب عنده .

ونستطيع أن نسمو بالغضب إلى عاطفة راقية أو خلق كريم ، بأن نربطه بمثيرات سامية ، كالغضب للحق والدفاع عن الأهل والوطن ، ومواجهة الصعاب والتغلب عليها .

غريزة الأدّخار أو التملك

كثيراً ما نلاحظ هذه الغريزة بوضوح وجلاء فى عهد الطفولة ، بل إنّنا لنراها تلازم بعضنا طول حياته . فمن يبحث فى جيب أحد إخوته الصغار يجده محشوا بذخائر يراها الصغير فى نظره ثمينة ، وما هى إلا قصاصات من ورق ملوّن أو قطع من الخزف أو الحجر أو الزجاج ، أو عدد من البكر أو المسامير أو ما شابهها . فالطفل يجمع ما يقع تحت متناول يده ، أو يجتذب التفاته ، بغضّ النظر عن فائدته أو قيمته ، وهو فى ذلك يلبى نداء هذه الغريزة المُلِحّة .

وتختلف الأشياء التى يدخرها الطفل على حسب البيئة التى يعيش فيها . فالطفل القروى تختلف مجموعة مقتنياته عن ساكن المدن ، ومجموعة المصرى تخالف بعض المخالفة مجموعة الانجليزى أو الفرنسى .

وكل ما يجمعه الطفل يعتبره ملكا له ، يدافع عنه ويبذل النفس والنفيس فى سبيل الاحتفاظ به . وهذا الميل الغريزى فى الطفل يصحبه سرور ولذة عظيمان ، هما نتيجة شعوره بأن له شيئا يحتفظ به ويستمد التسلية والقوة منه .

وإنا لنلاحظ أن الطفل يميل إلى تملك كل ما له علاقة مباشرة به ، فهو يعتبر ثدى أمه ملكا له ، كذلك مربيته ، ولعبته وملبسه ، وهلم جرا .

قيمتها فى التربية :

إن لهذه الغريزة قيمة فى التربية لا يستهان بها إذا وجهت الوجهة الصالحة . ففائدة الأشياء المدخرة ليست مقصورة على قيمتها فحسب ، بل إن هذه الأشياء تعمل على استثارة شوق الطفل إلى ملاحظتها ملاحظة دقيقة ، وإلى البحث عن منشئها وفائدتها وقيمتها الجغرافية أو التاريخيه ، ومقارنتها بما يماثلها ،

وتدوين الملاحظات عنها ، ثم وضعها فى مكان خاص ، ترتّب فيه مع غيرها من الأشياء التى من نوعها من نبات أو حيوان أو جماد . وبذا تكون هذه الغريزة وسيلة لتوسيع معلومات الطفل . كما تصبح هذه المعلومات التى سعى إلى تحصيلها بباعث من عنده ، ذات أثر قوى فى نفسه .

وقد أدرك المربون ما لهذه الغريزة من فائدة فى التعليم ، فأنشأت لكل مدرسة متحفا خاصا لما تجمعه الأطفال من مختلف الأشياء ، وشجعتهم على جمع كل ما يتصل بدروسهم المختلفة .

وقد يحصل أن يندفع الطفل بحكم هذه الغريزة ، فيمد يده إلى ما لا يملك . وقد يعتبر سارقا فى نظر أمه فى هذه الحالة ، فتعاقبه دون أن يكون هناك ما يستحق العقاب ، إذ أنه لا يفرق بين ما هو خاص به ، وما هو خاص بغيره . وواجب الأم فى هذه الحالة أن تفهمه أن ما أخذه ليس ملكا له ، بل هو ملك لغيره ، وأن عليه أن يرده إلى صاحبه . وأنه كما لا يحب أن يتعدى على متاعه أحد ، فكذلك يجب ألا يتعدى على ما هو ملك للغير . وعلينا أن نشبع هذه الغريزة فى الأطفال بأن نخصص لهم (مصروفا) ، ونمدهم باللّعب التى تناسب أعمارهم حتى لا تدفعهم هذه الغريزة إلى إرضائها فى الخفاء .

غريزتا حب الظهور والخضوع

غريزة حب الظهور أو السيطرة :

هذه الغريزة تدفع الطفل لأن يعمل على اجتذاب أنظار الغير نحو ما يقوم به من شتى الأعمال ، كما تحمل صاحبها على معارضة سلطة الغير حبا فى الاستقلال والحرية الشخصية ؛ وتدفعه إلى تسخير غيره فى قضاء حاجاته .

ولو أننا لاحظنا تصرفاتنا ، لوجدنا هذه الغريزة ظاهرة جلية فيها . فكل واحد منا يسعى لمقاومة نفوذ الغير ، وإظهار سلطته عليه بكل ما أوتى من قوة جسمية أو نفسية . وفى هذا يشعر المرء بشيء من اللذة والراحة الناتجين من إشباع هذه الغريزة .

وإنا لنرى الطفل يسعى لإظهار قوته على بيئته ، ويحاول أن يبسط سلطته عليها ، ويسخرها فى أموره الشخصية . فهو يحب فى لعبه أن تكون له السيادة ، فتارة يرفع شيئا ثقيلا ليظهر قوته الجسدية ، وطورا يحاول أن يخضع لُعْبَته ليبدو بمظهر السيطرة والسلطان . وقد يقاوم الطفل سلطتنا مستعينا بغيره من الأطفال الذين يلعب معهم . ولكن طبائع الأطفال تتفاوت فى قوة الباعث لهذه الغريزة ؛ فبعضهم يقاوم بشدة ، وبعضهم يخضع بسهولة . والطفل الذى يقاوم سلطة غيره ، يسعى غالبا إلى تسليط قوته عليه . وهذا يظهر جليا فى ألعاب الأطفال الجمعية ، حيث نجد أكثر من واحد منهم يتسابق للقيادة وإعطاء الاوامر . والطفل الذى يأمر وتطاع أوامره ، لا بد أن يكون خليقا بالقيادة ، مزودا بعناصر جسدية أو فكرية تؤهله لتزعم غيره من الأطفال .

وهناك عدا إلقاء الأوامر وحب القيادة منافذ أخرى للطفل ، يظهر بها سلطته ، كالتظاهر والتفاخر والاستئثار بالكلام . وهذه المظاهر نشاهدها كثيرا فى أطفالنا كل يوم .

وواجبنا أن نخفف من وطأة هذه الغريزة ، فلا نغالى فى زخرف ملبس الطفل كيلا نساعده على التفاخر والكبرياء . كما يجب ألاّ نعوِّد الطفل الأمر والنهى ، لأنه بذلك يصبح غير قادر على طاعة غيره فى المستقبل .

ولكى نجعل الطفل مطيعا قابلا للانقياد ، يجب أن نعالجه بالحزم والحكمة بدلا من القوة والعنف ، وإلا نشأ جبانا ضعيف الإرادة ، لا يعمل

إلا إذا أرغم على العمل ؛ مَثَله فى ذلك كمثل الحيوان الأعجم ، تدفعه فيسير بلا تصرف ولا إرادة .

غريزة الخضوع :

قد يكون الطفل بطبيعته خاضعا مستسلما لسلطة غيره ، فهو يخضع لكل ما يؤمر به بدافع غريزته المضادة لغريزة السيطرة ، وهى غريزة الخضوع والانقياد ؛ وشتان ما بين الغريزتين . فالأولى تشعر صاحبها بالفوز والنصر ، وتدفعه إلى الزعامة والسيطرة ، أما الثانية فتجعله ضعيفا مستكينا ذليلا قليل الثقة بنفسه .

وقد يكون السبب فى خضوع الطفل استمرار التسلط عليه مما يؤدى إلى الضغط على غريزة حب الظهور فيه ، ويدعو إلى إذلاله وعدم الثقة فى نفسه والشك فى مقدرته . والواجب علينا والحالة هذه أن نعمل على إزالة هذه الأسباب بكل الطرق الممكنة ، وذلك بأن نشعره بأهميته ومقدرته فنحمله بعض المسئوليات والأعمال المناسبة لمقتضى حاله ، ونشجع غريزة الظهور فيه ، ونعوده الاعتماد على النفس ، والثقة بها ، كما نعوده الإقدام والثبات والمثابرة والتغلب على ما يقف فى سبيله من الصعاب .

ويجب أن نعادل بين الغريزتين حتى تصبح النسبة بينهما متزنة ، فلا يعود الطفل ذليلا ولا متهورا . كما يجب أن ندربهما على ما فيه الخير والفائدة لحياة الفرد والجماعة .

المنافسة والمباراة

المنافسة دافع نفسي مصـــدره غريزتا النسيطرة والمقاتلة ، يسوق صاحبه إلى ميدان العمل لينافس غيره ويصل إلى ما وصل إليه من المقدرة والمهارة ويعمل على التفوق عليه . ويعتبر هذا الدافع باعثا قويا على تقدم الأفراد والجماعات ، بل والأمم بأسرها . فهو الذى يثير همة الفرد وعزيمته ، فيندفع إلى العمل برغبة شخصية تجعله يبذل كل ما فى وسعه ليلحق بمن هم خير منه . ويترتب على ذلك تقدمه وارتفاعه إلى مستوى أرقى من مستواه العادى . ولا يخفى أن فى ارتفاعه هذا إثارة لمن هم دونه مقدرة وكفاءة ، فتقوى عزيمتهم ، ويزيد اهتمامهم ويجدون فى اللحاق به .

وإنا لنلاحظ هذا الدافع فى الطفل فى الدور الأول من حياته ، فيما بين الرابعة والخامسة . فهو مع إخوته يقلد حركاتهم ، وكثيرا ما يأتى لنا قائلا أنظروا كيف أقدر على فعل ما قام به أخى كالقفز وقذف الكرة وبناء شىء وغير ذلك .

هذا والمنافسة فى الألعاب الجمعية بين الأطفال والكبار ظاهرة جلية نشاهدها فى كل مناسبة .

المباراة والتربية :

لما كان للمباريات أثر فى تقدم الفرد والمجتمع ورقيهما ، كان من الواجب على المربى أن يعنى بها كل العناية ، وأن يحسن تنظيمها ، وإلا كانت نتيجتها الحقد والغيرة والحسد والعداوة بين الأفراد . وربما أثارت فى نفس الفائز روح الغرور ، وبعثت فى نفس المغلوب روح اليأس . وهنا يصبح ضررها أكثر من نفعها .

وعلى المربى و المربية أن تستثير هذا الميل فى الطفل ، بأن تشجع الضعيف والقليل الثقة بنفسه ، على منافسة من هو أقوى منه ، وألا تؤنبه أو تحقره إذا لم يتمكن من ذلك . إذ أن قوى الأفراد تتباين . وليس بالمعقول أن تكلف الطبيعة فوق طاقتها ، وتطالب الطفل بما هو فوق مقدوره . بل الواجب ألا تكلفه من الأعمال إلا بما يمكنه النجاح فيه . وأن تتدرج معه على حسب مقدرته الطبيعية ، كما يجب أن تعوده المثابرة على العمل ، والجد فى الوصول الى ما تصبو إليه نفسه .

ويجب تشجيع المنافسة الشخصية ، أى بين الفرد ونفسه ، عندما يبلغ الطفل المنزلة العقلية المناسبة لذلك . وتنظيم المباريات بين جماعة وجماعة ، يعوّد الطفل الإيثار واحترام الجماعة والعمل لنصرتها .

على أنه لا يجوز المغالاة فى الثناء على الفرد ، أو منحه المكافآت لهذا الغرض ، لأن فى هذا ما يثير الحقد بين الأطفال .

ويجب أن يسود المنافسة روح الصداقة والتقدير للمجهود الذى يبذله المتنافسون ، لأن ذلك من أكبر العوامل التى تساعد على ترقية المجتمع ورفع شأنه .

الباب السابع

الميول الفطرية العامة ـ أثرها فى حياة الانسان ـ
ضرورة مراعاتها فى التربية .

الميول الفطرية العامة

نشاهد علاوة على تلك الأفعال الغريزية التى يستطيع المرء القيام بها دون أن يتعلمها من أحد إذا ما اضطرته الظروف والمناسبات لذلك، أنواعا أخرى من السلوك الفطرى تشابه كثيرا السلوك الغريزى، حتى أن كثيراً من الناس لا يميّز بينهما، ولا يرى فارقا فيهما. ومثل هذا السلوك الفطرى: التقليد واللعب.

فالطفل الصغير قادر على أن يقلد غيره فى حركاته وأفعاله؛ فهو يبتسم إذا ما ابتسمت أمه له، ويطوح بيديه إذا فعل أحد أمامه ذلك، ويتكلم باللهجة التى يتكلم بها من حوله، ويمشى مشية أبيه، ويتصفح الجريدة قبل أن يعرف القراءة والكتابة، لأنه يرى أباه يتصفحها، وهكذا.

ونستدل من هذا على أن الطفل مجبول بقوة فطرية تجعله قادراً على أن يقلد غيره فى الحركات والأفعال.

على أن تقليد الطفل لا يقف عند القيام بالحركات والأفعال التى يشاهد غيره يقوم بها، بل إننا نشاهد فيه قدرة على تقليد الغير فى وجداناتهم ومشاعرهم وعواطفهم، فهو يفرح إذا رأى شخصا فرحا، ويغضب إذا وقع بصره على وجه غاضب، ويشمئز إذا ظهرت علائم الاشمئزاز على أحد فى رفقته.

وهو أيضا قادر بالفطرة على أن يقلد الغير فى آرائهم وأفكارهم وعقائدهم، فإن قال أبوه إن هذا المنظر جميل، صدقه وآمن به، دون أن يطلب دليلا أو يتزود ببرهان. وإن أوحيت اليه أن رجلا من الرجال كريم عظيم، قد يصدقك فيما تقول، دون أن يبنى تصديقه لكلامك على أى أساس.

ونستخلص من هذا أن فى الإنسان قوة فطرية تجعله مستعداً لأن يتقبل آراء الغير وأفكارهم وعقائدهم ، وهو مقتنع واثق ، دون أن يقدّم له دليل أو برهان للتصديق على صحة تلك الآراء والأفكار والعقائد . وتسمى هذه القوة الفطرية « بالاستهواء » .

وأن فيه قوة أخرى تجعله مستعدا لأن يشارك الغير فى وجدانهم ، فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ، ويحب لحبهم ، ويخاف لخوفهم . وتسمى هذه القوة الفطرية « بالمشاركة الوجدانية » .

وكذلك يخلقه الله تعالى وفيه قوة فطريه أخرى تجعله يقوم بالحركات والأفعال التى يقوم بها الغير وتسمى هذه القوه « تقليدا »

والسبب الذى من أجله لم تعتبر هذه القوى أو الميول الفطرية غرائز ، ينحصر فى أنه ليس لأىّ منها وجدان خاص أو انفعال كما سبق أن ذكرنا . فالاستهواء قد يرتبط بالفرح أو الحزن أو الخوف أو الغضب تبعا للفكرة أو الرأى الذى يوحى الغير به إلى الإنسان . فقد تكون الفكرة سارة فيفرح ، أو محزنة فيحزن ، أو مخيفة فيخاف ، أو مثيرة للغضب فيغضب .

أما فى المشاركة الوجدانية ، فهذا الفرق واضح بينها وبين الغريزة . فبينما أن إثارة غريزة الهرب دائما يصحبها خوف ، فإن المشاركة الوجدانية قد تكون على شكل خوف أو حب أو إعجاب أو زهو أو غير ذلك . فإن شاهدت شخصا عليه علائم الخوف خفت ، أو آخر تبدو عليه أمارات العطف عطفت ، وهكذا .

وكذلك الأمر فى التقليد . فقد أقلد حركة من الحركات وأنا مسرور جذل ، وقد أقلد أخرى وانا خائف وجل .

ولذلك سميت هذه القوى الفطرية بالميول الفطرية العامة ، تمييزا لها عن

الغرائز التى تسمى بالميول الفطرية الخاصة، وذلك لأن لكل غريزة وجدانا خاصا بها ، يظهر إذا ما أثيرت فى أى الظروف والمناسبات .

والمشاركة الوجدانية والتقليد ، ليسا قاصرين على الإنسان بل إنهما موجودان فى الحيوان الاجتماعى ، أى الذى ينتقل مع غيره فى قطيع ، كالخيل والبقر والغنم وغيرها .

والميول الثلاثة ، لها أكبر الأثر فى نشأة الطفل الصغير . فهو عن طريقها يقلد أباه وأمه ومن يحتك به ، فى آرائهم ووجداناتهم ومشاعرهم وأفعالهم . فإن كانت طيبة ساعد ذلك على تنشئته فردا صالحا ، وإن كانت فاسدة أضر ذلك بتكوينه ، وخرج للحياة بنزعة للشر والفساد . ولذلك كان من الواجب أن نكون قدوة صالحة لأطفالنا الصغار ، نقوم أمامهم بالأفعال الطيبه حتى يأخذوها عنا ، فتصبح عادات فيهم ، فالمثابرة والنظافة والنظام واللغة الصحيحة والألفاظ الطيبة وغير ذلك ، يمكن أن نكونها فى الطفل عن طريق التقليد .

والعطف على البائسين وحب الأسرة والوطنية والتحلى بالصدق والأمانة ، يمكننا أن نبثها فيهم عن طريق المشاركة الوجدانية .

والعقيدة الدينية والآراء الصالحة والتقاليد الطيبة . يمكننا أن نغرسها فيهم عن طريق الاستهواء .

وهذه الميول الثلاثة قوية فى الطفل الصغير ، وذلك لقلة خبراته وعجزه فى الحياة . وتضعف كلما اشتد ساعده ، واعتمد على نفسه ، ونضج فكره وقويت فيه النزعة للاستقلال والعمل .

وتتداخل هذه الميول بعضها فى بعض ،وهى تعمل معاً كأنها وحدة .

فقد يُبَثّ في الفرد رأى خاص عن شخص فيجله ويحترمه، ويعمل على أن يأخذ عنه ما احترمه من أجله.

وبذلك يعمل الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد عملها كأنها قوة واحدة، لا تنفصم عراها ولا تتفكك رابطتها.

الاستهواء

كل منا لديه آراء كثيرة، ومعلومات شتى، وتقاليد معينة، فى مختلف مرافق الحياة، يتمسك بها فى جميع أحواله، ويعززها وينشرها بين الناس. وإذا حققنا النظر، وجدنا أننا قد أخذناها عن غيرنا من غير قصد أو تفكير. ذلك لأن كلاً منا فى هذه الحياة متأثر بطبيعته بآراء غيره تأثرا يختلف باختلاف استعداده وظروفه وأحواله والبيئة المحيطة به، وخاضع فى كل ذلك للميل الفطرى الذى يجعل الإنسان متأثر بأفكار غيره واعتقاداته فيقبلها دون معارضة أو تمحيص. وهذا مايعرف بالاستهواء. ولولاه لنشأ كل فرد مستقلا برأى خاص، ولنتج عن ذلك اضطراب المجتمع واختلال كيانه واندثار تقاليده بل وحضارته. ولكن الواقع أن الأفراد تؤثر فى الجماعات، والجماعات فى الأفراد، كما أن الفرد يؤثر فى الفرد وفى نفسه أيضا، وبهذا تحتفظ الأمة بتقاليدها، والشعب بمعتقداته، ويشب الصغار على شاكلة الكبار؛ فابن المتدين يشب متدينا فى الغالب، وابن الوطنى يشب وطنيا، والشرقى يأخذ بعزف قومه، والغربى يسير فى معيشته على نمط الغرب وهكذا.

وطور الطفولة مرآة جلية نرى فيها أثر الاستهواء فى الحياة. فإذا أوحيت لطفل كثير الحركة بأنه سيكون هادئا، وسيستمع بسكون إلى القصة التى ستلقيها عليه، فقد يجدى معه هذا الإيحاء ويركن إلى الاستقرار والسكون. وبتشجيع الطفل على الرفق بإخوته الصغار واستهوائه إلى العطف عليهم، يسهل

علينا أن نقوى فيه عاطفة المحبة نحوهم . وإذا كان لدينا طفل خجول ، فإننا نساعده فى التغلب على خجله بالإيحاء اليه القدرة على أداء مانعهد إليه من مختلف الأعمال .

وإذا أشرنا للأطفال كم يكون جميلا منهم أن يساعدوا فى تنسيق الحجرة ، فإنهم يفعلون ذلك فى حماس .

وهكذا نستطيع أن نستهوى الأطفال ، ونؤثر فيهم أشد التأثير ، فيندفعون للعمل برغبة قوية من محض إرادتهم ، وقوة صادقة من عزيمتهم . ولاصعوبة فى ذلك بعد أن أصبحت التلميحات الموحاة حقائق ماثلة فى أذهان الأطفال عن طريق قابليتهم للاستهواء ، وسرعان ما يحققونها . غير أن الأطفال قد يتأثرون بعكس ما نوحيه اليهم فى بعض الأحيان ، فيقومون بضد مانريد . وهذا ينشأ فى معظم الأحوال عن كراهية الطفل للوحى ، أو رغبته فى إظهار شخصيته . ولذلك كان نجاح الاستهواء متوقفا على قدرة المربى ومهارته وحكمته وتصرفه تصرفا حسنا مناسبا للظرف الذى هو فيه مع الأطفال .

والاستهواء ولاشك أكبر نفعا من أساليب الأمر المختلفة التى طالما تدعو الأطفال للتمرد والعناد . ويختلف استعداد الأطفال للتأثر بالاستهواء باختلاف أعمارهم وظروفهم وأحوالهم ويتبين ذلك فيما يلى : —

١ — الاستهواء قوى فى السنين الاولى ، ولعل ذلك يرجع لقلة خبرة الأطفال بالحياة ، وخلو أذهانهم من ضروبها وتفاصيلها ، ونقص إدراكهم مما يجعلهم غير قادرين على النقد والحكم .

٢ — تزداد قابلية الاستهواء عند الأطفال إذا وجدوا فى جماعات كأن يكونوا مع إخوتهم فى البيت أو أقرانهم فى المدرسة . وهذا أحد الاسباب التى من أجلها يرى بعض المربين ضرورة جعل المدرسة مركزا لحياة الطفل الاجتماعية .

٣ — تقل هذه القابلية تدريجيا كلما تقدم الأطفال فى السن . وهذا طبيعى لأن تقدمهم فى السن يصحبه نمو فى العقل ، وزيادة فى الخبرة وقدرة على النقد والتمييز .

وتزيد القابلية للاستهواء تبعا لعوامل أخرى أهمها ما يأتى :

١ — التسرع فى القول أو الفعل .

٢ — ضعف الشخصية وعدم الثقة بالنفس .

٣ — شدة المزاج العصبى .

٤ — الجهل بموضوع الاستهواء أو اضطراب معلومات الفرد عنه .

٥ — صعوبة تحكيم العقل وإعمال الروية لسبب من الأسباب العارضة ، كالتعب والمرض والتنويم المغناطيسى وغير ذلك .

والنساء بوجه عام ، أشد قابلية للاستهواء من الرجال وذلك لرقة عواطفهن وسرعة تأثرهن . كما أن الإنسان بوجه عام يكون فى وسط الجماعة أميل إلى مايوحى اليه به منه إذا كان منفردا .

وليس كل إنسان قادرا على استهواء غيره ، ولا يكون ذلك وليد الصدف ، بل إن هناك صفات يجب توافرها فى الموحى ليتسنى له ذلك وهذه الصفات هى :

١ — أن يكون الشخص ذا مكانة عالية وشخصية بارزة محترمة ؛ فالاستهواء يكون أقوى إذا صدر من رئيس إلى مرءوس أو من مرب إلى أطفاله .

٢ — أن يلقى الموحى كلامه وحديثه وعباراته بلهجة الواثق المطمئن المتمكن من نفسه ، دون أن يدع مجالا للشك أو التردد فى قبول فكرته .

٣ — أن يكرر الموحى إيحاءه ، لأن التكرار فيه معنى التأكيد فتكرار

الموحى لفكرة أو رأى أو عقيدة مثلا يوحى بأهميتها ، وإذ ذاك يتسرب هذا الاهتمام إلى الموحَى اليه ، فتتمكن الفكرة أو الرأى أو العقيدة ، وترسخ فى ذهنه ، فينزع للعمل بها .

٤ — أن يلقى ايحاءه بصيغة إيجابية لأن استعمال النفى والنهى قد يثير الفكرة المعـــارضة التى يريد الموحى أن تحيد عنها الجماعة أو الفرد . وبذلك يتجنب ما يسمى بالاستهواء العكسى .

٥ — أن يستعين بأقوال العظماء المعترف لهم بالمكانة ، لأن هذا يكسب كلامه قوة على التأثير والإقناع .

٦ — أن يكون فطنا فى تفهم عقلية من يوحى اليهم بآرائه ، حتى يصوغها فى الشكل الذى يوافق تلك العقلية فيقبلوها باقتناع .

ولمّا كانت حياة الطفل ومستقبله يتوقفان على الطريقة التى يسلكها المربى فى تربيته ، ولمّا كانت أخلاقه مبنية على كيفية معاملته له ، يجب قبل كل شيء أن يعمل على أن تكون شخصيته جذابة لأطفاله ، وأن يكون موضع ثقتهم ، فيعطف عليهم ويحبهم ، وينزل إلى مستوى عقليتهم فى كل فرصة . كما يجب أن يكون واثقا مما يلقيه على الطفل وأن يحسن اختياره ليكون متفقا مع ميوله ومناسبا لعقله ومداركه ، كما يجب أيضا أن يوحى آراءه وأفكاره بطريقة حسنة ، وبعبارة مناسبة مشوقة مثيرة للرغبة ، مراعيا تكرارها فى المواقف المناسبة . فإن فعل ذلك سهل عليه استهواؤه للأطفال ، وتكللت مهمته فى ذلك بنجاح .

الاستهواء والتربية :

قد بيّنّا فيما تقدم أن الفرد يؤثر فى الجماعات ، وأن الجماعات تؤثر فى الفرد ، وأن الفرد يؤثر فى سواه وفى نفسه ؛ وعلى هذا الأساس يمكننا أن نُميِّز نوعين للاستهواء .

١ — أحدهما خارجى : وهذا يشمل تأثير الفرد فى غيره سواء أكان

فردا أم جماعة . ولهذا النوع شأنه الخطير فى تكوين الأفراد ؛ فروح المربى وما تنطوى عليه من خير أو شر ، وروح الأسرة وما يسودها من الشقاء أو الهناء ، وكذا روح المجتمع وما يشمل من مختلف الأنظمة والتقاليد ، كل هذا من عوامل الاستهواء الخارجى الذى له أثره فى استهواء الأفراد والجماعات .

٢ — والآخر داخلى أو ذاتى : وهو تأثير الشخص فى نفسه ، بما يدعوه إلى التفاؤل تارة والتشاؤم أخرى ، وليس منا من يجهل خطر التشاؤم على حياة بعض الناس الذين يؤثر فيهم الوهم لدرجة بعيدة لا يستطيعون معها مزاولة العمل أو الإقدام عليه ، وبذلك يذهبون ضحية وهمهم الذى يُبدّل حياتهم تبديلا . وإنا لنشاهد كثيرا من الناس يوحون إلى أنفسهم بالمرض بينما لا يكون بأجسامهم علة فيمرضون حقا ، وتنقلب حياتهم بؤسا . ومنهم من يستهوون أنفسهم فى حالات المرض بأنهم آخذون فى سبيل الشفاء ، فيتحسن حالهم بالتدريج والعاقل من يوحى إلى نفسه بالخير ، ويعللها بالآمال والقدرة على التغلب على الأمراض والمصاعب ، فإن مثل هذا الايحاء الذاتى يعطى الانسان قوة على مقاومة متاعبه ، ويغرس فيه الثقة بالنفس ويجعله يقدم على أعماله بشجاعة واثقا من نجاحه فيها . قال الإمام على : « تفاءل بالخير تنله » .

وسواء أكان الاستهواء داخليا أم خارجيا ، فأساسه والأصل فيه واحد ، إذ لا يخرج عن فكرة يلقيها الشخص فى نفسه أو نفس غيره ، فيقبلها دون معارضة ، وتصبح لديه بطريقة لاشعورية عقيدة ثابتة ، تدفعه إلى العمل . وأثر ذلك يتجلى واضحا فى الأطفال . فإننا لا نكاد نوحى إلى الطفل بفكرة من الأفكار ، إلا ونراه قد تعلق بها وعمل على تنفيذها .

وتختلف قوة أثر الفكرة الموحى بها على حسب ما يتصل بها من الانفعالات والوجدانات النفسية . فاذا خطر بذهن المرء فكرة وكان متحمسا

لها ومؤمنا بها ، أو كانت مصحوبة بسرور أو خوف ، فإنها لا تلبث أن تملك عليه قياده ، وتتغلب على ما يعارضها من الآراء . وسرعان ما ينتقل أثرها إلى حيز الفعل والعمل .

وليس الاستهواء مقصورا على عالم النظريات الفكرية ، بل إن له أكبر الأثر فى نواحى الحياة العملية . فالطبيب قد يوحى إلى المريض فيشفى أو يزيد مرضه ؛ والقائد يستهوى جنوده فيستميتون فى القتال ؛ والزعيم يخطب شعبه فيثور أو يهدأ حسبما يريد ؛ والمربى يؤثر فى أطفاله فينجحون فى الحياة أو تضيع آمالهم فيها .

فليس من زخرف القول إذن أن نقول إن على الاستهواء يتوقف نجاح الفرد ، بل المجتمع ، بل العالم بأسره . ففى كل بيئة مهما كانت درجتها من الرقى أو الانحطاط أناس يؤثرون فيمن حولهم فيوجهونهم وجهات خاصة ،وهؤلاء يؤثرون فى غيرهم ، وهكذا نرى كل جماعة تصطبغ بصبغة واحدة ، ويسودها روح واحد هو روح رؤسائها أو أبرز الناس شخصية فيها .

من هذا يتبين لنا أثر الاستهواء فى الحياة . وقد سبق القول إن الأطفال هم أشد الناس قابلية له . ولما كانوا هم رجال المستقبل ونساؤه ، وكان الاستهواء دافعا إلى العمل ، وكان العمل مظهرا لشخصية المرء ، لذلك كان واجبا مقدسا على كل من يعهد اليه أمر تربية الطفل ، أن يعنى عناية خاصة بالأمور الآتية : —

١ — اختيار البيئة : لاشك أن للبيئة أثرا كبيرا فى نشأة الطفل فمن يختلط بهم من الناس ، وما يسمعه من كلمات ، وما يقرؤه من كتب ومجلات وجرائد وروايات ، وما يراه من مناظر ، كل ذلك يستهويه فيجعله يحب الخير أو الشر على حسب ما يحيط به من الظروف . لذلك فالعناية واجبة بتعرف

أحوال البيئة التى تحيط بالطفل، واختيار أصدقائه، ومراقبة من يتصلون به فى المنزل من خدم وغيرهم، وحسن اختيار ما يقع تحت حسه من كتب ومجلات ونحوها، والاهتمام بإحاطته ببيئة نظيفة مرتبـــة منظمه. وإن أقل توانٍ فى مراقبة بيئته المنزلية أو المدرسية ليهدم أساس تربيته.

٢ — القدوة الصالحة: قد سبق أن قلنا إن الروح الذى يسود المنزل والمدرسة سواء أكان حسنا أم سيئا يتوقف على نوع الإيحاء الذى يوحيه الكبار إلى الصغار، لأن المربى هو القدوة التى يقتدى بها الطفل، والصورة التى يتمثل بها ويحاكيها فى حركاتها وسكناتها وأعمالها وأقوالهـــا. وإن تأثير شخصيته فيه لعظيم جدا؛ فكل مايوحيه اليه بكلامه وأعماله يصير أمامه حقيقة ماثلة سرعان ماينزع إلى التمسك بها والعمل بمقتضاها. وإن اهتمام المربى بأمر من الأمور ليسرى إلى الطفل فيهتم به بدوره. وبهذه الطريقة نستطيع أن نغرس فى نفسه الفضائل والصفات الحسنة، بإثارة العواطف السامية. فإذا أوحينا اليه أن لون الشفق جميل، وأن منظر القمر تحت السحاب خلاب، أو أن هذه المزروعات والأزهار جميلة التكوين والتنسيق يتّجه نظره وانتباهه اليها من حين لآخر، وبذلك نحبب إليه جمال الطبيعة ونكوّن فيه العاطفة الجمالية. وبمثل هذه الطريقة نغرس فيه عاطفة حب الوطن والتدين وحب العلم والعاطفة الخلقية وغيرها من العواطف التى لهـا أشد الأثر فى حياته المستقبله.

وهكذا إذا كان الكبار قدوة صالحة للصغار، وكانوا فوق ذلك محبوبين عندهم، فلا شك أن الصـــغار يتأثرون بهم، ويحبون ما يحبون، ويكرهون مايكرهون؛ وفى ذلك قال أحد الحكماء يخاطب معلم ولده «ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيوبه معقودة بعيبك، فالحسن عنده ماصنعت والقبيح لديه ما تركت».

٣ — التشجيع والتشويق : إن المربى القدير ليوحى إلى طفله كل خير ، ويشجعه على ما يقوم به من طيب الأعمال ، ويبعث فيه الحيوية والنشاط ، ويحمله على الجد والمثابرة ، ويحبب إليه العلم ، ويشوقه بشتى الطرق إلى الإقبال عليه ، ويسهل لديه الصعب من الأمور فيصير سهلا ، ويذلل أمامه العقبات فيقتحمها بصبر وجلد .

ومع ما للاستهواء من قيمة فى تشجيع الأطفال ، وغرس الفضائل فيهم ، وتحبيب العمل لديهم ، وتذليل العقبات أمامهم ، وتحسين الصلة بينهم وبين القائمين بأمرهم ، فإنه فى الحقيقة سلاح ذو حدين يجب الاحتراس من أضراره التى تنشأ من التمادى فى أن نجعل الأطفال يقبلون كل شىء نلقيه عليهم بدون نقاش ولا معارضة ، لأن ذلك ينشئهم ضعافا فى شخصيتهم . بل يجب أن ندع لهم فرصة للمناقشة والبحث والتمحيص ، ونستهويهم لذلك كأن نقول لهم « أنا أعتقد أنه يجب عليكم أن تعملوا كيت وكيت ، أو أن تقرؤا فى كتاب كذا ، أو تسألوا سؤالا عن كذا حتى تتأكدو مما أقول » . وبذلك يكون قد استعمل المربى الاستهواء استعمالا طيبا معقولا .

الاجتماع والمشاركة الوجدانية

ليس فى وسع صغير أو كبير أن يعيش منفردا فى الحياة ، لأن الإنسان بفطرته ميال إلى الاجتماع . والمرء كما يقولون مدنى بطبعه . فالطفل يميل من صغره لأن يجتمع مع غيره ، وكذلك الكبير . وهذا الميل هو فى الحقيقة أساس تكوين الجماعات والطبقات التى تتضامن وتتعاون فى إدارة شئون الحياة وتنظيم المجتمع . وكلما كان هذا التضامن وثيقا متينا بين أفراد الجماعة ارتقى المجتمع ، وعلا الشعب ، كما أنه على أساس الميل إلى الاجتماع ، تتصل الشعوب المختلفة وتتضامن وتتعاون وتشترك فى الشئون الفنية والعلمية والمادية وغيرها .

وليس هذا الميل مقصورا على النوع الإنسانى ، بل هو عام فى مملكة الكائنات الحية . فهذه نزعة المعاشرة الشائعة بين الحيوانات الأولية وبعض الحيوانات الراقية ، تدلنا على وجود هذا الميل فيها . ونحن نرى معظم الطيور والحيوانات تعيش جماعات ، ويعاون بعضها البعض فى تأدية شئون الحياة .

وقصارى القول إن هناك ميلا فطريا يدفع الإنسان والحيوان إلى التجمع . وهذا الميل هو السبب فى شعور المرء بضيق فى عزلته ، وبوحشة عند ابتعاده عن الجماعة التى ينتسب إليها . وعلى العكس ، يشعر المرء بارتياح وسرور عند ما يكون بين عشيرته وأهله ، وعندما يجتمع بأقاربه وأصدقائه المحبوبين عنده .

وهذه الظاهرة واضحة أيضا فى الأطفال . فالطفل سرعان ما يسره الاجتماع بغيره ، ويطيب له اللعب مع من يماثلونه سنا وعقلا . وإن لذلك أثرا كبيرا فى حياته العقلية والخلقية .

ولذلك اهتمت التربية الحديثة بالحياة الاجتماعية ، فما هى طرق «ديوى» و « دكرولى » وغيرهما كلها تهتم بهذه الناحية ، فجعلت كثيرا من نواحى الدراسة مشتركة بين جماعات من الأطفال .

والمرء فى الجماعة أشد تأثرا منه فى العزلة والانفراد . وعلى ذلك نجد الإنسان يتأثر بآراء الجماعة المحيطة به أكثر من تأثره بآراء شخص واحد ، ولو كانت الأولى خاطئة والثانية صائبة .

غير أن الميل إلى الاجتماع يستدعى مشاركة الغير فى وجدانه وانفعالاته المختلفة حتى يمكنه العيش معه . وإن قدرة الإنسان على ذلك ، استعداد فطرى فيه يدفعه إلى التأثر بما يراه فى غيره ، ويجعله يقلده فى عواطفه وانفعالاته . فهو وإن كان يتضمن نوعا من نزعة التقليـــد ، وضربا من ضروب الاستهواء المرتبطة بالوجدان ، إلا أن المقصود به نوع آخر من الميول الفطرية ، يتعلق بالشعور الوجدانى ، ويعرف بالمشاركة الوجدانية .

وهى كما عرفها أحد الكتاب الاجتماعيين « الحلقة الفضية أو الرابطة الحريرية التى تصل القلب بالقلب ، والعقل بالعقل . والجسم بالروح » . أى هى القوة التى بها تتصل بقلوب غيرنا وأرواحهم ، فنستطيع أن نعيش معهم ونرتبط بهم .

أثرها فى الفرد والمجتمع :

تعتبر المشاركة الوجدانية من أهم العوامل التى تجعل للمرء شخصية بارزة ، وتساعده على أن يكون محبوبا عند الجميع ، فيطيعونه برغبة صادقة . فقوة التأثير فى الناس لا تستدعى قسوة أو غلظة كما يزعم البعض ، ولكنها تستدعى مشاركتهم فى شعورهم ووجدانهم ، والتألم لما يدهمهم من حوادث الدهر ، ومواساتهم فيما يلم بهم من نوائبه ، والنظر إلى حسناتهم قبل سيئاتهم ، وفى

صوابهم قبل خطئهم . ونحن نرى هذه النزعة للمشاركة الوجدانية جلية في الأطفال .

أثرها فى التربية والتعليم :

المشاركة الوجدانية من الميول التى بها يستطيع المربى تكييف أخلاق أطفاله ، وصبغها بالصبغة التى يريدها . والمربى القدير الماهر هو الذى يستخدم شخصيته البارزة ، وأخلاقه الحسنة ، ونفسيته الطيبة ، وعواطفه السامية فى التأثير على أطفاله ، فيصبحون مثله فى وداعته ، وسماحته ، ولين أخلاقه وطيب معاملته ، ورغبته فى العلم .

وبديهى أن المربى الذى يهتم لكدر أحد أطفاله ويبحث ويسأل عما يعتريه ، ويبث هذا الاهتمام فى إخوانه ، يضطره بدون أن يشعر إلى فعل هذا مع غيره فى مثل تلك الظروف . وبذلك يغرس فيه العواطف السامية والسجايا الحميدة ومراعاة الواجب ، بطريقة غير مباشرة ، ليس فيها الشدة والإرهاب اللذين طالما يدفعان الأطفال للتمرد والعناد .

ولا شك فى أن مشاركة المربى لأطفاله فى شعورهم لها أثر كبير فى زيادة صلتهم به وثقتهم فى حبه فيُلُون اليه بكل ما يفرحهم ، وما يعكر صفوهم ، بل وكل ما تكنه صدورهم . وهنا يستطيع الإفادة من ذلك الموقف الطبيعى الذى لاتكلف فيه . وإنها لفرصة سانحة ، ومجال واسع يجب أن ينتهزه لتقويم أخلاق أطفاله ، وتقدير حسناتهم إذا أحسنوا ، والتفكير فى البواعث التى تدفعهم إلى الخطأ إذا حصل ذلك منهم .

فإذا قدّرنا غيرنا ، وفكرنا فيه ، وسررنا لسروره ، وتألمنا لألمه ، فإننا ننتظر منه أن يقابلنا بالمثل ، فيقدّرنا ويفكر فينا ويشاركنا فى سعادتنا وشقائنا .

وإن ذلك كله يستدعى أن يضع الإنسان نفسه موضع غيره أيا كان ، على

شرط أن يكون لديه استعداد لفهم نفسيتهم، والتفكير فى ظروفهم، والشعور بحالاتهم، بصرف النظر عن مركزه بالنسبة لهم، ودون اعتبار للفارق بين الغنى والفقير، والعظيم والصغير، والقريب والغريب. بمعنى ألا يكون منصب المرء العالى سدا مانعا فى سبيل فهمه لغيره، وتقديره ظروفه المحيطة به؛ بل على العكس من ذلك، يجب أن يكون هذا المنصب العالى داعيا لمشاركته غيره فى عواطفه، ومساعدته أدبيا وماديا؛ إذ بذلك يمتلك قلوب الناس، وتعلو منزلته عندهم.

ولا غرابة فى ذلك، فالشخصية الطيبة، والشعور السامى يستدعيان أن نتأثر لغيرنا، ويتأثر غيرنا لنا. وبهذا يصبح المجتمع وحدة متماسكة متحدة فى عواطفها ووجدانها، يسهر كل فرد منها على مصلحته ومصلحة المجتمع، ويحب لغيره ما يحب لنفسه، ويعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، فيقل الشر، ويعم الخير.

فالمشاركة الوجدانية هى التى تجعل حياة الجماعة مفيدة نافعة لجميع أفرادها، وهى أقوى عامل فى توحيد عواطف كل فئة وميولها، وأساس كثير من العواطف السامية، كالرحمة والشفقة والإحسان والمواساة.

التقليد

كم منا يستطيع أن يرفع عن عينيه الستار ، فتبدو له حياة طفولته ، ويرى نفسه تارة ممسكا بالقلم يسجّل على الورق خطوطا وأشكالا كأنه يكتب ، وتارة منهمكا فى تصفح الكتب والمجلات مرددا أصواتا كأنه يقرأ ، وأخرى جامعا إخوته الصغار ليشرح لهم الدرس كما يشرحه له مدرسه ، وغير ذلك مما يأتى به الأطفال عادة من حين إلى آخر ، بدافع من تأثير ميلهم الفطرى للتقليد ، ومحاكاة من يعجبون بهم ، أو يشعرون بالضعف بالنسبة لهم . وليس هذا الميل الفطرى مقصورا على الأطفال ، بل هو ميل عام يدفع الصغار والكبار على السواء إلى فعل ما يرون أو يتذكرون من أفعال غيرهم وحركاتهم ، بقصد أو بغير قصد .

وإذا تتبعنا ظهور هذا الميل فى الطفل ، نجد أن يتطور تطورا محسوسا فى مراحل النمو المختلفة ، بحيث يشمل أنواعا متباينة للتقليد تبدو فى الطفل كما يأتى :

النوع الأول من التقليد يظهر واضحا فى الستة أشهر الأولى ، فترى الطفل يبكى عندما يسمع طفلا آخر يبكى ، ويضحك عندما يضحك أحد أمامه ، ويصرخ إذا سمع صراخ أحد . ويظل هذا النوع من التقليد ملازما للمرء طول حياته ، فتراه يتثاءب إذا اتثاءب أحد أمامه ، كما ترى أن سرور المربى أو غضبه ينعكس على تلاميذه . وليس ذلك كله عملا إراديا مقصودا ، بل هو فعل فطرى يقوم بالتعبير عن انفعالات نفسية مختلفة . ولذلك سمى هذا النوع من التقليد ، بالتقليد المنعكس .

والنوع الثانى من التقليد يختلف عن سابقه فى أن العمل المحاكى ليس صادرا عن غريزة ما . فالطفل يحاكى ما يراه محاكاة لا غرض له منها وجميع أفعال الأطفال التقليدية فى الاربع أو الخمس سنوات الاولى ، كلها من

هذا القبيل . فهو يقلد مشية أهل بيته وطرق معيشتهم وتعبيرهم وكلامهم ؛ وبذلك يحصل على قسط وافر من اللغة والمعلومات ، فيزداد خبرة بالعالم المحيط به . ولهذا النوع أثر كبير فى تكوين خلق الطفل وشخصيته . ولما كان الطفل يقوم بكل ذلك من تلقاء نفسه ، ومن غير قصد سمى هذا النوع بالتقليد التلقائى .

وكثيرا ما نرى الأطفال يتخيلون العصا حصانا ، والكرسى عربة ، والورق طيارة . وطالما يتخيل الطفل نفسه طائرا من الطيور ، فيرفرف بجناحيه مثلها ، ويقلد أصواتها ؛ أو بائعا من البائعين ، فينادى ويصيح معلنا عما لديه . ويدفعه إلى كل ذلك نوع خاص من التقليد يشبه النوع السابق فى أنه مجرد تحقيق لحركة تصورها الطفل ، ولكن بصورة خاصة حسب تفكيره هو ، وحسبما يمليه عليه خياله النشط الواسع . فهو لا يقلد تقليدا مطلقا كما يفعل فى النوع التلقائى ، بل يستوحى خياله ، فيغيّر ويبدّل ويكوّن صورا وأشكالا جديدة تمثّل الحياة المحيطة به . ولذلك يسمى هذا التقليد بالتقليد التمثيلى .

ويبدأ الميل إلى التمثيل عند الطفل فى الثانية من عمره ، ويبلغ درجة كبيرة بين الرابعة والسابعة . وبذلك يفسح المجال للطفل فى الترقى العقلى ، والاستفادة مما حوله ، وبذلك أيضا تصير كثير من الحوادث والظواهر معروفة لديه . فيتعلم كثيرا من عادات المجتمع المختلفة والحرف والصنائع . كل ذلك بطريقة تقليد العمل أى بممارسة عمل الشىء بنفسه .

وهناك نوع آخر يختلف عن الأنواع السابقة فى أنه يصدر عن قصد وغرض . فالطفل يبدأ فى الثانية من عمره تقريبا فى تقليد غيره ومحاكاته محاكاة مقصودة . وإن هذا النوع أساس تعليم القراءة والكتابة والرسم وكثير من الأعمال اليدوية وغير ذلك مما يقوم به المرء عن قصد وإرادة لكسب مهارة أو معرفة . ولذلك سمى بالتقليد المقصود .

وعندما يبلغ الطفل منزلة عقلية مناسبة ، وتكون معلوماته وتجاربه قد زادت ونمت وتهذبت ، يأخذ فى توجيهها وجهات خاصة ، محدودة بما يحيط به من بيئة حسنة أو سيئة . وهذا يستلزم تقليد الشخص الذى يتخذه لنفسه مثلا أعلى من بين من يخالطونه أو ممن يسمع عنهم . ويكون خاضعا فى كل ذلك إلى آخر نوع من التقليد ظهورا ، وهو تقليد المثل الأعلى . وهذا النوع أرقى أنواع التقليد وأخطرها شأنا فى التربية ويبدو واضح الأثر فى دور المراهقة وفى أوائل مرحلة الشباب . وعندئذ تصبح أعمال الفتى — أو الفتاة — محكومة إلى حد ما بأعمال من يعجب به من أقرب الناس إليه ومدرسيه ، أو ممن يقرأ عنهم فى كتب التاريخ والآداب والروايات . ولذا يجب أن يكون من بين الكتب التى توضع بين أيدى الأطفال فى هذا الدور عدد غير قليل من تراجم حياة الأشخاص الجديرين بأن يقلدوهم . ولا يخفى على أحد ما لقراءة الروايات والكتب والمجلات المختلفة ، من أثر كبير فى توجيه سلوك المرء ولا سيما فى هذا الطور من حياته . غير أن هذا المثل الأعلى طالما يتغير ويتبدل حسبما يتراءى للطفل فى أوقاته وظروفه المختلفة ، وتبعا لما بينه وبين مثله الأعلى من العلاقات المتينة أو الضعيفة . وعند ما يكبر الطفل نرى كل أعماله وتصرفاته متجهة لتحقيق هذا المثل الذى يسعى لمحاكاته . ولا شك أن لذلك أثراً كبيراً فى تكوينه .

فائدة التقليد للفرد والمجتمع :

التقليد يوفر على الفرد جهدا كبيرا ووقتا طويلا يصرفهما عادة فى محاولات وتجارب يقوم بها حتى يستطيع أداء أعماله على وجه مرضى ناجح . فإذا قلد غيره فى عمل ما ، وأحسن تقليد هذا العمل ، كان لديه أوقات موفورة يمكنه صرفها فى القيام بأعمال أخرى نافعة .

ولما كان التقليد يدعو الى الملاحظة والانتباه ، فهو إذن أساس لتكوين العادات العقلية والحركية والخلقية . فبه يستطيع المرء أن يكتسب كثيراً من المهارة والمعرفة والصفات المرضية . ولذا كان وسيلة فعالة لتعليم الأطفال وإعدادهم للأعمال الكثيرة المتنوعة . وكان أيضا أبسط الأشكال التى بها يجعل الفرد نفسه مطابقا للبيئة التى يعيش فيها والمجتمع الذى ينتسب اليه . وقد يعم المجتمع عادات خاصة تأخذ بها أفراده جيلا بعد جيل ، وبذلك تصبح تقاليد راسخة . والأمة بأجمعها قد تختار لها من بين سائر الأمم شعبا راقيا تحذو حذوه ، ومن هنا نرى الثقافة والحضارة والمدنية والمبتكرات على اختلاف أنواعها تنتشر فى أنحاء الأرض ، فتستفيد بها الأمم ، الواحدة إثر الأخرى . فالتقليد إذن أساس الترقى الفردى والاجتماعى معا . غير أن له أضرارا طالما تصيب الأفراد بل والمجتمعات . وهذه الأضرار تنشأ عن الاسترسال فى الالتجاء إليه وعدم التبصر فى ما يصح تقليده وما لا يصح . وقد يتسبب عنه أيضا أن يصبح الإنسان عاجزا عن التصرف والابتكار .

التقليد والتربية :

أهم مصادر نشاط الطفل الذاتى هى الغرائز والميول المختلفة . ولما كان التقليد من أوضح الميول الفطرية ظهورا فى حياة الطفل منذ ولادته ، كان حتما على المربى استغلال هذا النشاط فى تربيته جسما وعقلا وخلقا . فالطفل يحاكى الكلمات التى تتوارد على سمعه شيئا فشيئا ، ويتأثر بانفعالات المحيطين به وحركاتهم ، فتنطبع فى مجموعه العصبى المرن كثير من العادات الجسمية والعقليه والخلقية . وإن للمربى اليد الطولى فى تكوين هذه العادات ، ومراقبة ما اعوج منها منذ بدء ظهوره لإصلاحها . فعليه أن يلاحظ نطق الطفل ومشيته وأوضاع جسمه فى الجلسة والوقوف ، وطريقة أكله

وشربه ونظام نومه ومعيشته بوجه عام، حتى تكون العادات التى يكونها الطفل فى هذه الأمور صحيحة صالحة . كذلك يجب أن يراقب نظام تفكيره وطريقة دراسته ونوع السجايا والصفات التى يقلدها ، وأن يجتهد فى تنظيم بيئته وأن يكون له فى كل ذلك قدوة صالحة وأسوة حسنة .

وعند ما يذهب الطفل الى المدرسة تتسع بذلك بيئته ، وينفسح أمامه مجال التقليد وميدان المحاكاة ، فيستمر فى تقليد من يحيطون به ، فتارة يقلد أحد زملائه ، وأخرى يقلد أحد معلميه . وهنا يجب استغلال هذا الميل الشديد فى تدريب الطفل على شتى الألعاب الرياضية وعلى التمثيل والموسيقى والخط وبعض أنواع الأشغال اليدوية والرسم . وكلها يمكن أن تكتسب بالتقليد . غير أن للتقليد حدا إذا تجاوزه أضر ذلك بتكوين الطفل. فلو تصورنا أطفالا يتعلمون مختلف الأعمال بوساطة تقليدها فى كل خطواتها ، لما تركنا لهم مجالا للفحص والبحث وإعمال الفكر فى رسم الخطة التى توصلهم لتلك الأعمال . ولايخفى ما لذلك من الأثر السىء فى تربية الأطفال . ويكفى أن نقول إن هذه الطريقة تقتل روح الابتكار ، وتضعف قوة التخيل ، وتسد أمام الأطفال مجال البحث والتفكير .

ولذلك اهتمت التربية الحديثة بجعل موقف المربى سلبيا فى أكثر الأحايين، وحصر مهمته فى التوجيه والإرشاد لما فيه خير الطفل ، ليكون أمام الأخير مجال واسع يفكر فيه ويجرب ، ويحاول بقدر الامكان تعليم نفسه بنفسه .

فعلى المربى والقائمين بأمر الطفل ألا يلجأوا إلى التقليد إلا فى حالات خاصة ، كتعليم الأطفال كيفية استعمال بعض الأدوات كالمساطر والمقصات والمقاطع وغيرها ، ووسائل اتقائه الخطر فى أثناء السير فى الطرقات ، وفى تمثيل الحكايات وتقليد أصوات الطيور والحيوانات المختلفة ، وفى تعليمهم الخط

والموسيقى والألعاب ونحوها من أوجه النشاط التى يحسن أن نجعل الطفل يتعلمها عن طريق التقليد .

والتقليد على كل حال ميل هام عند الإنسان ، يمكن به أن يرضى كثيرا من الاستعدادات الفطرية كاللعب مثلا . وعلى أساسه يستطيع الطفل أن ينطق ويتكلم ويقوم بمختلف الأفعال التى يساعده القيام بها على النجاح فى هذه الحياة .

الباب الثامن

الطفولة

معناها . أهميتها . أدوارها .

الطفولة

معناها :

كثير من الناس يخطئون فى تأويل معنى الطفولة ، وفى تحديد أمدها ، فمنهم من يعتبرها إلى الثانية عشرة من عمر الطفل ، ومنهم من يبالغ فيجعلها إلى العاشرة فقط ، والحقيقة أن الطفولة هى المدة التى يعتمد فيها صغار الكائنات الحية على كبارها فى مأكلهم ومشربهم ، ومأواهم ، وسد مآربهم ، والدفاع عنهم ، وتدريبهم على مواجهة الحياة : وبعبارة أخرى هى العهد الذى يتحرر فيه المخلوق الحى من مسئوليات الحياه ، اللهم إلا ما قد يتدرب عليه تدريجا من أبسط المهمات ، وما يكتسبه شيئا فشيئا من التقاليد السائدة بين عشيرته . فطول أمدها إذن متوقف على تمام تكوين الطفل ، وعلى استيفائه حقه من التدريب على القيام بشئون الحياة اللازمة له ، بحيث يصير نافعا لنفسه ولمجتمعه .

وعهد الطفولة يختلف باختلاف الحيوان ، فكلما ارتقت المخلوقات زادت مدة طفولتها كى تتدرب على القيام بأعباء الحياة التى تنتظرها . فالطائر الصغير يبقى فى حضانة أمه وأبيه ، يطعمانه ويحيطانه بالعناية ، ويؤديان مصالحه ، حتى يقوى ويستطيع الطيران ؛ ومن ثم يمكنه الحصول على طعامه وتأدية حاجاته الحيوية بنفسه . وبقدرته على ذلك تنتهى مدة طفولته .

والقطة الوليدة تظل فى حماية أمها معتمدة عليها فى تغذيتها ، والمحافظة عليها ، وتدريبها على القيام بأعمـــالها المستقبلة مدة طفولتها التى تنتهى متى استطاعت أن تتولى شئون نفسها بنفسها .

وكذا الطفل الوليد ، يبقى تحت رعاية والديه ومربيه مدة طويلة . ولكنه لا يبقى طول حيـاته عاجزاً عديم النفع ، يعتمد على غيره ؛ بل هو

يرقى ويتطور ، ويتعلم من أبيه وتلقنه أمه ، وتهذبه الجماعة التى ينشأ بين أفرادها ، فيصبغونه بتقاليدهم ومعتقداتهم ، ويقلدهم فى لغتهم وطرق معيشتهم ومختلف شئونهم .

أهميتها :

وعلى ذلك ، فالإنسان أطول الحيوانات طفولة ؛ وذلك ليحصل فى أثنائها على ما يعينه على مواجهة الحياة شيئا فشيئا . وهذا أمر تقتضيه الطبيعة ، فعقل الإنسان الذى ميزه الله به على سائر المخلوقات الحية ، وقابليته للتعلم ، وحاجاته ومطالبه الحيوية الكثيرة ، تستدعى طول عهد الطفولة . والتربية الحديثة تهتم اهتماما كبيراً بهذا العهد من حياة المرء ، ويكفى أنها اعتبرته عهدا قائما بذاته ، يجب أن يتمتع به الطفل . ولذلك حتّمت على المربين استغلال نشاط الطفل الذاتى الذى يبدو فى الطفولة بشدة وبكثرة، فى تربيته وتعليمه ، وجعل أعماله ضروبا من اللعب حتى يقبل عليها فرحا مسرورا ، وحتى يستفيد من تجاربه وخبرته عن الحياة فى نشأته الجسمية والعقلية والخلقية .

وبذلك كله نضمن أساسا متينا نبنى عليه حياة الطفل المستقبلة . فدور الطفولة إذن هو دور استعداد للحياة ، ولا غرابة أن يكون كذلك لأنه : —

١ — عصر ظهور الغرائز والميول الفطرية وتهذيبها وتعديلها . ومن المعلوم أن هذه الغرائز وتلك الميول ، هى أساس تصرفات الطفل المختلفة فى هذه الحياة ، وأنها القوى التى توجهه فى كل أطوار نموه ، فكل ما نراه من اعوجاج فى خلق بعض الأفراد ، وشذوذ فى البعض الآخر ، إنما يرجع إلى سوء توجيه الغرائز . وعلى العكس من ذلك ، إذا هى استوفت حقها من العناية بإشباعها إشباعا معقولا ، وتعديل مثيراتها ، ورفعها إلى المستوى الذى

تعمل التربية لتحقيقه ، ارتقت من المستوى الفطرى الحيوانى ، إلى مستوى إنسانى راق ، ومن الغرض المـــادى الفردى ، إلى الغرض المعنوى ، الاجتماعى . وبذلك ينشأ الطفل اجتماعيا محققا آمال التربية الحديثة .

وعلى كيفية توجيه الغرائز فى أطوار الطفولة المختلفة ، تصلح تربية الطفل أو تفسد ، وعلى آثارها يسعد أو يشقى .

٢ — عصر تكوين العادات والصفات الحميدة ؛ إذ لاشك فى أن جهاز الطفل العصبى وقتئذ يكون مرنا حساسا ، يتأثر إلى درجة كبيرة بما يحيط به من مختلف المؤثرات .

فكيفية معالجتنا لغرائزه المتنوعة ، وميوله المتباينة يؤثر فى تكوينه ، إذ ينشأ عن ذلك عادات وصفات مختلفة تكون حسنه أو سيئة ، تبعا لمعاملة الغرائز والميول . وهذه الصفات وتلك العادات قد ترسخ فى نفسه ، فيصعب استئصالها ، وهى التى تدفعه لأن يتخذ مسالك معينة فى الحياة .

٣ — عصر تهذيب الميول والوجـــدانات وتكوين العواطف ؛ فإن الوجدانات المهذبة والعواطف السامية ، تجعل الإنسان محترما محبوبا ناجحا فى الحياة ، فهى إن تكونت ، دفعت صاحبها إلى فعل الخير ، وجعلته يشعر بلذة الحياة . ويتمتع بجمالها ومسراتها ؛ وإن انعدمت فى الإنسان نشأ شاذا فى خلقه ، متقلبا فى مشاعره ، فظا فى إحساســه ، لايعبأ بأحوال المجتمع ولايكترث لغيره من الناس . فالعواطف والوجدانات السامية ، التى تغرس فى الطفل منذ طفولته ، تنشئه نشأة طيبة يكون لها أثر كبير فى إسعاد حياته وحياة من يحيطون به .

٤ — هو بوجه عام عصر التربية الصحيحة والتعليم الملائم . بل هو أوفق

الاوقات لذلك . إذ أن الطفل النامى الذى لا تثقله مطالب الحياة ، وحاجيات المعيشة ، لاعتماده على الكبار فى ذلك ، يكون مملوءا حيوية ونشاطا ، يجعلانه قابلا للتربية والتعليم .

والتربية الأولى التى يؤخذ بها الطفل هى التى تشكله جسما وعقلا وخلقا ، وتصوغه فى قالب خاص ينطبع به فى أطوار حياته المختلفة . ولو أمعنا النظر ، لوجدنا أن كل الحالات الجسمية والعقلية والخلقية تقريبا ، تتأثر بتكوين الطفل الأول الذى أكسبته إياه تربيته المبكرة ، فى سنى حياته الأولى .

وإن التجارب لتدلنا على أن إرجاء التعليم إلى سن متاخرة ، يجعل الناشىء لايكتسب منه إلا القليل وبصعوبة وفى بطء .

ويتبين لنا من كل ماتقدم ما للطفولة من عظيم الأهمية فى حياة المرء ، ويكفى أن نقول إن عليها تنى كل حياة الطفل المستقبلة .

أدوارها :

غير أننا إذا لاحظنا نمو الطفل من ولادته إلى بلوغه ، وجدنا أنه يمر فى أدوار متتالية يتميز كل منها بميزات بدنية وعقلية خاصة ؛ ورأينا أن هذا النمو سريع جدا فى بعضها ، وبطىء فى البعض الآخر . وقد يمتد عهد الطفولة الى سن ٢٥ سنة . ولكن كثيرا من العلماء اصطلحوا على أن يطلقوا عهد الطفولة على المرحلة من الولادة إلى قبيل عهد البلوغ ، أى المدة التى يكون فيها الطفل معتمدا كل الاعتماد على والديه . ويمكن تقسيم هذه المدة من حياة الطفل إلى مرحلتين ، متميزة الواحدة منهما عن الأخرى .

١ — الطفولة الأولى : وتنقسم إلى قسمين : الأول من الولادة إلى السنة الثالثة من عمر الطفل ؛ والثانية من السنة الثالثة إلى السنة السابعة . والطفولة

الأولى هى الدور الأول من حياة الطفل ، وفيها يعتمد كل الاعتماد فى مطالب حياته على أمه ويتميز هذا الدور بما يأتى :

(ا) تكون الأعضاء غير تامة النمو ، كما أن الحواس فى البداية تكون غير قادرة على القيام بوظائفها ؛ فالسمع يكاد يكون معدوما ، والبصر يحس بالضوء إحساسا غامضا ، والشم يكون ضعيفا جدا ، أما اللمس فيكون أقواها . ويبقى الطفل هكذا بضع أسابيع . ثم تقوى بعد ذلك حواسه على الإدراك بسرعة .

ويقوم الطفل فى عهد الطفولة المبكرة بحركات غريزية وعكسية . كالضحك والبكاء والمص وتحريك الجفون والأقدام والأيدى . ويقوى على الحركة شيئا فشيئا ، حتى يستطيع الحبو ثم المشى . وفى أثناء هذه المدة يبدأ الطفل فى معرفة من حوله ، ويتدرب على نطق كثير من الألفاظ والعبارات ، وبذلك يمكنه أن يقرن المسمى باسمه ؛ وإذ ذاك ترتقى حياته العقلية ، وتنمو مدركاته الحسية تبعا لتجاربه .

(ب) يكون انتباه الطفل مقصورا فى بادىء الأمر على ما يشوقه ويؤثر فى حواسه ، كالأشياء البراقة والألوان الزاهية والأصوات المتنوعة . أما قدرته على الانتباه الاختيارى فتظل محدودة .

(ح) تكون ملاحظته ضعيفة ، وينشأ عن ذلك ضعف إدراكه الحسى .

(ء) ينمو خياله بالتدريج حتى يصبح أقوى ما يمكن فيما بين الثالثة والسادسة ، إذ يصل إلى درجة كبيرة لا يستطيع معها التفريق بين الحقيقة والخيال . ولذلك يميل إلى سماع القصص الخرافية ، كما يميل إلى التقليد التمثيلى

(هـ) يتجلى فى الطفولة الأولى فيما بين الثالثة والسابعة النشاط الذاتى

بأجلى مظاهره ، وتنضج كثير من الغرائز كالاستطلاع والحل والتركيب والمقاتلة والاقتناء وغيرها ، وكذا الميول الفطرية العامة : فاللعب يظهر بوضوح ، ويكون غرض الطفل منه مجرد اللهو والعبث ، والتقليد كذلك ، ويتدرج من النوع المنعكس ، كابتسامة الطفل لابتسامة أمه ، إلى النوع التلقائى ، الذى به يقلد لغة أبويه وحركاتهم وأفعالهم وغير ذلك . وتكون قابليته للاستهواء قوية ، ويظهر فيه الميل الفطرى إلى مشاركة غيره وجدانيا فى كثير من الأوقات ، فهو يفرح لفرح أمه ، ويغضب لغضبها وهكذا .

وتستنفد كثير من طاقة الطفل الحيوية فى نمو جسمه وعقله ، ولذا يشعر بالتعب بسرعة ، ولا يستطيع إتقان القيام بالأعمال الدقيقة كالكتابة والرسم ونحوهما . وذلك لعدم وجود الاتصال الكافى بين أعصابه ، وعجزه عن ضبط حركاته .

(٦) ينزع الطفل دائما إلى الأنانية وحب النفس ، ولا يكترث بالتقاليد الاجتماعية التى يكتسبها شيئا فشيئا باتساع بيئته الاجتماعية ، وبمخالطة غيره .

٢ — الطفولة الثانية : من السنة السابعة إلى السنة الثانية عشرة ، وتعرف بدور الغلومة أو البنوتة . وتتميز بما يأتى :

١ — يدخل الطفل هذه المرحلة وقد نما جسمه ، واكتسبت أعضاؤه مرانا وقوة ، وأصبحت صحته على أحسن حال . وهذا الدور يختلف عن الدور السابق فى أنه دور تكوين واستقرار ، لا دور انتقال ، لأن النمو يقل فى أثنائه ، بينما أنه كان سريعا فى الدور السابق . لذلك فالطاقة الحيوية للطفل التى كان يستخدم معظمها فى نموه الجسمى فى الدور السابق ، تصبح متوفرة فى هذا الدور . ويتضح لنا هذا من شدة نشاطه وكثرة حركته ، ومن قدرته على مواصلة أعماله مدة أطول من ذى قبل ، دون أن يعتريه التعب ، لأن مقاومته

له تكون كبيرة . هذا إلى أنه يستطيع القيام بأعمال أدق كثيرا من أعماله السابقة كالكتابة والأشغال والرسم وغيرها ، ويرجع ذلك إلى زيادة الاتصالات العصبية وترابط بعضها ببعض .

ب — تنشط الحواس ويصير تأثرها بما تقع عليه من الأشياء قويا سريعا . ونتيجة ذلك أن الإدراك الحسى يقوى ويرقى ، بحيث يصبح فى مقدور الطفل أن يدرك كثيرا من الفوارق بين الأشياء المادية ، ويصل به التمييز بين المدركات الحسية إلى حد كبير من الدقة .

ح — تقوى ذاكرته فى هذا الدور ، وربما تكون أقوى منها فى أى دور آخر .

ء — يخطو التفكير خطوة كبيرة ، إذ يقوى فى الطفل الإدراك للأشياء العامة كما يستطيع أن يعلل ، ويناقش ، ويربط الأسباب بنتائجها فى دائرة المحسات .

ه — يزداد انتباهه قوة ، فيستطيع أن يحصره فى الأشياء أو الموضوعات التى تلائمه ، لمدة معقولة من الزمن . ولكنه يكره السير على وتيرة واحدة ، ويمل بسرعة العمل الواحد .

و — يتغير خيال الطفل عما كان عليه فى الدور السابق ، إذ يصبح ميالا لأن يُعْمِله فى دائرة الحقيقة والواقع ، فيتخيل ما يعرف أن له وجودا فى الحياة .

ز — تقوى فيه كثير من الغرائز السابقة ، وتنضج غريزة حب الاجتماع حوالى التاسعة . ويقل ميله للاستهواء لارتقاء تفكيره . أما ألعابه فتكون تعاونية ؛ وكثيرا ما تظهر فيها روح المنافسة . وترتقى أغراضها تبعا لنمو عقله .

ح — والطفل فى هذا الدور لا يزال غير قادر على فهم واجباته الأدبية

نحو صالح المجتمع ، فهو ما زال عاجزا عن مقاومة دوافع الأعمال والأقوال ، التى قد لا تتفق وما يراه النـاس مناسبا فى الحيـاة الاجتماعية من العادات والأخلاق .

• • •

دور البلوغ :

ولـكى نوفى البحث حقه ، نرى أن نذكر كلمة مختصرة عن دور النمو الذى يلى دور الطفولة ، وهو دور البلوغ الذى يبتدىء من حوالى الثانية عشرة إلى السادسة عشرة .

وهذه المرحلة أخطر مرحلة فى حياة الناشىء لما لهـا من الأثر الدائم فى تـكوينه ولذلك اعتبرها الـكثيرون أهم مراحل الحياة إذ يحدث فيهـا عدة تغييرات فسيولوجية (جسمية) ونفسية ، يجب مراقبتها أشد مراقبة ، وإلا أتت بآثار سيئة فى صحة الطفل وعقله وخلقه ، وذلك نتيجة اشتداد العواطف ، وتيقظ الغريزة الجنسية . وفيها أيضا تظهر ميول جديدة ، فالبالغون ينظرون إلى الحياة نظرة تختلف عن سابقتها فى دور الطفولة . كما أنه فى هذا الدور يتم تـكوين شخصياتهم وأخلاقهم التى بها يتميّـزون فى الحياة .

وأهم مميزات هذه المرحلة هى : —

١ — يكون نمو البدن سريعا جدا من حيث الوزن والطول ؛ ويبلغ نموه الحد الأقصى فى سن الخامسة عشرة ؛ كما أن القلب ينمو بسرعة عظيمة ، وكذلك يزيد إنتاجه . وهناك ظاهرة هامة ، تلاحظ فى أوائل هذا الدور وهى ، ضعف سيطرة المخ على حركة العضلات ، وتـكون نتيجتها عدم ضبط هذه الحركات فى البالغ عند القيام باى عمل دقيق . وكثيرا ما يلاحظ فى هذه السن على النشء

الضعف والخمول بسبب استنفاد معظم القوه الحيوية فى استكمال النمو الطبيعى .

هذا فضلا عن ظهور عوارض الأنيميا وبعض الاضطرابات العصبية عليهم ، مما يسبب عدم انتظام حركاتهم وتصرفاتهم ، ويقلل من التعاون بين سائر أعضائهم . وكثيرا ما نلاحظ أن البالغ فى بدء هذا الدور لا يحسن عملا عقليا ولا بدنيا .

٢ — يقوى التفكير المنطقى عند النشء فى هذه المرحلة ، فيتهيأ عقل البالغ لقبول قوانين العلوم ونظريات الرياضة والمنطق وتطورات التاريخ وما إلى ذلك . كما تقوى ذاكرته ، ويرتقى كذلك خياله ، فيصير ابتكاريا عمليا بعد أن كان أداة للعب . وكثيرا ما يظهر فيه الميل إلى تأليف القصص والقطع الموسيقية وغيرها ، إذا كان فى طبيعته استعداد لذلك .

٣ — تكون الانفعالات فى هذه المرحلة ثائرة بشدة ، نتيجة لتقلب مبادىء الطفل وأفكاره . فهو تارة منشرح بآماله وأحلامه التى يود أن يحققها له المستقبل ؛ وطورا يكون عبوسا مكتئبا ، ينظر إلى مستقبله نظرة البائس . ولا غرابة فى ذلك لأن هذا طور البلوغ الذى تبلغ فيه انفعالات الطفل أشدها .

وثورة الانفعالات فى الناشىء ، توجب على المربى ، كيما يكوّن فيه العواطف السامية المؤسسة لشخصيته ، أن يكون صديقا ناصحا له وشفيقا عليه ، حتى يأمن الناشىء إليــــه ، ويفضى له بأسراره ، فيطلع بذلك على دخائل نفسه ، ويوجهه التوجيه الصحيح المناسب لمقتضى حاله .

٤ — تكتمل الغرائز الاجتماعية فى الناشىء ، بعد أن كانت تغلب عليه الغرائز الفردية من قبل ؛ فيميل إلى تأليف الجمعيات المختلفة ، ومزاولة الألعاب

الرياضية ، والتعاون مع غيره من الناس ؛ وتقوى فيه روح التضحية لمصلحة الجماعة . أما الغرائز الفردية فإنها تتخذ أشكالا أرقى مما كانت عليه فى العهدين السابقين ؛ فمثلا تتطور غريزة حب الاستطلاع فى الطفل من مجرد ميل للوقوف على ظواهر الأشياء ، إلى ميل للتعمق فى البحث ، وتنظيم المعلومات ، والوصول إلى قرارة الأمور وأصول المعرفة .

ولما كانت نزعة التدين من مظاهر هذا الطور ، وكانت نظرة البالغ إلى حقائق الدين وقواعده تختلف عما كانت عليه من قبل ، لأنه لا يقبل من المعلومات إلا مايستسيغه بعد نقده وتحليله ، وجب علينا أن نحيطه بجو دينى عملى صحيح ، وأن نبث فيه الروح القويم ، كيما يتشرب قلبه بالآداب الصحيحة ، التى تصبح النواة الصالحة لتقويم خلقه . وبذلك يقوى على كبح جماح نفسه ، ومحاسبتها على كل صغيرة وكبيرة قد يأتيها مخالفة للمبادىء الأخلاقية والدينية التى غرست فيه .

ويتخذ الناشىء عادة فى هذا الدور مثلا عليا يحاول أن يحاكيها فى أفعاله وحركاته . وقد يتخير مُثُلَه من بين والديه ومربيه وأقاربه والمعاصرين البارزين ؛ وقد يتجه إلى تقليد أبطال التاريخ وغيرهم ممن يثيرون إعجابه . لذلك يجب أن نكون مُثُلا صالحة ليقتدى بنا أطفالنا ، فينسجون على منوالنا وينشئون بذلك نشأة طيبة .

الباب التاسع

النمو الجسمى للطفولة الأولى

الحركة الجسمية وأهميتها لنمو الجسم والعقل .

النشاط الذاتى وأثره فى نمو الأطفال .

وطرق استثارته .

النمو الجسمى للطفولة الأولى

يسمى الجنين من بعد الوضع إلى اليوم العاشر بالوليد ، وبعدها يسمى بالرضيع . وفى مرحله الرضاعة يكون نموه سريعا جدا ، وكل حركته تكاد تنحصر فى الرضاعة والنوم والبكاء .

والنمو خاصية هامة يتميز بها الطفل عن الكبير ، ذلك لأن الطفل فى نمو مستمر من حيث الطول والوزن وغيرهما ، بعكس الكبير . وقد يكون الطول أكثر دلالة على النمو من الوزن ، لأنه كثيرا ما يزيد وزن الإنسان بعد انتهاء دور نموه الحقيقى ، أما انتهاء الزيادة فى الطول ، فيعتبر انتهاء دور النمو .

ويبلغ طول المولود حوالى ٥٠ سنتيمترا . وغالبا ما يكون طول الأطفال فى سن الخامسة ، ضعف طولهم عند الولادة ، وفى سن ١٤ ثلاثة أمثال طولهم وقت الوضع .

وقد يزيد الطول على ذلك دون أن يكون هناك أى عيب فى الطفل . على أن كل أجزاء الجسم لا تنمو بنسبة واحدة فى الطول ؛ فنسبة طول رأس الطفل الحديث الولادة إلى طول الجسم كله ، تكون كنسبة ١ إلى ٤ ، وفى سن الثانية تكون كنسبة ١ إلى ٥ .

أما وزن الطفل فيأخذ فى الازدياد السريع فى خلال السنة الأولى . ويزيد الطفل غالبا نحو ٣ كيلوجرامات فى الأربعة الأشهر الأولى ، ثم كيلوجرامين فى الأربعة الثانية ، ثم كيلوجراما واحدا فى الأربعة الثالثة . وبذلك يبلغ وزنه فى نهاية السنة الأولى ثلاثة أمثال وزنه عند الولادة . وعند ما يبلغ ٥ سنوات ، يكون وزنه غالبا خمسة أمثال وزنه عند الولادة . وهذا النظام ينطبق على الجنسين إلى سن العاشرة ؛ ثم يختلف فى دور البلوغ ، فتبدأ البنت فى النمو قبل الولد ،

إذ تنمو بسرعة من ١٢ إلى ١٦ ، بينما يبدأ نمـــو الولد حوالى ١٤ ، وينتهى حوالى ١٨ .

التسنين :

إن ظهور الأســـنان علامة أخرى من علامات النمو ، فتظهر فى فم الطفل عشرون سنا « مؤقتة » تبدأ فى الشهر السادس . ويكمل عددها عندما يبلغ سنتين ونصف سنة . على أنها لا تظهر دفعة واحدة ، بل هناك ترتيب خاص فى ظهورها .

وفى سن السادسة ، يبدأ الطفل فى « التبديل » ، وتبرز له أسنان أخرى يزاد عليها ١٢ سنا ، فيصير عددها جميعا ٣٢ عند انتهاء دور النمو .

هذا وقد يبدأ التسنين مبكرا قبل الشهر السادس ، أو متأخرا عن ذلك فلا تظهر الأسنان قبل الشهر العاشر أو الثانى عشر من عمر الطفل . ولا يكون هذا التأخير فى ظهورها دليلا على وجود أى مرض فى الطفل .

أما إذا تأخر ظهور أسنان الطفل عن سنة تقريبا ، فيجب عرضه على طبيب إخصائى ليرى إن كان هناك اضطراب فى نموه .

أما المخ فإنه ينمو فى هذا الطور ويبلغ أقصاه فى حوالى السنة السابعة .

• • •

الحركة الجسمية وأهميتها لنمو الجسم والعقل .

الحركة الجسمية :

إن قوة التحرك موجودة فى الطفل قبل ولادته ، وتشعر الأم بهذا فى أثناء الحمل من « حوالى الشهر الرابع » ، وتستمر إلى الوضع .

والمولود يحرك عضلاته لغير غرض معين ، ومن غير أن يكون له سلطان

عليها ، ولكن الحركة تحدث من تلقاء نفسها بسبب حاجة الجسم إلى النمو . فهو يبكي ويمتص ، ويتحرك حركات يرمى بها إلى الدفاع عن نفسه ، مثلما يحدث إذا لمست يد باردة جسمه الدافىء . وإننا نلاحظ أن حركات المولود ناقصة لعدم تمام نمو الأعصاب المتفرعة من المخ إلى الأطراف والجسم . وكلما نما الطفل ، زاد ارتباط مواطن الحس والحركة بالتدريج .

أما رأسه ، فلا يمكنه أن يرفعها متزنة إلا فى الشهر الثالث . وقبل ذلك فهو يحركها فقط . ويمكن الطفل الجلوس دون مساعدة فى الشهر السادس . وفى حوالى الشهر الثامن ، ينام على بطنه ، ويسند جسمه على يديه فقط ، ثم على يديه وركبتيه . ويبتدىء فى الحبو على أطرافه الأربعة ليصل إلى الأشياء التى يرغب الوصول إليها ، ويستمر يحبو إلى أن يصير قادرا على الوقوف ، ويكون ذلك بين الشهر العاشر والثانى عشر ، ولكنه يحتاج الى مساعدة أمـــه ، أو الاستناد إلى كرسى ، أو غير ذلك . ويتدرج إلى المشى مستعينا بشىء كالحائط مثلا ؛ ثم بعد ذلك يخطو خطوة أو خطوتين بدون استعانة أحد ، ثم يتدرج ذلك إلى المشى منفردا .

وعلينا أن نتركه لطبيعته مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لكيلا يصاب بضرر عند وقوعه فى أثناء محاولته المشى ، وألا نحمله فوق طاقته ، ونجبره على المشى قبل الأوان ، لأنه قد يترتب على ذلك أضرار بليغة كعدم اتزان حركة المشى ، أو تقوس الساقين . وفى بحر السنة الثانية يجيد الطفل المشى بالمران المستمر .

...

أهمية الحركة لنمو الجسم والعقل :

بالنشاط والحركة تقوى أعضاء الطفل ، وتنمو نموا طبيعيا متزنا . فالطفل

يتحرك ويجرى ، ويمشى ويقفز ، ويبنى ويهدم ، إلى غير ذلك من مظاهر النشاط المختلفة . وفى كثير من الأحيان تستدعى الحركة استعمال حواسه ، وفى هذا تدريب لها ، وتنشيط لجسم الطفل بوجه عام ، وإبعاد للشعور بالخمول والكسل . فالحركة من غير شك تقوى عضلات الطفل المختلفة وأجهزته الباطنية ، وتساعدها على أن تقوم بوظائفها خير قيام . وبذلك يمتلىء الجسم قوة ، ويزداد حيوية ونشاطا .

والعقل حليف الجسم فى حركته وسكونه ، وصحته واعتلاله . وتتوقف حركة كل منهما على الآخر ، فمتى قويت أعضاء الحس التى هى أبواب العقل قويت مدارك الإنسان .

...

النشاط الذاتى وأثره فى نمو الطفل وطرق استثارته :

كنا من زمن غير بعيد نحن الآباء والأمهات والمربين والمربيات ، نخطىء فى تفهم طبيعة الطفل والحكم عليه . فكان فى المنزل يعمل مايريده والداه ، لا ما تتطلبه طبيعته وحاجته إلى النمو الجسمى والعقلى ؛ فتارة يُرغم على السكون والطاعة العمياء ، وأخرى يكلف ببعض الواجبات المنزلية التى لا تتفق ومستواه الجسمى والعقلى . فكأنه كان فى نظرنا رجلا مصغرا يتحمل مسئولية الحياة قبل أوانها .

وفى المدرسة كان واجبا على كل طفل صغير أو كبير ، أن يجلس فى حجرة الدراسة ساكنا خاضعا ، لا حركة ولا كلمة ولا عمل ، إلا سماع مايلقيه المدرس وتنفيذ ما يأمر به . كل ذلك بين جدران تحول بينه وبين الحياة ، ومقاعد تشل الأجسام ، وتقيد العقول ، ودروس نظرية إلقائية متتابعة ، هى فى الحقيقة عمل صناعى بعيد كل البعد عن الحياة . وفى آخر اليوم المدرسى

يحمل الطفل الكتب ويتأبط الكراسات ، ليستذكر ما كتب ، ويسطر واجباته المختلفة التى تستنفد باقى ساعات يومه ، وتقضى على راحته اللازمة لحياته ولنموه . وهو فى كل هذا مرغم على القيام بعمل بغيض ، لا يرتبط بحياته ، ولا يرضى فيه ميلا أو غريزة .

ولقد استيقظت العقول من سباتها العميق ، وفطنت إلى تلك الغرائز والميول الفطرية التى زودت بها الطبيعة الطفل منذ تكوّن . وكان ذلك على صدى صوت العلماء الحديثين الذين علت صرخاتهم دفاعا عن الطفل ، ونصرة لحقه المهضوم .

وهكذا أصبح الطفل يعامل فى البيت معاملة ملائمة لسنه . فهو يرتع ويلعب ويسأل ويقلد ويبنى ويهدم على حسب ما تتطلبه دوافعه الطبيعية . وفى المدرسة يحيا حياة طبيعية ملائمة لسنه ولعقله معا ؛ يعمل بنفسه ، ويلاحظ بنفسه ، ويتعلم بتجاريبه وألعابه ، ويقف ويجلس ويتكلم ويسأل ، ويجاب على حسب مستواه العقلى ، وهو فى كل هذا يؤدى عمله فى شوق وشغف ، لأنه صادر عن رغبة شخصية ودافع نفسى .

وليس من شك فى أن نشاط الطفل الذاتى ، ودوافعه الباطنية هى القوة الفعالة فى تربيته التربية الصحيحة . ولذلك يجب أن نفسح ميدان العمل أمامها لتنال الغذاء الصالح ، وتنمو نموا منتظما .

والنشاط الذاتى هو الطاقة الحيوية التى تدفع الطفل إلى القيام بأعمال مختلفة من تلقاء نفسه ، سواء أكانت هذه الأعمال لذاتها أم لغرض خاص .

وهذا النشاط أشبه بما فى بذور النبات من حياة كامنة ، واستعداد للنمو والإثمار . ولذلك فهو فى حاجة إلى أن نعد له البيئة الصالحة والجو الملائم الذى فيه ينمو ويزدهر . ويتوفر لنا هذا ويتيسر ، إذا جعلنا الطفل يحيا حياة

طبيعية صحيحه ، فيلعب ويعمل ويتبادل الآراء ويتعاون . فالواجب إذن هو أن نترك الحرية للطفل فيما يقوم به من الأعمال . لأننا إن حرمناه منها ، شللنا نموه ، وأخمدنا أنفاسه ، وكتمنا دوافعه الباطنية . فالحرية هى الميدان الصالح للنمو الصحيح .

• • •

طرق استثارته فى الأطفال :

لما كان الطفل يحب أن يعمل بنفسه ، ويتعلم بتجاريبه ، وهذا هو ما تتطلبة التربية الحديثة ، كان من الواجب أن يستثير المربون نشاط الطفل الذاتى ، وطاقته الحيوية التى تدفعه إلى العمل ، كى ينتفعوا بهما فى تربيته وتعليمه . ويمكنهم أن يلجأوا إلى ما لدى الطفل من ميول وراثية ومكتسبة ، ومافيه من نشاط وحياة ، وما يميل إليه من حركة واستطلاع واستحواذ وغير ذلك ، ليستعينوا بهما على تربيته تربية صحيحة . فالميل إلى اللعب والمحاكاة وحب الاستطلاع والمنافسة وحب السيطرة والتعاون ، وغيرها من مظاهر النشاط الذاتى التى يباشرها الطفل باختياره ، خير معين للمربى على تربية الأطفال . فعلينا إذن أن نوجه نشاط الأطفال إلى الطريق السوى ، وألا نتركهم من غير إرشاد ، فيحيدون عن الطريق المستقيم .

هذا والنشاط الذاتى يساعد على تربية الطفل تربية استقلالية . ذلك لأنه يرمى إلى جعل الطفل يعتمد على نفسه فى تحقيق رغباته ، كما يعوده تحمل المشاق فى سبيل إرضاء ميوله ونزعاته ، وغير ذلك من جميل الصفات التى إن تمكنت من نفس الطفل ، جعلت حياته سعادة وهناء .

الحواس

إن الرابطة الوحيدة التي تربطنا بهذا العالم هي الحواس . فلا غرابة إذا قلنا إنها أبواب العقل ، لأنها تقوم بوظيفة الإحساس . والإحساس هو تأثر أعضاء الحس بالمؤثرات الخارجية التي تقع عليها . وهو أبسط صورة لأعمال العقل . وبتكراره مرات عديدة ، تحتفظ به خلايا المجموع العصبي (المدير للعقل والجسم معا) . ثم يستطيع الطفل شيئا فشيئا أن يؤول هذه الإحساسات ، فيدرك ما يرى من الأشكال ، وما يسمع من الأصوات ، وما يلمس وما يتذوق وما يشم . وإذ ذاك يصير الإحساس المجرد إدراكا حسيا . وهذا يرقى فيصبح إدراكا كليا عن طريق التفكير . وبذلك تكتمل وظيفة العقل في الحياة .

ولما كانت الحواس ذات أهمية كبرى في تكوين حياتنا العقلية منذ الصغر ، فإن العناية بها وتربيتها التربية الصالحة واجبة في أدوار تربية الطفل الجسمية والعقلية والخلقية ؛ غير أن ذلك لا يتم لنا إلا بمعرفة تركيب هذه الحواس وكيفية قيامها بوظائفها .

وأهم الحواس المعروفة هي : الإبصار والسمع والشم والذوق واللمس . وهناك بجانب الإحساسات التي تصل للإنسان عن طريق هذه الحواس ، إحساس عام ليس له حاسة خاصة به ، ولكنه يحصل بالأعصاب المتفرعة في جميع أجزاء الجسم ، وبه يشعر الإنسان بحالات جسمه العامة من جوع وتعب ونحو ذلك .

وسنقصر الكلام على تركيب أعضاء الحس الخاصة ، وهي العين والأذن واللسان والأنف والجلد .

حاسة البصر :

وعضوها العين وهى أهم الحواس . ويؤثر فى العين جميع الأشياء المحيطة بالإنسان . وأهم جزء فيها هو المقلة وتتركب من :

(١) أغلفة . (٢) أوساط شفافة .

ا — الأغلفة وتشمل الأجزاء الآتية :

١ — القرنية الصلبة : وهى طبقة كثيفة بيضاء قوية ، الجزء الأمامى منها شفاف ، ويعرف بالقرنية الشفافة .

٢ — المشيمة : وهى طبقة سوداء تمنع تهويش الأشعة داخل العين ، والجزء الأمامى منها ملون بألوان تختلف فى الإنسان والحيوان ، ويسمى بالقزحية . وفى وسط القزحية ثقب صغير يعرف بإنسان العين .

٣ — الشبكية : وهى طبقة رقيقة جدا مكونة من خيوط عصبية دقيقة بعضها بجانب بعض ، وهى الجهاز العصبى للعين وتتميز فيها نقطتان ، الأولى عديمة الإبصار ، وتعرف بالنقطة العمياء ، والثانية شديدة الإبصار ، وتعرف بالنقطة الصفراء .

ب — الأوساط الشفافة ، وتشمل الأجزاء الآتية :

١ — العدسة أو البلّورية : وهى بلّورة محدبة الوجهين تقع خلف القزحية . وتتصل بها عضلات صغيرة من الجانبين ، يمكن بها جعل العدسة أقل تحدبا أو أكثر ، على حسب الحاجة .

٢ — الرطوبة المائية : وهى سائل بين القزحية والبلورية

٣ — المادة الزجاجية : وهى مادة رخوة ، تعرف بالجسم الزجاجى . وتشغل أربعة أخماس العين تقريبا .

وتعمل كل هذه الأوساط على انكسار الأشعة الداخلة ، ثم تجمعها على الشبكية عند بؤرة العدسة (البلورية) .

ويوجد عدا ذلك غشاء مخاطى يبطن السطح الداخلى لجفن العين ، ويعرف بالملتحمة ؛ كما توجد أجزاء أخرى إضافية ، تقى العين من المؤثرات الجوية ، وهى الجفون والأهداب والغدد الدمعية .

العين

ولا يخفى ما للإبصار من الأثر العظيم فى حياتنا . فبه يمكننا تمييز ألوان الأجسام وأشكالها المختلفة ؛ وبه يمكننا تمييز الطيب من الخبيث ، والنافع من الضار .

الإبصار :

إذا وقعت أشعة ضوئية على العين ، فإنها تعانى عدة انكسارات متعاقبة عند سطح القرنية ، ثم عند الأوساط الشفافة من العدســـــة . وبذلك تتكون صورة منقلبة للمرئى على شبكية العين . ثم تقع صورته معتدلة طبق الأصل على المركز الرئيسى للإبصار فى المخ ، فيراه الإنسان على حقيقته . وإذا كان

المرئى على بعد مناسب ، رأيناه واضحا ، لأن العصب البصرى ينقل الأثر إلى المخ ، فيبعث برسالته إلى العين ، فنرى الصورة معتدلة . أما إذا كان البعد غير مناسب ، فإن العدسة تتحدب أو تتقعر لتتم عملية الإبصار ، لأن البعد البؤرى للعدسة يختلف باختلاف درجة تحدبها . وبتكرار ذلك تتعرض العين شيئا فشيئا لقصر النظر أو طوله .

ولأهمية العين ودقة تركيبها وسرعة تأثرها ، يجب على المرء أن يعتنى العناية التامة بنظافتها ، ويتجنب كل مايؤدى إلى إيذائها ، وذلك باتباع الإرشادات الآتية : —

١ — النظافة المستديمة ويكون ذلك بغسل العينين كل يوم بمحلول مطهر كمحلول حامض البوريك ، ووضع القطرة عند الحاجة ، وعدم لمس الطفل لعينيه إذا كانت يده قذرة .

٢ — الاحتراس من العدوى بقدر ما يمكن ، وذلك بتعويد الطفل ألا يستعمل أى أداة من الأدوات التى تلمس العين يكون قد استعملها غيره .

٣ — توفير الضوء وتوزيعه فى الغرف توزيعا صحيا ، وعدم القراءة فى الضوء الضعيف .

٤ — تجنب ما يتعب العين كعقاب التلميذ بالقراءة أو الكتابة الكثيرة .

٥ — عدم تكليف الطفل قبل سن السابعة بأى عمل دقيق يجهد البصر .

٦ — تعويد الأطفال عند القراءة ، إمساك الكتب على بعد مناسب ، وعدم السماح لهم بتقريبها من عيونهم أكثر مما ينبغى .

٧ — أن يكون ورق كتب الأطفال جيد النوع ، وأن تكون الحروف كبيرة . والكلمات واضحة ، بينها مسافات مناسبة .

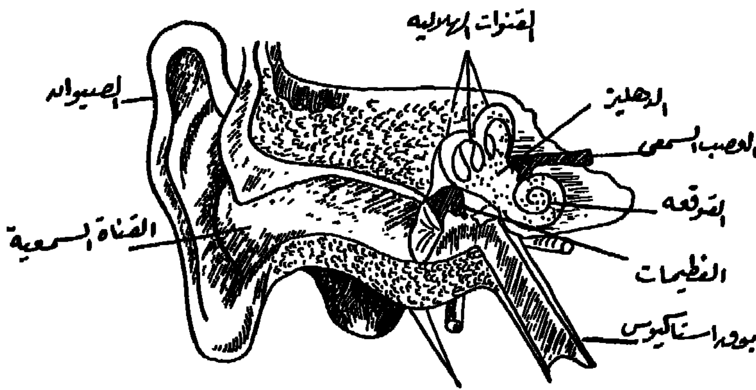
٨ — مراعاة التغذية الصحية ، لأن سوء التغذية يسبب ضعف العين وقصر النظر .

٩ — المبادرة بعرض الطفل على طبيب العيون بمجرد ظهور العوارض التى تستدعى ذلك .

حاسة السمع :

الأذن عضو السمع، وهى تتأثر بالتموجات الصوتية . ويعتبر السمع أهم حاسة بعد حاسة النظر . وتشغل الأذن جزءا من العظام الجانبية للجمجمة ، يعرف « بالصخرة » . والجزء الظاهرى منها يعرف « بالصيوان » ، وهو يختص بجمع التموجات الصوتية . ثم تليه القناة السمعية التى تصله بالجزء المتوسط من الأذن . وبهذه القناة شعيرات وغدد تفرز مادة صفراء تسمى الصماخ ، وذلك لحمايتها من الأتربة والأجسام الغريبة .

وتنتهى هذه القناة بغشاء رقيق يعرف بالطبلة ، هو فى الحقيقة ابتداء الجزء



(شكل ٢)

المتوسط المعروف « بالأذن المتوسطة » . وبداخل هذا الجزء ثلاث عظام صغيرة هى المطرقة والسندان والركاب . وتحتوى الأذن المتوسطة على كمية من الهواء ، وبها فتحة تسمى بوق « استاكيوس » ، تصلها بالفم . ويصلها بالجزء الداخلى

من الأذن المسمى « بالأذن الباطنة » فتحتان . وتتركب هذه الأذن الباطنة من الدهليز والقنوات الهلالية والقوقعة والسائل المتفرع فيه العصب السمعى .

وللسمع أهمية كبرى فى تحصيل المعلومات ، وفى تبادل المنفعة بين الناس ، بما يدور بينهم من المحادثات والمناقشات ، وفى التمتع بالأصوات المطربة .

ويحصل السمع بجمع التموجات الصوتية بوساطة الصيوان ، واهتزاز غشاء الطبلة بتأثير اهتزاز هذه التموجات . وينتج عن ذلك اهتزاز عُظَيْمَات الأذن المتوسطة ، فسائل الأذن الباطنة ، فالعصب السمعى الذى ينقل الأثر للمخ ، فنسمع الأصوات التى أحدثتها .

وواجب المربى أن يعنى عنـاية تامة بتنظيف أذن الطفل ، وإزالة مادة الصماخ منها أولا فأول ، حتى لا تتراكم فتسبب للطفل الصمم . كما يجب مراعاة أن يكون تنفس الطفل من الأنف دائماً . وينبغى تحذير الأطفال من اللعب فى آذانهم بالسيقان الخشبية الرفيعة التى تعرض الطبلة للتلف . ويجب أن نعلم أن إهمال مرض الأذن قد يودى بحيـاة الطفل . ولذلك فالواجب عرضه على الطبيب بمجرد ظهور حالة تستدعى ذلك .

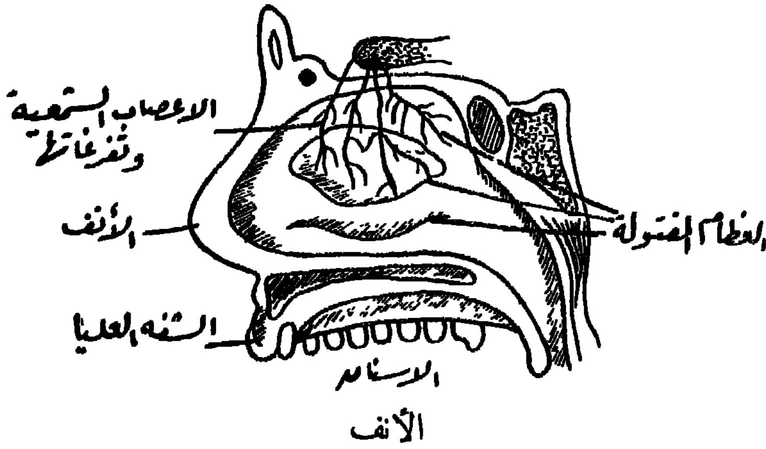
حاسة الشم

عضو هذه الحاسة هى الأنف التى تتأثر بالروائح المختلفة .

والأنف جزء بارز وسط الوجه ، له فتحتان خارجتان تؤديان إلى فراغين يفصلهما حاجز نصفه العلوى عظمى والسفلى غضروفى ، وفتحتان داخلتان متصلتان بالبلعوم والأذن .

وتنتشر أعصاب الشم فى الغشاء المخاطى الذى يكسو العظم المصفوى ، وتأتى من المخ مخترقة العظم الأخير .

ولهذه الحاسة مزايا خاصة تتلخص فيما يأتى : —



الأنف

١ — إدراك الروائح الجميلة والتمتع بها .

٢ — معرفة تعفن الأشياء وفسادها ، ومعرفة الحريق وانتشار غاز الاستصباح ونحو ذلك ، مما يساعدنا على تجنب الأضرار التى تنتج عنها .

٣ — مساعدة حاسة الذوق فى إدراك طعم الأغذية .

ويحدث الشم عند ما تصل ذرات دقيقة من المادة ذات الرائحة إلى الأنف مع الهواء ، وتلامس أعصاب الشم ، فينتقل الأثر إلى المخ ، فتُدْرَك الرائحة . وتجب العناية بنظافة الأنف ، وإزالة ما يتراكم به من الأوساخ حتى لا تحول دون سير الهواء ، فيلجأ الطفل إلى التنفس من فمه ، وفى هذا ضرر شديد لرئتيه وأذنيه قد يعرضه للخطر . ولذلك يجب الاهتمام بعلاج الزكام وغيره مما يصيب الأنف فيوقف عملها .

حاسة الذوق

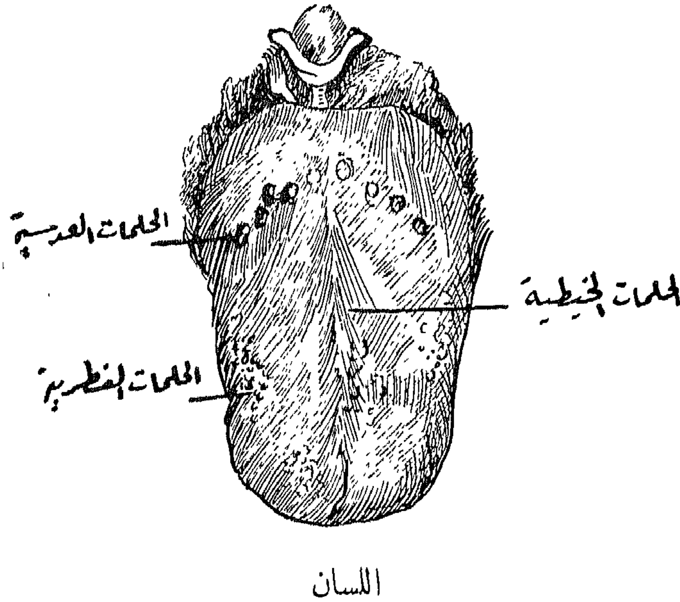
مركز حاسة الذوق اللسان . ويتأثر اللسان بالمواد الذائبة ، أو التى يذيبها اللعاب .

ويغطى اللسان ومؤخر سقف الحلق غشاء مخاطى تنتشر فيـــه الحلمات الحساسة الممتلئة بالأعصاب وهى ثلاثة أنواع : —

١ — الحلمات الخيطية : وهى رفيعة صغيرة كثيرة العدد .

٢ — الحلمات الفطرية : وهى شبيهة بنبات الفطر ولونها أحمر زاه .

٣ — الحلمات العدسية : وهى مستديرة الشكل ، وتوجد فى مؤخر اللسان على هيئة زاوية حادة .



اللسان

وبهذه الحاسة ندرك طعم الأغذية والشراب . وهى مرتبطة بحاسة الشم ، لأننا نستطيع أن ندرك طعم الشيء من رائحته ، ونميز رائحة الشيء من طعمه . ولذلك يلجأ بعض الناس إلى سد أنوف الأطفال عند تناول الدواء المرير .

وكل ما يحدث أن اللعاب يذيب ذرات مادة الشيء الذى يدخل الفم . وبملامستها للغشاء المخاطى ، تؤثر فيه ، فتنقل أعصاب الذوق هذا الأثر إلى المخ

فنستطعمه . والمادة البيضاء التى تعلو اللسان أحيانا تدل على انحراف فى صحة الطفل ، وتتطلب عناية فى إزالتها حتى لا تحول دون عمل حاسة الذوق .

حاسة اللمس

وعضوها الجلد . وهى من الحواس المهمة فى تكوين الطفل تكوينا عقليا. ويتأثر الجلد بالأشياء التى تتصل بسطحه عن طريق مباشر كملامسة شىء خاص له ، أو عن طريق غير مباشر ، كتأثير حرارة متشععة ، أو ضغط تيار من الهواء . وهذه الحاسة تكون على أتمها فى جلد الشفتين واللسان وأطراف الأصابع .

وتنشأ الحساسية باللمس من تأثر الألياف العصبية كثيرة الفروع ، المنتشرة فى الجلد . وتنتهى أطراف هذه الفروع بأجزاء دقيقة جداً لها أشكال مختلفة .

وهى التى تساعدنا على أن نميز الأجسام ومبلغ مرونتها أو صلابتها ، ونعومتها أو خشونتها ، وبرودتها أو حرارتها ، ونحو ذلك ؛ وتساعدنا على وقاية أجسامنا من المؤثرات الضارة ، كالحرارة والأجسام الوخازة ونحوها ، كما تكسبنا معلومات شتى عن العالم المحيط بنا .

ومن وجوه العناية بحاسة اللمس ، تنظيف الجلد ، وإزالة ما يتراكم عليه من المواد الدهنيــــة وغيرها ، حتى يسهل عليها أن تقوم بوظيفتها على أحسن وجه .

تربية الحواس :

إن العناية بالحواس ونظافة أعضائها ، ومعرفة طرق وقايتها ومعالجتها شىء ؛ وتربيتها التربية الصالحة شىء آخر . فالعناية بالحواس لا تغنى عن تربيتها وتدريبها ؛ ولو أننا لا ننكر مطلقا أن المهمتين متداخلتان ، تساعد إحداهما الأخرى .

والغرض من تربية الحواس هو تدريبها على تادية وظائفها تدريبا منظما مقصودا حتى تكون مدركات الطفل الحسية صحيحة ودقيقة . لأن إهمال هذا التدريب ، أو تركه للمصادفة يعوق نمو الإدراك الحسى نموا منظما : والغرض من تربية الحواس ، هو تربية الإدراك الحسى نفسه تربية تمكن الطفل من تمييز المدركات وما بينها من مختلف الفروق والتشابه تمييزا يستطيع به معرفتها معرفة حقة ، والحكم عليها حكما صحيحا .

وهذا التدريب ضرورى جدا لأنه الخطوة الأولى فى تربية العقل تربية منظمة . ويتطلب قدرة ومهارة من المربى ليصل به إلى الغاية المنشودة .

ولأن الإدراك الحسى الواضح هو الوسيلة للاستدلال والحكم وغيرهما من القوى العقلية ، فضعف هذا الإدراك عند الطفل ، أو عدم وضوحه ، ينبنى عليه نقص واضطراب فى تلك القوى العقلية . فمثلا إذا لم يمرن الطفل على إدراك الأزهار إدراكا صحيحا من حيث شكلها ولونها ورائحتها وتركيب أجزائها ، فإنه لا يستطيع أن يميز بينها الواحدة من الأخرى ؛ فيتراءى له أن كل زهرة وردة مثلا . وبذلك تكون معلوماته قاصرة نتيجة لقصور إدراكه .

وإذن فواجب المربى قبل كل شىء العناية بتوسيع خبرة الأطفال بالمدركات ليفهموها ، وتزويدهم بأنواع التجارب التى يقومون بها بأنفسهم ليفحصوا ويتأملوا ما لديهم من الأشياء ؛ أو بعبارة أخرى ، ينبغى أن يبدأ المربى بتربية الحواس كالخطوة الأولى فى تربية العقل . لأن هذا هو النظام الطبيعى لترقية المدارك العقلية . فالطفل يسمع ويرى قبل أن يفكر فيما يرى ويسمع . والمرء يعمل غالبا بيده قبل أن يعمل بعقله ، ولذلك كانت اليد أكبر عامل فى نشاة العقل وترقيته .

من هذا نرى أن تربية الحواس هى فى الحقيقة تربية العقل نفسه بطريقة غير مباشرة . فكل حاسة لها مراكز معينة فى المخ الذى هو مركز العقل كما ذكرنا فى تركيب الحواس . وهذه المراكز ناقصة ضعيفة فى الأطفال ، ولا يمكن أن ترقى من تلقاء نفسها ، بل يتوقف رقيها على ما يصل إليها من المؤثرات الخارجية

ولهذا عنيت التربية الحديثة بتدريب الحواس . فهاهى طريقة «دكرولى» المبنية على الملاحظة والمشاهدة ، تستدعى تربية الحواس تربية صحيحة منظمة . وهذه طريقة « منتسورى » وغيرها من الطرق الحديثة تعنى بهذه الناحية ، وتجعل أساس تعليم الطفل التجربة والعمل عن طريق حواسه المختلفة . ولذلك اخترعت « منتسورى » أجهزة خاصة لتمرين مختلف الحواس على التمييز بين المؤثرات المتنوعة وصفاتها وأنواعها وغير ذلك .

فهناك الصناديق التى تحوى قطع الخشب الملونة بألوان مختلفة ، ليضع الطفل كل لون على ما يشابهه من أجزاء تلك الصناديق . وفى هذا تدريب لحاسة النظر على إدراك الفروق الدقيقة بين المؤثرات المختلفة .

وهناك الأجراس والأوتار المختلفة لتمييز النغمات ودرجاتها ، ومعرفة مصادرها لتمرين حاسة السمع .

وهناك الأكياس المملوءة بالبذور والأشياء المختلفة الرائحة ، للتمييز بين الروائح ومعرفة مصدر كل منها .

وهناك الأقمشة الناعمة والخشنة من الحرير والصوف وغير ذلك لتدريب حاسة اللمس .

وهناك المكعبات والاسطوانات والمنشورات لتمييز الثقل والحجم والسمك . وقصارى القول «فمنتسورى» تؤمن بما للحواس من الأثر البيّن فى

تكوين حياة الطفل العقلية ، كما تعتقد أن تربية هذه الحواس تربية صحيحة أساس متين للنمو العقلي المتزن . ولذلك عنيت باستخدام الأجهزة المختلفة الكثيرة لتدريب كل الحواس على السواء تدريبا خاصا ، يمكنها فيما بعد من أداء وظيفتها على وجه حسن ، فتكون بذلك مصدرا مفيدا ، وموردا نافعا للمعلومات التى تصل إلى عقل الطفل .

وقد عنيت الحكومة المصرية بهذا الأمر فأوجدت كثيرا من هذه الأجهزة فى رياض الأطفال .

وليست هذه هى الوسيلة الوحيدة التى يستطيع أن يلجأ إليها المربى فى تربية الأطفال ، بل إن هناك عددا لا يحصى من اللعب التعليمية ووسائل الإيضاح التى يمكن أن يضعها بين أيديهم ، فيحلّوها ويركبوها ، ويروا أشكالها ، ويسمعوا أصواتها ، ويحسوا ملمسها ، ويجربوا لكشف المعلومات عنها . وبذلك يزداد محصولهم العلمى عن طريق تعليمهم أنفسهم بأنفسهم ، ويستطيعون الحكم الصحيح ، ويتعودون التفكير المنتظم الذى يكون لهم ذخرا مدخرا لمستقبل حياتهم .

وبديهى أن الطفل الذى يسمع فقط بأن فرو القطة ناعم دون أن يراه ويلمسه ، لا تثبت المعلومات فى ذهنه كمن يسمع ذلك فيلمس فرو القط ويراه بعينه . ذلك لأن الطفل فى الحالة الثانية قد استعان بأكثر من حاسة واحدة على توصيل المعلومات إلى ذهنه النامى .

وليست حجرة الدرس هى المجال الوحيد لهذه التربية ، بل يجب على المربى أن ينتهز كل فرصة لتدريب حواس الطفل ، وأن يشجعه بقدر الإمكان على الفحص والبحث ، وأن يستعين بالطبيعة فى تدريبه على إدراك الفروق بين الأزهار والأثمار والحيوان ، وعلى معرفة أنواع الألوان ، وعلى تمييز الروائح

البَابُ العَاشِرُ

الحواس

تربيتها ، الادراك الحسى .

الادراك الكلى .

المتباينة ، وإدراك الأشياء بلمسها؛ وبعبارة عامة ينبغي العمل على تربية الملاحظة والانتباه عند الأطفال حتى لا تفوتهم فرصة يتزودون فيها بالمعلومات النافعة عن هذا الكون الجديد عليهم .

من أجل هذا رأى أولو الأمر أن يدخلوا فى خطة الدراسة ، الموسيقى وأنواع الرسم والأشغال اليدوية ونحوها من الدروس العملية التى يجد فيها المربى ميدانا فسيحا لتدريب حواس الأطفال .

ونعود فنكرر إن للحواس أثرا عظيما جدا فى تكوين الطفل فى النواحى الجسيمة والعقلية والخلقية ، وإن فى تربيتها ضمانا لنموها نموا طبيعيا منتظما حتى إذا سمع الطفل أو أبصر ، انتفع بما سمع ، وتعلّم ممّا أبصر . وبذلك تتكوّن فيه عادات عقلية وجسمية ، وعواطف مختلفة راقية تبنى أخلاقه على أساسها .

ولم تكن هذه العناية بالحواس شيئا جديدا فى التربية ، فقد عنى بذلك « روسو » « وبستالتزى » « وفروبل » وغيرهم من المربين السابقين .

الإحســـــاس والإدراك الحسى .

كيف يدرك الإنسان ما حواليه ؟
قيمة الحواس فى إدراك الحقيقة .

يولد الطفل وليس عنده شىء من العلم بنفسه ولا بغيره ، إلا أنه يكون مزودا بغرائز النوع البشرى ، وبما ورثه من صفات أبويه الجسمية والعقلية . ولكيما يتعلم الإنسان فى حياته ، وينتفع بغرائزه أمده الله بأجهزة تساعده على ذلك . فمنحه الحواس المختلفة كالبصر والسمع والشم والذوق واللمس وغيرها التى بها يستطيع إدراك الحقائق ، والتميز بين الأشـــياء . ومن خصائص الحواس أنها متى تأثرت بالأشياء التى حول الإنسان ، انتقل الأثر بواسطة

الأعصاب الحسية المرتبطة بالحواس إلى المخ الذى هو مركز العقل فيحس بها ثم يدركها . وعلى أساس هذه الإحساسات والإدراكات الأولية تعمل القوى العقلية الأخرى .

فالحواس نعمة جليلة من نعم الله علينا . يقصر القول على وصف قيمتها . فهى منبع معرفتنا ومسراتنا ولذاتنا المختلفة التى يبعثها فينا إدراك جمال الطبيعة وبهاء الكون وغير ذلك . فليس يخفى ما للحواس من الأثر الكبير فى إعلاء شأن حياة الطفل العقلية والوجدانية ، إذ أنها الأساس فى توسيع الإدراك وترقية الشعور وتهذيب العواطف .

والطفل يولد قادراً على أن يرى ، وأن يسمع ، وأن يحس بما زوده الله به من أعضاء الحس المختلفة ، ولكنه يتعلم معنى ما يراه وما يسمعه فى الحياة . وكل عضو من أعضاء الحس يتأثر بنوع خاص من المؤثرات . فكل حاسة مهيأة لإدراك ما هو خاص بها . فالبصر مهيأ لإدراك المرئيات كالنور والظلمة وأجسام الأشياء وأشكالها وأوضاعها وأبعادها وحركاتها وسكونها . وحاسة السمع معدة لإدراك المسموعات وهى الأصوات الطبيعية والموسيقية وغيرها . وحاسة اللمس معدة لإدراك الملموسات كالحرارة والبرودة، واليابس والرطب ، واللين والخشن ، وما إلى ذلك . أما حاسة الشم فتدرك الروائح طيبة كانت أم كريهة . وكذلك تدرك حاسة الذوق الحلاوة والمرارة ، والملوحة والحموضة ونحوها .

ومن هذه المدركات تبتدىء نشأة القوى العقلية فى الطفل . وبمجرد أن تبدأ الحواس فى عملها الخاص ، وتصل آثار انفعالاتها بالمؤثرات الحسية إلى المخ ، تحدث أول ظاهرة نفسية فى حياة الطفل وهى الإحساس .

الإحساس والإدراك الحسى :

الإحساس هو أبسط مظاهر الحياة العقلية كلها . وينشأ من انفعال عضو من الأعضاء الحسية . ومثله الإحساس بالحرارة ورؤية الضوء وسماع الصوت وغير ذلك ؛ هذا إذا كان الإحساس قاصراً على الحرارة أو الضوء أو الصوت فقط . أما إذا اندمج فيه شىء من الخبرة السابقة يعطيه بعض المعنى ، فإنه يصبح إدراكا حسيا . فمجرد سماع الصوت مثلا هو إحساس ، ولكن إذا ميزناه بأنه صوت إنسان أو حيوان أو موسيقى أو غير ذلك ، كان إدراكا حسياً .

والإحساس عملية عقلية أولية ، لا يتعلمها الطفل فى حياته كما سبق أن ذكرنا . وهو أبسط عمل تقوم به الحواس . والإنسان بطبيعته مدفوع إلى تعرف بيئته المملوءة بأشياء ذات ألوان وأشكال وحجوم وأصوات وغير ذلك . وهذه كلها تؤثر فى الحواس من أول عهد الإنسان بالحياة ، فيندفع إلى تعرفها . فواجب المربى أن يدرس وظائف الحواس حتى يُمكّن الطفل من المحافظة عليها ، واستخدامها فى معرفة الأشياء المحيطه به . فالحواس تزوده بالمادة الأولية وهى الإحساسات التى تتحول إلى معرفة ، وذلك بعد أن يؤولها العقل فتصبح إدراكا حسياً .

والإدراك الحسى هو العملية العقلية التى بها نصبح على علم بشىء من الأشياء الخارجية التى تؤثر فى حواسنا ، والتى يمكن أن نطلق عليها فى هذه الحالة « مدركات حسية » . ولخبرة الشخص السابقة أثر كبير فى تكوين المدركات الحسية .

كيف يدرك الطفل ما حواليه

يولد الطفل وليس له دراية بشىء مما حوله . وما العالم الذى يحيط به إلا مجموعة مضطربة غامضة من الأشياء التى تقع عليها حواسه . وهو

بطبيعته مدفوع إلى تعرفها ، فيقبل عليها بحواسه المختلفة ليدرك حقيقتها . وكلما ازدادت خبراته بها ، تحسن إدراكه لها وسهل عليه التمييز بينها .

على أن أول ما يسترعى نظر الطفل من المدركات ، فائدتها له وما تجلبه من لذة وسرور . ولذا نراه يعرف الشيء بفائدته ، فيقول إذا سئل عن شيء مثلا : هذا أفعل به كذا وكذا . فالفائدة العملية هى التى تجذب الطفل إلى الأشياء ، وتحمله على الالتفات إليها ، وتدعوه لملاحظتها . والإدراك الحسى لا يكون تاما إلا إذا اشترك فى الحصول عليه أكثر الحواس الممكنة ، واستخدم فيه أكبر عدد ممكن من الإحساسات . فالطفل الذى يكتفى برؤية برتقالة مثلا يكون إدراكه لها ناقصا . ولكنه إذا رآها وشم رائحتها ولمسها بيديه وقطعها وتذوق طعمها ، فإن إدراكه لهـــا يكون أكمل بكثير من إدراكه فى المرة الاولى . ويزيد هذا الإدراك وضوحا إذا رأى أنواع البرتقال المختلفة ، ووازن بينها وبين غيرها من سائر الفواكه . هذا لأن الطفل لا يدرك الشيء بدقة ، ولا يفهم معناه تماما ، إلا إذا رآه وفحصه ولعب به واستخدمه لأغراضه ، وأجرى عليه التجارب الكثيرة التى تساعده على تكوين مدركات صحيحة تامة عنه . فالإحساسات أولا ، والتجارب والخبرات ثانيا ، هى التى على أساسها يدرك الطفل ما حوله ، ويفهمه تمام الفهم .

والإدراك الحسى لشيء من الأشياء ، ولا سيما إذا كان هذا الإدراك مصحوبا بانتباه شديد ، وملاحظة دقيقة ، يقوى الرابطه بين العضـــلات والأعصاب التى تستخدم فى ذلك الإدراك . وكلما تعددت مرات الإدراك اشتدت تلك الرابطة . وكلما قويت هذه الرابطة صار من السهل على الطفل الإدراك الدقيـــق الواضح . ولولا الإدراك لظل الطفل يرى دون أن يعرف ما يراه ، ويسمع دون أن يميز ما يسمعه ، ويلمس دون أن يفرق بين مختلف الملموسات . ويترتب على ذلك نقص فى عقل الطفل .

لهذا يجب على المربين أن يبدأوا بتدريب حواس الطفل على الإدراك ، وتقوية عضلاته . قبل أن يشرعوا فى تثقيف عقله بالتعليم . ذلك لأن مراكز الحس والحركة هى التى تأخذ فى النضوج قبل سواها من المراكز العقلية الأخرى . على أننا لا نقصد أن نربى عقل الطفل على حدة ، وجسمه على حدة ، ولكننا نقصد تربيتهما معا ، لأن حياة الطفل العقلية مرتبطة بحياته الجسمية كما سبق القول .

والآن قد عرفنا أن الطفل لا يتعلم كيف يرى ، ولا كيف يسمع ، ولكنه يتعلم معنى ما يراه وما يسمعه . فهو يحس من الوقت الذى تتأثر فيه حواسه ، ولكن معرفته للأشياء وإدراكه للحقائق يتوقفان على ما يكون لديه من خبرات وتجارب . وعلى هذا الأساس ينبغى للقائمين بأمر الأطفال مراعاة النقط الآتية : —

١ — العناية التامة بالحواس من حيث النظافة ، والعمل على وقايتها من العدوى ، وعرضها على الطبيب المختص إذا ما استدعى الحال ذلك .

٢ — تربيتها تربية صحيحة ، وتدريبها تدريبا ملائما بطريقة نظامية تؤهلها للقيام بوظائفها المتعددة ، وتعويد الانتفاع بها إلى أقصى حد ممكن ، لأن قوة الحواس على الإدراك ترقى بالتدريب ، فتصبح أقدر على القيام بما خلقت من أجله .

أما تربية الحواس فيجب أن تبدأ بتعويد الطفل الإدراك الحسى البسيط المحدود ، كإدراك الألوان الأولية والأشكال البسيطة والأصوات والروائح التى تقع فى بيئته . كما يجب أن يزود بلعب مناسبة تساعد على ترقية حواسه ، وتربى فيه قوة الملاحظة والانتباه . وعلينا أن ندربه على التمييز بين الأشكال والألوان المتقاربة ، وبين ملمس وآخر ، ورائحة وأخرى مستعينين

على ذلك بتجاربه الشخصية وحاجاته ، وما يتصل بحياته من مأكل وملبس ولُعَب وغير ذلك .

ويجب أن نعرف أن تربيـــة الحواس لا تقويها فى ذاتها ولا تنمى الطاقة الحسية فيها ، لأن ذلك من الأشياء الموروثة التى لا يمكن تغييرها ؛ ولـكنها تربط مراكز الحس بمراكز الحركه بالنسبه لمؤثرات خاصة . وبالتمرين تقوى هذه الروابط فيقوى الإدراك . وهذا أساس تربيه العقل .

الإدراك الكلى :

لما كان الإدراك الحسى يتطور إلى ما يسمى بالإدراك الـكلى ، رأينا أن نذكر عن الأخير كلمة مختصرة . والإدراك الكلى معناه إدراك المرء للأشياء أو الصفات المشتركة بين أفراد نوع من الأنواع ، أو جنس من الأجناس ، أو فصيلة من الفصائل . وقد يكون الإدراك الـكلى على شكل إدراك العقل للمعنى الذى يدل عليه لفظ أو كلمة . فالمعنى الذى تدل عليه كلمة حيوان ، هو المدرك الـكلى لجميع أنواع الحيوانات ، بغض النظر عن كونهـا كبيرة أو صغيرة ، متوحشة أو مستأنسة ؛ والفاكهة مدرك كلى أيضا تشمل جميع الأنواع ، سواء أكانت طازجة أم مجففة ، صيفية أو شتوية إلى غير ذلك .

فإدراك الصفات العامة التى يتميز بها النوع كله ، هو ما يسمى بالإدراك الـكلى . والفرق بينه وبين الإدراك الحسى ، هو أن الثانى عملية إدراك معنى الإحساسات التى نتلقاها ، بتأويلها تأويلا يزودنا بمعلومات عن أشياء موجودة فى بيئتنا ، وتؤثر فى حاسة أو أكـثر من حواسنا ، مثـــل إدراك ضوء الشمس أو صوت صديق أو رائحة زهرة . أما الأول وهو الإدراك الـكلى ، ففيه نوجه انتباهنا إلى إدراك ما فى جمله أشياء من مميزات مشتركة بينهـا ، مثل المميزات العـامة للطيور والحيوانات وغيرها .

خطواته :

ولكى يكون المدرك الكلى صحيحا ، يجب أن يخطو العقل خمس خطوات هامة ، لكل خطوة أثرها الخاص فى تكوينه ، وهى الملاحظة والمقارنة والتجريد والتعميم والتسمية . فنحن نلاحظ كل ما يمكن ملاحظته عن الشىء المراد إدراكه لمعرفة خواصه وصفاته العامة والخاصة ، ثم نقارن بينه وبين غيره من الأشياء لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينه وبينها ، مستعينين بمعلوماتنا السابقة ؛ ثم يميل العقل إلى انتزاع الصفات العامة المشتركة والمميزة لتلك الأشياء عن غيرها ، وتسمى هذه العملية العقلية بالتجريد ؛ بعد ذلك يجمع العقل الصفات المشتركة لتعميمها على أشياء أخرى من نوع الأشياء السابقة ، ثم يعمم المعنى على جميع أفراد النوع .

إلى هنا تنقصنا الخطوة الأخيرة فى الإدراك الكلى ، وهى وضع اسم معين يكون رمزا مميزا حاويا لجميع الصفات المشتركة لأفراد ذلك النوع . وإليك مثال يبين هذه الخطوات الطبيعية التى يخطوها العقل فى الإدراك الكلى : فعند ما يرى طفل حيوانا مثلا وليكن كلبا ، يسترعى انتباهه أول الأمر لونه وشكله وحركته وغير ذلك ، وإدراكه له يكون إدراكا حسيا متضمّنا ملاحظته الخاصة لهذه الأشياء السالفة الذكر ، وارتباطها تحت الاسم الخاص المعروف لديه وهو الكلب . واذا رأى الطفل كلبا آخر ، فإنه يوازن بينه وبين سابقه من حيث اللون والشكل والحجم ، محللا تحليلا عقليا أوجه الشبه والخلاف بينهما ، فإذا تكرر رؤيته لكلاب أخرى ، ينتزع عقله أوجه الشبه المشتركة بينها ، مهملا أوجه الاختلاف مثل الحجم واللون وغيرهما ، وكلما رأى الطفل أنواعا كثيرة من الكلاب ، كان إدراكه الكلى للجنس إدراكا صحيحا واضحا .

ويعتمد الإدراك الكلى على المدركات الحسية والصور الذهنية . فإذا كانت صحيحة واضحة ، كان المدرك الكلى كذلك ، والعكس بالعكس .

وتختلف الأطفال فى قوة الإدراك على حسب مؤهلاتهم الفردية، ومقدرتهم العقلية . وعلى المربى أن يعود الأطفال دقة الملاحظة والموازنة ، وذلك بأن يعطيهم حرية الفحص والتجربة ، وأن يرشدهم ويساعدهم عند الحاجة ، لتكون مدركاتهم الحسية واضحة ، ومعلوماتهم صحيحة ومضبوطة ، فيسهل عليهم بذلك تكوين مدركات كلية دقيقة .

قيمة اللغة فى الإدراك الكلى :

الكلام ملكة يمتاز بها الإنسان عن جميع الحيوانات ويتكون من كلمات هى فى الحقيقة رموز اصطلاحية ، بها يعبر الإنسان عن أفكاره ويتفاهم مع غيره .

والطفل الصغير لا يمكنه الكلام ، فإذا أراد شيئا أوشعر بألم ، عَبَّر عن ذلك بالصراخ كما يفعل الحيوان . وعند ما يبلغ الطفل سنا معينة ، يتعلم اللغة ، ويتدرب على استعمال الكلمات بالتقليد الانبعاثى .

ويبدأ كلام الطفل بما يسميه العامة بالمناغاة ، إذ تراه يردد أصواتا متكررة مثل « ماما » و « بابا » و « دادا » الخ . ويطلقها على الأشخاص جميعا . فكل السيدات عنده « ماما » وكل الرجال « بابا » وكل الحيوانات « هَوْهَوْ » . ثم ينمو العقل ، وتزداد تجارب الطفل ، فيستطيع أن يعرف أمه من صديقتها ، وأن يميز بين أبيه وخاله ، وبين علىّ وزيد ، وذلك لأنه أصبح قادرا على التمييز بين الأشياء المتشابهة ، بعد أن كوّن فكرة عن كل شىء منها بشكل عام . وكلما زادت تجارب الطفل ، استطاع أن ينطق بكلمات لا يمكن أن نفهمها . ويستطيع بالتدريج أن يكون أفكارا أولية ، وأن يلصق بالاسم صفة بسيطة ،

فيقول «ميمى نونو» و «ماما حلوه» وغير ذلك . وعند ما يبلغ السنتين والنصف ، يصبح قادرا على النطق ببعض الجمل الصغيرة بعد معرفة مظاهر الأشياء العادية وصفاتها وعلاقتها بغيرها ؛ ويكون ذلك ببطء . وقد ينطق الطفل بألفاظ لا يعرف معناها كما هو الحال فى ترديده للأعداد والأزمنة نتيجة سماعها فتراه يقول ١ و ٢ و ١٠ و ٥٠ الخ ، كما أنه يقول «أنا خرجت بكره» ، وهكذا . وحينما يكبر وتنمو ملاحظته ويقوى إدراكه بالتربيـــة الصحيحة ، يصبح قادرا على التمييز بين الأعداد ، وإدراك الفرق بين الماضى والحاضر .

وإذا كانت المدركات الكلية واضحة ، وكانت الفكرة عنها واضحة أيضا ، أمكن الطفل التعبير عنها بلغة بسيطة وأسلوب سهل مفهوم . أما إذا كانت غامضة مبهمة ، كان من الصعب عليه التعبير عنها .

وعلينا أن نراقب كلام الأطفال ، وألا ندعهم يستعملون الكلمات فى غير مواضعها ، لأن التساهل فى الأفكار ومعانيها يؤدى إلى الغموض فى التفكير . وينبغى تشجيعهم على التعبير عما يجول بخواطرهم بعبارات صحيحة بسيطة ، لأن ذلك يظهر لنا ما يصعب على الطفل فهمه ، وما لا يمكنه استعماله من من الكلمات استعمالا صحيحا . وبذلك يمكننا أن نصلح خطأه ، وأن نساعده على فهم ما غمض عليه ، حتى تكون أفكاره جلية واضحة دقيقة .

وقد يترتب على تأخر الطفل فى الكلام بسبب الصمم أو غيره ، ضعف فى إدراكه الكلى . ولهذا تجب العناية بعرض الطفل على طبيب اخصائى إذا تأخر كلامه عن الميعاد المعتاد .

الباب الحادي عشر

اللعب

مميزاته — أهميته — لُعَب الأطفال وحسن اختيارها — تهيئة المرْبَى الخاص بالأطفال ، وما يجب أن يتوافر فيه من المواد .

اللعب

مميزاته :

يتجلى فى جميع الأطفال الأصحاء ميل قوى إلى اللعب . فهو مظهر فطرى يميز دور الطفولة فى الإنسان والحيوان .

فإذا تركنا طفلا سليما وشأنه ، نجده لا يقف عن الحركة المستمرة ، بل يأتى بأعمال مختلفة ليست لها منفعة فى حد ذاتها ، ولا ترمى إلى غاية معينة ، وإنما يؤديها لمجرد إرضاء رغبة طبيعية فى نفسه .

وإن ما يبديه الطفل من ضروب النشاط وأنواع اللعب ، ليختلف باختلاف كل طور من أطوار نموه ، ويتغير تبعاً لقوة الغرائز التى تظهر فى مراحل حياته المختلفة . فالوليد الصغير ، طالما كان يقظان فى مهده ، لا يكف عن مناغاة نفسه ؛ بل إنه ليُحْدِث أنواعاً من لغط الأصوات ، ويحملق فى كل ما يقع عليه بصره من المؤثرات المختلفة ، كالأنوار الساطعة ، والأجسام المتحركة ، والأشياء البراقة .

وهو أيضاً طول وقته ، يتسلى لَعِباً بأطرافه ، فيحركها حركات سريعة غير منتظمة ، وربما صاح صياحاً متتابعاً ليس له معنى سوى أنه جدّ فرحان فى أثناء قيامه بذلك .

وإذا ما كبر الطفل وشبت هامته فإنه لا يكاد يهدأ فى مكانه ، بل يحبو ويخطو ويتأرجح ويسير مرحاً أينما كان ، ويداعب أى شىء صادفه ، مستمتعاً بالحركة لذاتها ، ومغتبطاً لأنه ينتقل بنفسه .

وأكثر ما يلهو به الطفل الصغير ، ويقطع عليه أوقاته ، تناول الأشياء

التى تصادفه، وقبض المحسات التى تمتد إليها يداه، أو يعثر عليها عرضاً فى طريقه.

فهو يسحبها نحوه أو يدفعها عنه، ويجرها وراءه أو يخبطها اغتباطاً، ويتذوقها ضاحكا أو يرميها غاضباً؛ وهكذا يستمر من غير ملل يلعب بفكها وتركيبها، أو تخريبها وترميمها.



الطفل بين لعبه

وكلما قوى جسم الطفل وارتقت حواسه، بدت فى لعبه عوامل جديدة، ومظاهر فطرية متنوعة، كالمحاكاة وحب الاستطلاع والمنافسة والاجتماع والاستهواء. وتقترن هذه جميعها بحدة خياله. فهو يشخص فى الأشياء ويجسمها، ويلصق بها معانى طريفة من وحى تفكيره؛ إذ يتصور القضبان خيولا يركبها، والأوتاد جنوداً يقاتلها، والأطفال فرساناً يبارزها، والأشجار عمالقة يصارعها.

وعندما يجتمع الطفل برفاقه للعب ، يشرع يستعرض قوته ، ويظهر تفوقه على غيره فى مسابقات شتى . وبعد ذلك يأخذ ينتظم فى سلك فريق يبارى الآخر فى الجرى والقفز والمغالبة وألعاب الكرة ، سالكا فيها قواعد عامة تضعها الجماعة ليسير عليها هو ورفقاؤه .

وهكذا بنمو الطفل واستكمال عقله ، تتحول ألعابه من الحركات الفردية غير المنتظمة فى معظمها ، إلى ألعاب تعاونية يتجلى فيها دافع المنافسة ، خالية من التقليد ، ومصوّبة للوصول إلى هدف معين . كذلك يقل فى الأطوار الأخيرة من نمو الطفل ميله إلى الألعاب الجسمية ، وتزداد رغبته فى ألعاب التفكير والذكاء التى تتعلق بالحدس وحل الأحجيات ، وعقد الموازنة بين المناظر ، والملاءمة بين الأشكال .

من الأمثلة السابقة يمكننا أن نستنتج أن لعب الأطفال ينبعث عن قوة خفية فيهم ، وحيوية مدّخرة ، تدفعهم فطرتهم إلى استنفادها من تلقاء أنفسهم فى هذا المنوال من الحركات .

وهم فى بعض ألعابهم يمثلون أعمالا كان الأولون يؤدونها فى أدوار تدرجهم المختلفة على مرقاة التقدم فى المدنية . فالأطفال يكررون فى ألعاب التسلق والصيد والمطاحنة ، تلك العصور الفطرية التى كان الإنسان فيها يتصيد طعامه ، ويعيش فى الغابات ، ويتربص بسوء لأعدائه .

وهناك ألعاب أخرى تبدو الأطفال فيها كأنما هم يُعِدُّون أنفسهم للحياة العملية المقبلة ، وهى الألعاب الشبيهة بالأعمال التى يحترفها الكبار ، كتمثيل دور الأم والأب والأولاد فى الأسرة ، ومحاكاة الصانع فى مصنعه ، والبائع فى متجره ، والزارع فى حقله . ومن ألعاب الأطفال أيضا ما ينساقون إليه لرغبة ملحة فى نفوسهم ، وإرضاء لنشوة النشاط الثائر فيهم ، كأنها مطلب الجِبلّة تدفعهم إليها لتنمية جسومهم وعقولهم .

أهمية اللعب للأطفال :

إن تربية الأطفال عن طريق غرائزهم وميولهم الفطرية تأتى بسهولة من غير عناء ؛ إذ أنه لما كان الطفل يلعب بدافع من ذاته وبمحض رغبته الطبيعية ، كان اللعب خير الوسائل لتربيته تربية ذاتية يستطيع بها أن يعبر عن خواطره ، وأن يبرز نشاطه ومواهبه . وفى خلال هذه الفرص السانحة يتسنى لمن يقوم على شأنه ، أن يهذب غرائزه ، ويحسن توجيه ميوله ونزعاته . متخذا من مظاهر البيئة وأعلامها ، طريقا إلى تلقين المعلومات وبث الأفكار ومبادىء المعرفة ، عفوا بغير قصد .

فبوادر الصياح الأولى التى يلهو بها الطفل هى أساس نشوء اللغة وتعلمه الكلام . وألعاب الحركة والمجهود الجسمى تُمرّن عضلاته ، وتُقوّى مختلف أعضائه وتذكى نشاطه . واللعب بالأشياء التى تحيط به ومعالجتها لاستطلاع ما تحدثه من المؤثرات ، وولعه باقتنائها ، يرقى حواسه ومداركه الحسية ويقفه على صفاتها ومزاياها .

ولألعاب التمثيل والمحاكاة والتخمين ، شأن مهم فى توسيع خيال الطفل وإنهاض تفكيره . أما الانتهاء إلى الجماعات ، وتكوين الشرذمات فى اللعب ، فتقويم لخلق الطفل ؛ إذ تسيطر عليها عوامل مهمة كالمشاركة الوجدانية ، وتضامن الزملاء ، ومراعاة الولاء وحسن المعاشرة ، وأصول المجاملة بينهم ، فضلا عن تعوده ضبط النفس ، واحترام القـــانون ، واتزان الحكم ، وقوة العزيمة فى مواجهة الصعاب ، والتغلب على العقبات ؛ علاوة على كسبه روح المرح والسرور الذى هو من أظهر عناصر الشخصية الجذابة .

ومن الأمهات من تسىء فهم ابنها اللعوب ، فتعتبره شاذا ، وتصفه «بالشقاوة والعفرتة » ، وتحاول منعه عن الحركة واللعب ، وتحمله على الهدوء والتزام

السكون . ومثل هذه تقترف خطا جسيما ، إذ تضايقه بكبت نشاطه ، وترهقه بما هو فوق إمكانه من جهد عظيم يبذله فى مقاومة دوافع اللعب ودواعيه ، فيخمد نشاطه ، وتضعف حيويته . كذلك ليست على صواب من تتدخل فى ألعاب طفلها لتعديل شكلها ، أو تغيير مجراها ؛ إذ ينبغى تركه حرا مطلق التصرف فى اتباع ميوله من غير أن تقيده بفكر خاص ، قد يفسد عليه لذته ، أو يتنافر مع استعداده .



الأطفال يمرحون ويلعبون

ولكن يجب ألا يمنعنا هذا من مراقبة الطفل فى أثناء لعبه لضبط الحركات العنيفة وتحويلها فى وجوه نافعة غير ضارة .

لعَبُ الأطفال وحسن اختيارها :

من كل ماتبين من قيمة اللعب فى تربية الأطفال ، يجدر بنا حسن العناية به ، والاهتمام باختيار اللُعَب التى نقدمها لهم بحيث تكون لها فوائد تربيية ، فنستثمرها فى تحقيق نواح مقصودة من نموهم العام . وأهم ما يجب توافره من شروط فى لُعب الصغار ما يأتى :

(١) أن تكون مناسبة للطفل من حيث كونه بنتا أو ولدا ، وموافقة لحالة نموه ، وللطور الذى بلغه من التقدم الجسمى والعقلى حتى تلائم ميوله . فالفتاة مثلا لا تفتنها كثير من اللُعَب التى تخلب لب الصبى . واللُعب التى تستهوى طفلا فى الحول الأول من عمره ، قد تسئم آخر فى الحول الثالث منه .

وفى السوق من أنواع اللُعَب الكثيرة ما يمازج عقل الطفل ، ويرضى طبائعه فى أطوار حياته التى يجتازها ، متـــدرجا من الإحساس البسيط إلى الإدراك الحسى ، فالتخيل والتذكر والتفكير . ومن أمثلة هذه اللُعَب ما يأتى :

ا — اللُعَب الرخوة الناعمة من المطاط والاسفنج والفلين والقماش والصوف والباغة ، مثل الكور والدمى والحيوانات والخشاخيش والبالون والزمارة . وهـــذه تكون غالبا ذات ألوان كثيرة ، وأصوات رنانة ، يستعمل فيهـا الطفل الصغير حواسه ، فتنبه فيه اللمس والسمع والبصر والذوق .

ب — اللُعَب المصنوعة من الخشب أو الورق أو الكرتون ، واللعب المتحركة الأوتوماتية المصنوعة من المعادن . وهذه تسترعى انتباه الطفل بغريب حركاتها ، وتركيب أجزائها ، وأزيز صوتها أو جلجلتها ، مثل المكعبات

والصور المجزأة ، والدوامات ، وعُدَدِ النجارة أو الحدادة ، وأدوات المطبخ ونماذج الطيارات والسيارات والقطرات والقوارب وغيرها .

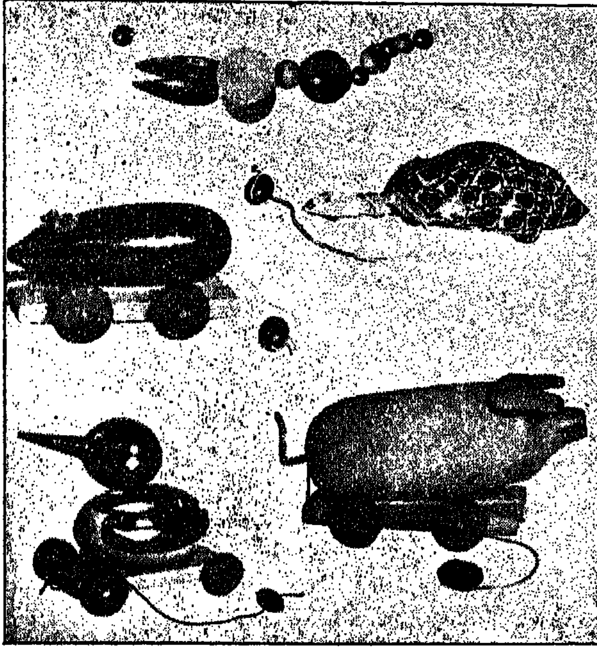
ﺣ — اللُّعَب التى تستهوى الطفل للحركة والتمارين البدنية كالأراجيح والزلاقات والدراجات .



طفلة تفكر وتلعب

ء — اللّعَب التى تستدعى الحذق والتفكير ، واللعب التعليمية المختلفة التى تشحذ عقل الطفل فى دقة الملاحظة والتجريب وحسن التقدير وسرعة الخاطر والصبر والمثابرة ، كألعاب رمى الهدف والإصابة ، وألعاب الورق (الكتشينة) والنرد والداما ، وأجهزة اللعب الحسابية واللغوية ، ونماذج التعليم الخاصة مثل أجهزة « منتسورى » ولُعَب « دكرولى » .

(٢) أن تكون جذابة للطفل ، فتغريه إليها بألوانها الجميلة المتوافقة . أما امتلاك اللعب الحقيرة ، ذات الألوان المزعجة ، فتتلف ذوق الطفل ، كما أنه لا يكترث بها .



بعض أنواع اللعب التي تناسب الأطفال الصغار

ومن اللعب الجذابة ما كانت غريبة التركيب ، وشاذة الحركة فتثير الضحك والسرور والجذل ، وتبعث فى الطفل بوادر الفكاهة ، وتجلب إلى نفسه المرح ، كالأشكال المحوَّرة للأشخاص والحيوانات والفواكه ، واللعيبات المجونية ذات الأزياء الطريفة ، ونماذج الحيوان أو النبات التى تمثل حركات إنسانية ، كالفأر « ميكى » واللُّعَب المباغتة فى حركاتها ، ومفاجآت صوتها ، كالكركوز والعلب المسحورة .

(٣) ألا تكون باهظة الثمن حتى لا نضن باستهلاكها ، ولا معقدة التركيب حتى يسهل استعمالها ، فنترك لخيال الطفل مجالا لاستقصاء تفاصيلها واستكمال حركاتها .

وفوق كل ما سبق ، يحسن بقدر الإمكان أن يشترك الطفل فى اختيار اللعب التى تروقه حتى نقضى حاجة فى نفسه ، ونشعره بذاتيته ، وحرية الاقتناء حسب مشيئته .

تهيئة المرْبَى الخاص بالأطفال وما يجب أن يتوافر فيه من مواد :

حيث أن اللعب هو حياة الأطفال ، وأن الأطفال فى أثناء لعبهم يؤدون ما يريدون من الأعمال بحرية مطلقة وبلا تحفظ ، فهم إذاً يحتاجون إلى مكان مستقل فى سكن الأسرة يرتعون فيه بين لُعَبهم ، ومتلكاتهم ، غير مقيدين بمطالب الترتيب المحتمة على الكبار ، وبدون أن يعتدوا على نظام معيشتهم .

وهذا المكان الذى هو من حق الصغير ، وواجب أن نهيئه له بين ظهرانينا ليقضى فيه القسط الأعظم من أوقاته هو المرْبَى (Nursery) . وخليق بنا أن نفسح أفضل الغرفات وأصحها موقعا وأصلحها لتكون مأوى له . وعند إعداد مربى الطفل ومخدعه الخاص ، يراعى ما يأتى :

(١) اختيار حجرة فسيحة هادئة تدخلها الشمس والنور والهواء النقى ، وطلاء الجدران والسقف بلون بهيج ، وتغطية الأرض بالخشب والسجاد البسيط .

(٢) تجميل الحجرة وتحلية رونقها بذوق سليم ، يمتع الطفل بعناصر الفن والانسجام ، ويستريح فيها بتوافق التنسيق ونضارة المنظر على الإجمال . فتُزيَّن الجدران بصور مستظرفة للصغار ، وتُزخرف النوافذ والأبواب والنضد والرفوف بالستائر الملونة ، والأغطية المنقوشة بأشكال تلاطف نفوسهم .

(٣) تأثيث الحجرة على أسلوب بسيط من الأمتعة الصغيرة التى يسهل نقلها ومداومة تنظيفها وتنظيمها، وتحضير معدات النوم والملبس والغذاء والنظافة الشخصية .

(٤) تجهيز المرْبى بصنوف اللُّعَب ووسائل التسلية المفيدة التى تساير نمو الطفل وتتدرج تبعا لسنى حياته . ويجب أن تتطور جاذبيتها وتتنوع باختلاف سنه ودرجة تكوينه . ويحسن أيضا إيجاد مكتبة صغيرة تحوى مجموعة من الصحائف التصويرية والكتب المطبوعة بحروف كبيرة ليستطيع الطفل قراءتها والاطلاع عليها . هذا مع تحضير بعض أدوات للرسم والتصوير والتلوين ، وبعض خامات للأعمال اليدوية التى يمكنه مزاولتها ، وبعض آلات موسيقية صغيرة يمكنه استعمالها إذا مال إليها بطبيعته .

(٥) تهيئة الحجرة ببعض مستلزمات للدراسة الطبيعية وملاحظتها ، مثل المزاهر وأصص الزرع وسمك المرجان والعصافير المغردة وصناديق النبات وما إلى ذلك ، مما يبعث فى الطفل الاهتمام بمعالم الخليقة ، والاستمتاع بمشاهدها.

هذا ولزيادة تحقيق الفائدة التى قصد منها إعداد مرْبَى الطفل وتزويده بلوازم معيشته ولَعِبه ، يحسن بنا كلما أمكن أن نتيح له فرصة الاشتراك معنا فى مواصلة تعهد مرافقه ، والمحافظة على مقتنياته ؛ كأن يقوم بجمع الأزهار وتنظيمها، ويؤدى مهمات صغيرة فى التنظيف والتزويق ، ووضع محتويات كل شىء فى مكانه ، واقتراح الموقع اللائق لتعليق الصور ، وتصفيف الكتب ؛ ويبدى رأيه أيضا فى تدبير المواعيد وجداول الأعمال ، وتسوية شئونه فى المرْبى إلى آخر ما هنالك من تلك الأمور التى لها أثر حسن فى تعويده وتنشئته على الحياة العملية المعيشية .

الباب الثاني عشر

حب الاستطلاع — الحل والتركيب — الملاحظة —
التخويف — الخيال — أكاذيب الاطفال

حب الاستطلاع

يولد الطفل فى العالم فيجده جديدا عليه ، ملآن بالمستحدثات . و تمر به ظواهر الطبيعة اليومية ، وحوادث الحياة المعتادة فيلقاها مجهولة لديه ، لا يعهد أسبابها ، ولا يدرك مسبباتها . وهو يعجب من سرها الخفى ، ويدفعه العجب إلى كشف غوامضها ، والبحث عن مكنوناتها .

فإذا راقبنا طفلا صغيراً نجده قوى الرغبة فى لمس كل ما يحيط به من المحسات ، ومعرفة كل ما يجرى حوله من الأمور ، وسماع كل ما يقال أمامه من الحديث . هذا لأنه تواق إلى تفهم كنه الأشياء ، ومنهوم بالمعرفة بدافع من غريزة حب الاستطلاع .

ويتنبه فى الطفل حب الاستطلاع برؤية الأشياء الجديدة ، ومشاهدة الوقائع الغريبة ، وسماع الأصوات والكلمات غير المألوفة ، وما شابه ذلك من المؤثرات التى لا يعرفها فيعجب لها . ثم ينزع إلى فحص تركيبها وألوانها ويحاول مذاقها وتجربة صوتها إلى آخر ما هنالك من حيل توصله إلى العلم بخواصها .

وكثيرا ما يجازف الصغير بنفسه بدافع هذه الغريزة ، فيدنو من الأجسام الشاذة مأخوذا بطرافتها ، غير مبال بما قد يداهمه من خطر ، فيحدق فيها منقبا عن أصلها وشأنها ، حتى يبلغ المستور من صفاتها .

وحالما يتعلم الطفل الكلام ، يكثر من الأسئلة عن كل شاردة وواردة تأتى فى ميدان خبرته ، مستفهما عن مسميات الأشياء ، ومصادرها ، وفوائدها للإنسان ، وكيفية تكونها ، ومتناقشا فى العلة والمعلول والبرهان متجاوزا فى كثير من الأوقات حدود إدراكه ، ولكنه على وجه الإجمال ، يغير

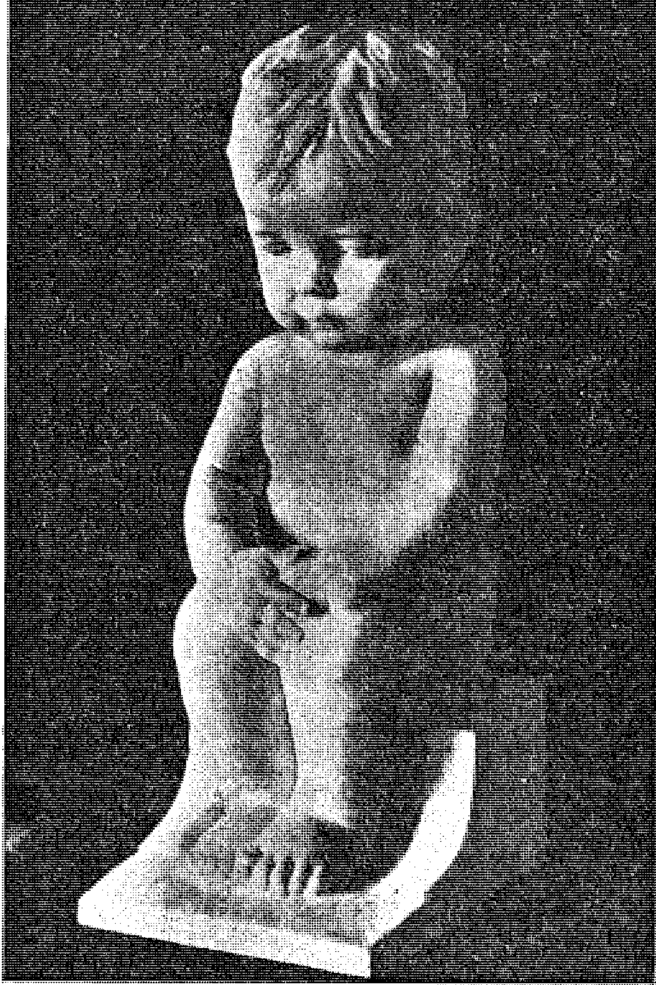
موضوعات بحثه ، ويعدل مدى تشوفه ، ويبدل دائرة اهتمامه باستطلاع الأشياء تبعا لسير نموه . فهو يسأل مثلا لماذا يعوم البط؟ وماذا يرفع الطائرة؟ ومن أين تأتى الرياح ؟ وكيف تدور الساعة ؟ وإلى أين يمتد البحر ؟ وأسئلة أخرى كثيرة متشابهة يلقيها علينا لفرط رغبته فى المعرفة ، وحبه فى استطلاع المعلومات .

ولهذا كانت غريزة حب الاستطلاع فى الطفل أساسا لكل مطلب فى العلم ، وباعثا لحصر الفكر والانتباه وبذل الجهد فى التحصيل والإنتاج .

فكل طفل لديه من قوتها الطبيعية أكبر معين على توسيع مداركه ، والاستفادة من بيئته فى السعى وراء الحقائق والإلمام بها . ومن هنا يتبين لنا ارتباط حب الاستطلاع باللعب — فاللعب التعليمية التى نمد الطفل بها ؛ ليست مجرد وسائل للتسلية ، بل هى تصلح فوق ذلك كبواعث لإثارة حب الاستطلاع ، ولتحريك العجب والاستغراب فى الطفل ، فيكد فى نهج المعرفة بالاستزادة من الخبرة والدراية الفعلية بهذه الأشياء .

وبما أن أسئلة الطفل الكثيرة صادرة عن هذه الغريزة ، فعلينا أن نجيب عن كل سؤال منهـــا بأسلوب يكون وفق مستوى عقله ، وفى حيز فهمه ومقدور تفكيره ؛ فلا نعرض فى ردنا عليه من المعلومات إلا ما يناسب منها حالة معيشته ، وما يلائم سنه وحاجته .

وليس من الحكمة أن نعطى للطفل إجابة مباشرة عن جميع أسئلته ، إذ أن هناك طائفة منها يستحسن حثه على استنباط أجوبتها بالتقصى والملاحظة والتجربة العملية ؛ أو استخلاصها من قراءة الكتب والمجلات العلمية . وذلك بغرض إيقاظ روح البحث فى الطفل ، وكسب المعرفة بذاته لذاته ، وإحساسه بلذة الفوز فى الحصول عليها بجده وعمله . فاذا استفهم مثلا عما يحدث صوتا من دميته . نجعله يفككها ليطلع بنفسه على الصفارة التى تسبب هذا الصوت .



(الفيلسوف الصغير)

ومهما كانت أسئلة الطفل تافهة أو سخيفة أوغير معقولة ، فليس لنا أن نسخر منها أو نزدريها . وليس لنا فى أى حال أن نجيب عنها بفتور ، أونبدى تضجراً من كثرتها ، لأن هذا قد يمس كرامته ، فيطفىء فيه حماسة الغريزة ويضعفها ، ويجعله لا يسائل إلا قليلا . وبذلك ينشأ قاصر العقل جامد التفكير . وهناك أطفال يجدون من ذويهم إهمالا واستخفافا بأسئلتهم فيلجأون إلى الخدم أو إلى البسطاء الذين يزودونهم بمعلومات غير صحيحة . وينتج عن ذلك أن يصير نطاق معارف الأطفال ضيقا ، وتحصيلهم غير مضبوط .

وغريزة حب الاستطلاع إن قويت واشتدت ، وأغفلنا تعهدها وتهذيبها فإنها تجعل الطفل ذا ذلاقة وفضول . ولكننا بحسن الاهتداء إلى جعلها عماداً لمبنى تعليمه ، قد يصل بها أمره إلى أن يصير مبتكراً ومخترعا وكاشفاً ، إذ يسير فى جهاد متواصل وبشغف متزايد فى مسالك جديدة تقفه على جميع مناحى العلوم والفنون المختلفة .

الحـــــــل والتركيب

كثيراً ما يدهشنا من أمر أطفالنا الصغار ، ويحيرنا منهم ميلهم إلى الهدم والتخريب تارة ، وطوراً إلى التركيب والتشييد. فهم متناقضو النزعة ، من مدمرين هائلين ، إلى بناءين عظماء . وما هـذا إلا لأنهم فى نفس السن التى يصبحون فيها محبين الاستطلاع ، تظهر عندهم أيضاً غريزة مزدوجة يقترن فيها الميل إلى الحل والتكسير ، بالميل إلى التركيب والتكوين . فهم مثلا يبنون مختلف الأشكال من الرمل ، ثم يهدمونها مرة بعد مرة واجدين فى ذلك لذة عظيمة . وعند ما يأخذون منا لعبتهم ، يتأملونها ، ثم يشرعون فى تحطيمها وإتلافها فى بعض الأحيان . وقد يعكفون عليهـا منشغلين بها ، يوفقون أجزاءها ، ويحاولون إرجاعها إلى ما كانت عليـه . وما رغبتهم فى تـكسيرها إلا بدافع الاستطلاع والوقوف على كيفية تركيبها ، والسر الذى يحركها . ولا يلبثون أن يعودوا ينظمون قطعها ، ويضمونها بعضها إلى بعض ، بغرض تجريب أثر قوتهم فى إعادة بنائها بذاتهم ، وإبراز قدرتهم الشخصـــية على التكوين .

ولهذه الغريزة من الفوائد فى تربية الأطفال ما لحب الاستطلاع والميل إلى اللعب بالمحسات . ونحن نستطيع ترويضها وتهذيب مظاهرها بالطريقة عينها التى نتبعها فى استخدام ذينك الميلين فى تربيتهم وتهذيبهم ، فنعنى بتهيئة المكان الذى يكون مسرحا يقوم فيه الطفل بالحل والتركيب من غير أن يحرجه أحد أو يزعجه إنسان . فإن وجدت بالبيت حديقة ، خصصنا جزءاً منها للطفل حيث يستطيع أن يشتغل بفلاحتهـا فى أحيان كثيرة . ذلك إلى جانب النصيب العظيم من الاهتمام الذى يعطيه المربى لإرضاء هذه الغريزة أيضاً ، بتوفير القوالب المختلفة وكميات الرمل وكتل الصلصال والورق الملون والبَكَر



(الانهماك فى التركيب)

والفل وخامات الأعمال اليدوية وأدوات الرسم والتصوير وبعض من سقط المتاع كالصناديق الفارغة والأدوات المستغنى عنها وغير ذلك من المواد التى يسهل على الطفل استعمالها فى إنجاز ما يريد صنعه ، مثل إنشاء النماذج للمنازل والمآذن والقناطر ، ولأنواع الأثاث الصغيرة والحيوانات والطيور والفواكه ، ولمناظر الشواطىء والمزارع والمدن ، إلى آخر ما هنالك من أشكال



(التكوين بالرسم)

يواصل هدمها ومعاودة بنائها ، فيؤلف من جديد طرقا لتحسينها بصيغة أفضل فأفضل ، إلى أن يحكمها بإتقان .

هذا وإن ما يجب أن نحذره فى رعاية هذه الغريزة هو ألا نملى على الطفل كيفية حل لعبه أو تكوينها ، فإن ذلك يضعف فيه قوة التفكير

والإبداع . ويحسن بنا دائماً أن نتركه وبداهته ليعبر عن قدرته الفردية الإنشائية بنفسه . وما علينا إلا أن نبعده من دون أن يشعر عن أعمال التدمير والتخريب إلى مشروعات الترميم والبناء ، فنقوم بإمداده بمواد الإنشاء الأولية قبل أن نعطيه اللُّعب المركبة القابلة للتكسير . فبهذا نستهويه إلى إنتاج عمل طيب يشعره بسرور النجاح بما فى مقدوره من قوة فعالة ، ونغافله عن بواعث الهدم



(السرور بالعمل)

والتخريب والإفناء . وهكذا يترعرع فى المجتمع فرداً عاملا ومنشئاً لا مخرباً ولا مهلكا .

وكثيراً ما يتبرم الكبار لنشاط غريزة التخريب فى الطفل ، فيغضبون عندما تدفعه إلى إفساد الأشياء أو تدميرها بحيث لا يمكن إصلاحها أو ردها إلى أصلها . لذلك وجب أن نحضر له لعباً رخيصة لا تثقلنا خسارتها إذا ما قطعها أو خربها . ويخطىء كل من يعاقب الطفل على ما يتلفه أو يبيده من اللُّعب ، لأن هذا

يحمله على كبت نداء هذه الغريزة ، وإغفال دافعها فيشل فيه قوة النزوع إلى حلها لسبر حقيقتها واحتذاء نماذجها ، وبذلك تنقص الاستفادة من هذه اللعب ، ويقل أثرها فى تربية حواس الطفل ومداركه ، وتنمية قوى التفكير والابتكار عنده .

الملاحظة عند الأطفال

فى محيط الطفل الصغير أشياء كثيرة يلزمه الانتباه إليها وتلمسها بحواسه ليحيط بها خبرا ، ويلم بما يتعلق بها إلمام علم ومعرفة ، ثم يصور منها صورا واضحة تتميز بها ، وتبقى فى ذهنه واضحة تعينه على إدراكها والإحاطة بكنهها عندما ترد عليه فى سبيل حياته .

وحصر الانتباه فى جسم من الأجسام ، أو توجيه قوى العقل إلى واحدة من ظواهر الأعمال بغية زيادة الإلمام بها هو الملاحظة . فالطفل يلاحظ شيئا ما إذا وجه إليه اهتمامه ولفت إليه حواسه بصفة خاصة لتوسيع معلوماته عن شكله وحجمه ولونه أو تعرف عناصره وصفاته ومسلكه ، أو فحص عوارضه الناتجة عن المؤثرات غير الظاهرة للعيان ، أو غير ذلك من أوجه الاهتمام بالبيئة التى يعيش فيها .

والملاحظة فى الطفل هى العماد فى نمو عقله ، والأساس الذى يبنى عليه علمه ، إذ أنها الأصل فى استجماع الحقائق وإكثارها وتثبيتها فى وعيه ، فتتخذها الذاكرة والخيال والحكم والتعليل والتفكير ليقيم كل منها على قواعدها نشاط أعماله المختلفة . وكلما كانت الملاحظة قريبة من حقيقة الأشياء ملتصقة بالواقع من الأعمال ، كان الإدراك المبنى عليها صحيحا ؛ وعلى العكس

إذا كانت قوة الملاحظة فى الطفل ناقصة ، فإنها تسبب قصور إدراكه وخمول تفكيره .

وتربية الملاحظة فى الأطفال تساير تربية الحواس وتتمشى فى خطتها مع اللعب وحب الاستطلاع والحل والتركيب . فجدير بنا إذن أن نقويها فيهم وهم صغار حتى يزدادوا بحثا وتأملا فى الأشياء على توالى نموهم ، وحتى



(الطفل بين الطبيعة)

يتعودوا الدقة وحصر الفكر وهم كبار . فملاحظة اختلاف الأشكال ، وتموجات الصوت وتدرج الألوان مثلا ، ينشىء الطفل على حب التوازن والوفاق وتذوق الجمال فى الأشياء فينمو فنانا مهذبا ، وحساسا رقيقا . وضبط



(التأمل فى الطبيعة)

النظر وتدريب اليدين فى تلمس الأجسام، تكسبه الدقة اللازمة فى إحكام الحرف والصناعات المختلفة . وتنبيهه إلى إدراك مقاسات الزمن والمسافات وقيمة الأعداد، يمهد إدراكه لدروس الحساب . وباستكمال مقدرته على الملاحظة والمقابلة بين الأشياء المادية، يزدهر فهمه وتعقله للمعانى النظرية .

وأول ما يوقظ الملاحظة فى الأطفال الأشياء التى تتعلق بذواتهم . لأن الإنسان يميل بطبيعته إلى الاهتمام بكل ما يتعلق بذاته . وإزاء هــذا فإن مقدرتهم على الملاحظة تكون مقصورة فى أول الأمر على تبيُّن أمهاتهم أو مرضعاتهم، ومحدودة فى دائرة غذائهم وزيهم ولعبهم .

وأشد مايلاحظ الأطفال أيضاً الأشياء الجذابة والمتحركة . فهم يدققون النظر فى الألوان البهية والأنغام المشجيــة والروائح الشذية والحركات المتغايرة ، إذ تستحوذ على انتباههم فيقتربون منهـــا ، ويتفحصونها بكل جهودهم . والأطفال فى بادىء أمرهم يلاحظون الأشياء متسرعين بغير دقة، ومضطربين بغير ثبات . وذلك لأنهم لا يقوون على حصر فكرهم فى شىء واحد لأمد طويل . فانتباههم يتحول من عمل إلى آخر، ومن شىء إلى شىء بسرعة لقلة ما لديهم من معلومات، ولعدم الترابط بين هذه المعلومات. ومن أجل هذا كثيرا ماتكون مدركاتهم مغلوطة وناقصة، وملاحظاتهم غير صحيحة . وهنا يجب التدخل لإرشادهم إلى الملاحظة على وجه التمام، فنعودهم الإمعان فى النظر عند تحليل تفاصيلها، وموازنة حالاتها وتمحيص حقيقتها بروية لتصحيح أخطائهم واستيفاء معلوماتهم .

وتدريب الطفل على الملاحظة لا يقف عند تعويده أن يركز انتباهه فيما نروم من الأشياء التى نوجدها أمامه ، بل يتعدى هذا الحد ؛ إذ يجب أن نجعله يسعى نحو غاية معينة تحثه على حصر مجهوداته ، وتنسيق خطته للتوصل إليها وإتمامها

بأعظم مقدار من الدقة ، كأن ندربه على ملاحظة الألوان بتلوين الرسوم، والصور المختلفة ، وتفريق الأصوات بتوقيعها وإنشاد أنغامها ، وتمييز الحركات بتمثيلها واللعب بمحاكاتها ، وتفحص الأشكال وترقب الحوادث بمطالعة الكتب المزينة بالصور ، والقصص الموضحة بالرسوم ، ودراسة طبائع الحيوان وخواص النبات بتربية الدواجن وتعهد الحديقة وجمع نماذج الأزهار وأوراق الأشجار وريش الطيور والأصداف والصور المتنوعة وغير ذلك مما يثير فيه النشاط والحيوية .

وفى أوقات النزهة وخروج الطفل إلى الحدائق أو للتجوال فى المدينة مناسبات لها أهميتها فى توجيه ملاحظته إلى شتى الأشياء توجيها مفيدا . ولا يمكننا فى بعض الحالات أن نستعيض عنها بأية وسيلة من الوسائل أو التمرينات الشكلية ، لأن هذا يطلعه على حقائق الطبيعة وشئون المعيشة الخارجية فى أثناء ممارستها فى ظروفها الفعلية بلا تكلف ؛ فيعثر على معلومات عنها ، ويقارنها بعضها ببعض ، ويصدر حكمه فيها بها . وهكذا يتعود السير فى الحياة وهو مرهف القوى يترقب دقائق الأمور ويلاحظ كل ما يحدث حوله .

التخويف وأضرار القمع

وطرق التغلب على مخاوف الأطفال

لشد ما يخاف الطفل الصغير ، وما أكثر ما يفزعه من مخاوف فى السنين الأولى من حياته . فهو يذعر عند رؤية الحيوانات الكبيرة ، ويجزع من ملمس فرائها أو قرونها ، ومن منظر الدم والأسنان الكبيرة ، ويضطرب من الأشكال والأشباح والأشخاص الغريبة ، ومن الاصوات والحركات المباغتة التى لا يعرف مصدرها ، ومن الأماكن غير المعهودة ، ومن الظلمة والرعد والبرق والماء الكثير ، ومن كل شىء مجهول لا يمكنه إدراكه أو التحقق من محتوياته ، فيثير فى نفسه الوهم بوجود المهالك . وهو أيضاً يخشى الألم وتوقع الزلل . واذا أمعنا فى النظر لدى جميع هذه المخاوف ألفيناها بقية آثار فى نفسه لتلك الأهوال التى أفزعت جدوده الأوائل فى فجر تكوينهم ، حينما كانت الحيوانات المفترسة وغارات الأعداء وقوات الطبيعة المختلفة ، تهدد كيانهم بالأذى والعدوان ، وليس لهم مأمن يحتمون فيه منها ، وليس لديهم معرفة بأصولها العلمية حتى يطمئنوا إلى أسبابها .

ولهذا كان الخوف ومايتبعه من الفرار هرباً ، من أهم غرائز المحافظة على البقاء فى الإنسان ، ومن أعظم وسائل اتقاء المخاطر التى تحيط بحياته .

وعند ما يستولى الخوف على الأطفال ينطلقون مسرعين نحو أمهاتهم أو ذويهم متعلقين بهم ، ويخفون رءوسهم ووجوههم ، ويتوارون بين ثنيات أثوابهم ، طلباً إلى الاحتماء بهم من الضرر الذى قد يقع على حياتهم .

وينتابهم فى أثناء رعبهم ، ارتجاف الجسم ، وخفقان القلب ، وامتقاع اللون وتصبب العرق ، وبرودة الأطراف ، ووقوف شعر الرأس ، والبكاء . وينتج

عن الخوف الشديد جمود الفكر، ووقف الانتباه على الشيء المخوف، وشلل الحركة، وفقد الإحساس . وفى حالات الفزع القصوى قد تقف حركة القلب فيموت الطفل هلعاً .

وقد تترك الأعراض السابقة أثرا مستديما فى الطفل . فتضر بجسمه وعقله وخلقه ضررا بليغاً . ولذا وجب علينا تقليل الخوف وإضعاف حدته ، وتنشئة الطفل على أن يكون بريئاً غير متهيب ، وجسوراً لاقتحام مخاوفه ويكون ذلك بالعوامل التى تضعف بواعثه الطبيعية وأهمها : —

(١) هدوء البيئة وسيادة النظام فى المعيشة بحيث تخلو من الضوضاء العالية ، وأنواع الصياح المفاجئة . والأثاث المرتبك ، والزوايا المهجورة حتى يظهر كل شيء واضحاً لدى الطفل فيسهل عليه التحقق من غوامضه .

(٢) تقريب الطفل من الحيوانات التى لا تؤذيه ، مثل الكلب والقط والعصافير الصغيرة والسلحفاة والأسماك الحمراء ، وغيرها من الحيوانات التى يمكن أن يصاحبها ويداعبها : ومقابلته بأصدقاء الأسرة حتى يأنس اليهم ويألفهم .

(٣) سرد القصص المستحبة عن القوى التى قد يخافها الطفل كالقصص الدينية ، وأساطير الطبيعة التى تشرح لهم هبوب الرياح ، وشروق الشمس وغروبها ، وتوالى الليل والنهار ، وحدوث صدى الصوت والرعد والبرق ، وحكايات عن أنواع الحيوانات ومعيشتها الخارقة فى الأدغال ، وعن أجناس البشر وغير ذلك مما يفهمه كنه المجهول ، ويجلو له سر مخاوفه ، فيقتنع بأنها على غير أساس ، وبذلك تستنير بصيرته ، ويتحول خوفه الغريزى الى الحذر والتبصر فى عواقب الأمور .

(٤) تمثيل الشجاعة له بالقدوة فى الإقدام وعدم التهيب وتجنب مظاهر

الخوف أمامه أو التصريح به أو التفوه بعبارات الذعر والانزعاج التى قد يقتبسها أو تثير انفعاله .

وبما أن لمخيلة الطفل شأناً عظيماً فى خلق مخاوف مروعة يتصورها بنفسه ، فيجب إبعاده عن دواعى المغالاة فى تخيل المخاوف المزعومة ، وتجنب إلقاء الحكايات المزعجة التى تقلق راحته بطيف الجان والمارد والغول والوحوش وصور الحوادث المرعبة ، والنفوس الشريرة وما إلى ذلك ، مما يتسلط على عقله ، فيفسد ابتهاجه بالحياة ، ويسبب شقاءه الدائم .

وإن توعد الطفل بالحبس فى الظلام ، والحرق بالنار ، ورميه فى البحر ، وبتسليمه لخلائق شنيعة غير معقولة، نصورها أمامه لتفتك به فتفزعه ، ويعمل على التخلص منها بالاذعان لما نفرض عليه من الأوامر والرغبات وغير ذلك من وسائل التخويف ، إن هذا لمن أسوأ طرق التربية والتأديب . وذلك لأننا نزيد من وطأة الخوف عليه ومن شدة التخيل الفظيع ، فنسلمه الى قبضة الهواجس التى تخالج نفسه ، فتتعس حياته ، وينتاب أعصابه الضعف ، فيغلب عليه الجزع والتردد وعدم الثقة بنفسه وبغيره ، وتتولاه الريبة فى عطف والديه ويعيش مذعوراً منهما ، لا آمناً إليهما .

وكثيراً ما يبوح الطفل إلينا بما يختلج فى صدره من المخاوف ، فنحاول أن نسرى عنه بتصغيرها لديه ، أو باظهار الاستخفاف بها ولكن هذا لا يبددها من فكره ، ولا يقنعه بالنجاة منها ، بل قد يمس إحساسه فيستاء منا ولا يعود يعترف بها ، وإنما يحفظها فى داخله ويكتمها عنا . والكتمان يقوى الخوف فى نفسه ويرهق قواه الجسيمة والعقلية . وقد يتمكن منه أثره فتصعب عليه مغالبته بعد ذلك .

فالارهاب يعجز إرادة الطفل عن أداء الخير ، ويجعل باعث الصواب

فيه عن ذلة وجبن . وهذا يحتم علينا العدول عنه كلية ، وتهدئة روعه بوداد وعطف حتى ينشأ هانئاً مطمئناً إلى الحياة .

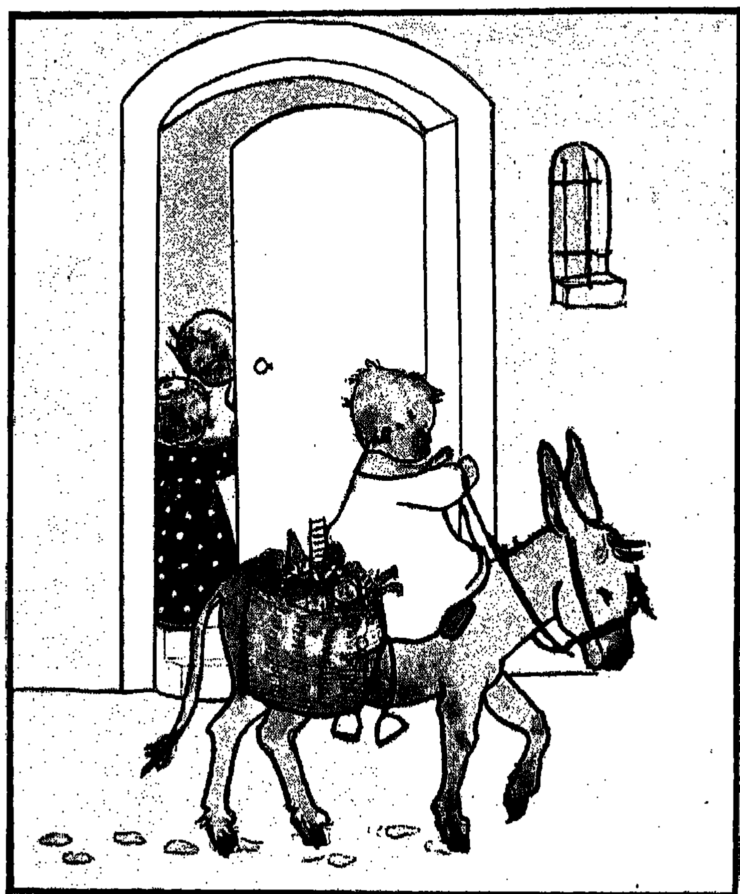
خيال الأطفال ومميزاته وأكاذيب الأطفال

إن من ضمن عناصر الجاذبية فى شخصيات الأطفال خيـــالهم الثائر الفيـاض ، الذى تدور حوله جل أفكارهم وآمالهم ورغباتهم ومخاوفهم وأحاديثهم وألعابهم

فالطفل يغمض عينيه ليجول بذهنـه فى عالم الخيال ، ثم يفتحهما عن صور قد ألفها على قوائم من ذكرياته السابقـــة لمدركات معهودة ، ويزهو بتصويرها واضحة ملموسة ، ويرويها لنا فى قالب من الوصف مماثل للحقيقة والواقع . وهو بين الثالثة والثامنة ، يكثر من تصوراته الاستحضارية هذه . ويكون خياله فى البدء مرتبطاً بألعابه ، ثم يزيد ويتسع عند مايلعب بالدمى و« العرائس » ، إذ يطعمها ويتعهدها ويقوم بجميع حاجيات معيشتها ، كأنها حية ترزق . ويدخل على خيال الطفل مع اضطراد نمو إدراكه واتساع نطاق معلوماته ، بعض التغيير والتنميق والزخرف الوضاء ، ويبرزه لنا أحلاماً جلية خارقة مدهشة ، مطلية بشتى المشوقات ، يحادثه فيها الحيوان ، ويلاعبه الجماد وتضاحكه الأزهار ، وتسابقه الأشباح ، فيظن النبات يبكى إذا رآه مغطى بالندى ، ويتخيل السماء تذرف دموعها أمطاراً ، وهكذا يخرج كل منظر اعتيادى من دائرة خياله فى صورة طريفة . وهو فى نفس الوقت يميل إلى سماع الحوادث والقصص التى تحتوى على الخيالات الغريبة ، بمـا فيها من المجازفة فى المآزق الوعرة ، والمخاطرة مع الوحوش ووسط النيران ، وغرائب الشذوذ فى سرعة الطيران والانتقال ، وعجائب البطولة والانتصار ، ومعجزات إنطاق الجماد



من خيال الطفل الشارد



الفارس الصغير يتباهى بكنوزه

وتجلى الإنسان فى أجسام البهيم ، وغيرذلك مما لاحصرله من خرافات المآثر فوق العادية .

وفى هذا الطور ترتسم الصور فى عقله صافية وحية ومجسمة ، لدرجة أن أمرها يلتبس عليه ، فلا يستطيع التميز بين واقع الحقيقة والخيال . وهنا ينطلق يحدثنا عن خياله ، ويشرد بنا فى تيه أوهامه ، وهو لا يقدر أن يفرق بين ما قد حصل فعلا وما يتهيأ ، فيخلط بين الرؤيا واليقين ، وهكذا يقع فى كثير من الأكاذيب غير المقصودة .

ومن خداع الخيال فى الأطفال ، أنهم يأخذون بناصية الأشياء من حيث يريدونها أن تكون ، ولا يأبهون بها كما هى ظاهرة للعيان . فيكسبونها صفات ، ويكيفونها بحالات ، ويلصقون بها أعمالا بعيدة عن حقيقة أمرها ولكنها توافق أهواءهم ، وكأنهم يتعمدون التضليل والبهتان . وهناك ظاهرة أخرى لخيال الأطفال الواسع الغزير ، وهى اتخاذهم صحابة من الأصدقاء الموهومين أو المجسمين فى الجماد والحيوان والنبات ، فيدمجونهم معهم فى ألعابهم وأحاديثهم ، ويشركونهم فى طعامهم وأعمالهم ، ويصبون عليهم عواطفهم المتقدة وشعورهم المتأجج ، ويمثلون معهم أدواراً يفقدون فيها شخصيتهم كلية ، وقد ينسون أن هؤلاء الأصدقاء من تكوين خيالهم فيستاؤون إذا عوملوا على حقيقتهم .

هذا هو خيال الأطفال كما نرتئيه مع ما فيه من إفراط وتلفيق وهذيان ، وقد يتبادر لنا وجوب استئصاله حتى نأمن الشر الذى قد يرتكبونه من جرائه .

ولكن قد اتضح لجميع المربين أنه من أعظم العوامل لتربية الخلق . فالطفل الذى يمثل دور الأمير والفارس والجندى ، يشعر فعلا بنبالة الأمير وشجاعة الفارس وحماسة الجندى ، ويرتفع إلى مستوى عظمة كل منهم . وكم من أعمال

الظلم والقسوة تنشأ من ضعف الخيال الذى يعجز صاحبه عن أن يضع نفسه فى مركز غيره ممن يقاسون الظلم والعدوان .

فالخيال الخاطىء إذا تعهدناه ، ينتقل من دور الحماقة إلى دور المعقول والعمل والإبداع . ويصير بذرة لسمو النفس وصفاء الوجدان ، ومصدراً لوحى الألفاظ والأنغام ، ولتصوير المعانى والأشكال فى كساء من الرقة والرشاقة والبهاء . ومما يحكى عن واحدة من الشعراء لما كانت طفلة بلغت ، من حدة الخيال ، أنها وهى سائرة فى الطريق ، كانت تنقل الحصى الذى تعثر عليه من مكان إلى آخر متوهمة أنها بذلك تسهل لهذا الحصى تغيير المناظر التى تحيط به من يوم لآخر . فالمخيلة هى عين العقل التى نرى بها غير المنظور فى المنظور ، ونقدر بها الجمال المستور فى الأشياء العادية بل إنها بصيرة الإيمان بالقوى الخفية ، وإدراك الممكنات المدخرة فى بواطن الأمور ، وأساس الابتكار والمخترعات الإنشائية الجليلة .

وإذا كان للمخيلة هـذا القدر من الأهمية فى تـكوين النشء وتربيته ، فـكيف إذاً نوفق بين تنميتها وتهذيب النواحى غير المستحبة منها ؟ نرى أن هذا ممكن بمراعاة ما يأتى :

أولا — لا يجب التسليم للطفل بالتمادى فى تصوراته وتخيلاته الكاذبة ، كما أنه لا يصح مواجهته بالتأنيب ، أو اتهامه بالمخاتلة والخداع . بل يحسن بنا أن نستمع أولا إلى مايرويه علينا من تأليف خياله ، ونبدى له حسن الإصغاء والاهتمام ، حتى نعرف خواطره ومطامحه ، ثم نوقفه عند الحد المعقول منها ، ونوجهه فى طريق الصواب بمطالبته أن يسرد حوادث أخرى واقعية من مشاهداته ، ليتنبه فى أثناء إلقائها إلى الفرق بين إنتاج خياله ، والصحيح المثبوت بالحس ، وغير المرتاب فيه . وهكذا بالتدريج ينبذ أكاذيب تصويره ، فلا تلبث

أن تتضاءل فى ذهنه حتى تختفى ، بينما تتعمق آثار الصدق فى مخه ، وتتلألأ ببريق الحق والجمال .

ثانياً — نتعاون مع الطفل على تنسيق تخيلاته باطلاعه على الصور الجميلة الشائعة . فنوجد له الرسوم الرمزية ليشرحها بتصنيف خياله ، والكتب التصويرية ليصفها بلغة بيانه ، والحكايات المصورة ليصيغ حوادثها بنسيج عبقريته ، والدميات والتحف المليحة ليوشيها بطلاوة أفكاره .

ثالثاً — نسهل للطفل الاتصال ببنات الطبيعة وشواهد حياتها ، فيلمسها بيد العلم والكياسة ، ويتخذ من مظاهرها مادة تملأ مشاعره بالسرور ، وألفاء حقيقيين يبعثون السلوة فى نفسه ويأخذون بمجامع قلبه .

رابعاً — نفسح المجال للتخيل العملى ، بشغل الطفل فى التعبير عن مشروعات خياله بالرسم ، أو تشكيلها بعمل المناظر المأخوذة من الحكايات والأحدوثات والأحاجى والوصف البهيج البسيط ، والتى تشجعه على تصميمها ، وترغبه فى السعى لتحقيقها .

خامساً — نقرأ على الأطفال مختارات فى متناول فهمهم من صحائف آداب اللغة والشعر السهل الرائع ، ونسمعهم مقتبسات من القطع الموسيقية والنغم الجميل ، ونحفظهم مقطوعات ملحنة ، وبعض حركات إيقاعية لتمثيل ماينطوى تحتها من المعانى المشتقة من تفتح الأزهار ، ويقظة الربيع ، وتغريد الطيور ، وتناوم الخشخاش ، وشمائل الحيوان ، وغير ذلك من الأوضاع التى تشعره بلذة الخيال الراقى ، والإبداع فى التفنين .

سادساً — نلقى على الطفل الأقاصيص والأساطير التى تحتوى على أبهج الحوادث والتى تكفى حاجة الطفل وتأخذ بيده إلى المثل الأعلى ، وتوضح له منشأ المعرفة بالأشياء وسر غوامضها .

الباب الثالث عشر

القصص

أنواعها – طرق إلقائها .

القصص وفائدتها العقلية والخلقية

عند ما يناهز الطفل السنة الرابعة من عمره ، يبتدىء فيه الميل إلى سماع الحكايات المختلفة لأنه يجد فيهـــا مجالا للتعبير عن خواطره ، وترويحاً لأفكاره وتسلية لنفسه . كما أنها تثير سروره ولذته ، وتبعث اهتمامه بالأشياء وحقائق الحياة ، وتجذب انتباهه المتواصل ، وتزيد مقدوره على حصره لأمد طويل بدون ملل .

ولقد كان للقصة شأن عظيم فى ترقية مدارك الجنس البشرى ، إذ اتخذها الأنبياء والقادة الخالدون وسيلة لتقريب تعاليمهم من عقل الإنسان . وما أساطير القدماء وقصصهم المختلفة إلا طرقا حاولوا بها شرح ظواهر الطبيعة والعقائد الدينية التى كانت فوق مستوى فهم البشر فى ذلك الحين . ولازالت القصة إلى الآن أفضل أسلوب لتفهيم الأطفال المعلومات ، وللتأثير على نفوسهم بطريقة تدفعهم إلى الطاعة والنظام وتأدية الواجب ، وتحفزهم إلى السعى نحو الكمال ، وترفع شأن الحياة أمامهم فتضع نصب أعينهم حالة أعلى وأسعد ، مصورة فى المثل العليا للحياة ، فيسعون للوصول إليها وتحقيقها ، ويجدّون فى هذا ما استطاعوا إليه سبيلا .

ودروس التهذيب ومشاهد الطبيعة ومبادىء العدل وحوادث التاريخ ، لا يمكن بسطها للأطفال الصغار إلا بصياغتها فى قالب قصصى ، يكون مجدياً فى إفادتهم ، ومرغباً لهم فى تحصيلها .

ونظراً لقيمة القصة فى تقوية روح الطفل وتفتيح ذهنه ؛ وفى تنمية إدراكه وتوسيع خياله ، وتهذيب عواطفه وأخلاقه ، فقد وقف لها الغربيون ساعة خاصة فى برنامج أوقاته المسائية . والطفل الغربى يترقب طيلة نهـاره

ميعاد القصة (The Story Time) برجاء عظيم . وكم يسحره وقع الديباجة الدارجة للقصة هناك على مسامعه ، وهى « فى سالف العصر والزمان حدث أن . . . » وكم تأخذ راوية القصة بمجامع قلبه الصغير ، فيعتبر حرمانه إياها أعظم عقاب توقعه عليه عند اقتضاء الحال .

صفات القصة الجيدة وأنواع القصص الملائمة للأطفال حسب أعمارهم المختلفة

يتنبه الأطفال لسماع القصص الشائقة التى تناسب سنهم ومستوى عقولهم ، وتوافق ظروفهم الشخصية الخاصة . وأنواع القصص اللائقة لأعمارهم المختلفة هى الآتية :—

(١) من سن الرابعة إلى السابعة تناسبهم الحكايات التى تتعلق بما يألفون من صغار الإنسان والطير والحيوان ، والتى تؤسس على حوادث من بيئتهم القريبة ، وما فيها من رفاق وأقرباء يحيطون بهم .

وهم كذلك يميلون فى هذا الطور إلى القصص العبقرية (الحواديت) وعلى الأخص ما كان فيها تكرار للألفاظ والأعداد ، وما اشتدت فيها حدة الخيال مثل حكاية « الدببة الثلاثة » و « الفرخة مرخة » و « عقلة الصباع » « وعلاء الدين ذى السراج » .

وهناك حكايات طريفة عن الطبيعة ، تستميل الأطفال كثيراً ، وتوضح لهم بعض غوامضها عليهم ، مثل حكاية الرجل والهواء والشمس ، والأرنب والسلحفاة ، والخروف والذئب ، وبعض القصص المبتكرة من هذا القبيل .

(٢) ومن السابعة إلى دور البلوغ ، تفضل الأطفال قصص الأبطال والقصص الواقعية التى منها القصص الدينية من سير الأنبياء وأئمة الدين ،

مثل سيرة سيدنا يوسف ، وفلك سيدنا نوح ، ونوادر من أخلاق هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبى وغيرهما .

ويحب الأطفال فى هذا السن ، القصص الإقليمية ، التى تأتى بوصف معيشة أجناس البشر فى بقاع الأرض المختلفة ، كقبائل العرب والهنود الحمر والأقزام والإسكيمو وأقوام الغابات الاستوائية وغيرهم ، ممثلة فى حياة أطفالهم .

أما تراجم الكاشفين والمخترعين والرحالين وقصص الأبطال وعظماء الرجال ، فتفتنهم بما فيها من شخصيات بارزة ، وأعمال باهرة تلفت اهتمامهم مثل جولات «السندباد البحرى» و«خريستوف كولمبس» و «ابن بطوطه» . وهناك قصص عن حياة البشر فى تاريخ الفطرة ، وتطورات نمط الحياة ، والتدرج فى ابتكار الآلات ، توافق الأطفال فى هذه المرحلة أيضاً، وخصوصاً إذا كان أشخاصها أطفالا صغاراً .

(٣) وفى دور البلوغ ، يقوى فى الأطفال حب القصص الحماسية التى يظهر فيها العامل الأدبى ، والجهاد فى سبيل المثل الأعلى ، كالذود عن الضعيف والتفانى فى أداء الواجب ، والتضحية والإيثار والإخلاص والشرف ، مثل حكايات عن ألسنة الحيوانات والطيور تكون محتوية على مغزى مجازى ، كالواردة فى كتاب « كليلة ودمنة » . وكذلك الأساطير المصرية القديمة ، التى فى متناول إدراك الأطفال ، ومنتخبات من أساطير الإغريق والفرس والهنود ، وعلى الأخص ما يصور منها قوانين الطبيعة ، ويغذى الوجدان ، كاسطورة اطلانطا ، وزهر النرجس ، وصوت الصدى ، والملك ميداس ، وحصان طروادة ، ورحلات عوليس .

ومن المستطاع اقتباس بعض قصص أخلاقيــــة من الأدب العربى والشرقى والغربى تتضمن دروسا فى الصدق والأمانة والوفاء بالوعد والصبر

وغيرها من الفضائل ، التى تكون مصدر لذة ، وتترك أثرا تهذيبيا فى نفوس الأطفال .

ومن الصفات التى يجب توافرها فى قصص الأطفال ، أن تحتوى دائما على حوادث لانتصار الخير والفضيلة ، وانهزام الشر والرذيلة ، حتى توضح لهم سوء عاقبة الخيانة والقسوة وغيرهما من الصفات الممقوتة ، وتحبب إليهم الخلق الحسن ، والطباع الكريمة وغير ذلك من الصفات المحبوبة .

وإن احتوت القصة على مكالمات بين الإنسان والحيوان . فلتكن الغلبة دائماً لبنى آدم ، حتى ينشأ الطفل عارفا بسمو جنسه ، ويكون قوى القلب جريئا .

ومن شروط القصة الصالحة أن تكون ذات فوائد تعليمية ، لتحقق بها أغراضها العقلية والخلقية ، فتشمل معلومات صحيحة عن الأشياء المختلفة ، ووصف جميل لمناظر الطبيعة وكائناتها ، والعواطف النبيلة التى توقظ فيهم روح البطولة والشجاعة .

طريقة إلقاء القصص على الأطفال :

(١) يجلس الراوية مع الأطفال فى مكان مريح ، وفى وضع تسود فيه الألفة بينه وبينهم ، ويمهد المسامرة معهم بوداد ومن غير مقاطعة ، ويسهل لهم رؤيته جيداً ، وسماع صوته ، ومشاهدة إشاراته ، وأمارات الانفعال على وجهه فى أثناء سرد الحكاية ، حتى يتتبعوها بتأثر وفهم حسن وسكون تام .

ومن دواعى النجاح فى رواية القصة ، أن يكون الراوية غير متكلف ولا مغال فى حركاته الجسمية ، وأن يهتم فينتقى عباراته بسيطة ، ويلقيها بصوت هادىء معتدل ذى نبرات . وبذلك يمثل الحوادث بطريقة تستميل الأطفال وتشعل حماستهم .

(٢) يستهل الراوية بفاتحة مناسبة للموضوع الذى يتجه إليه . فيقدم القصة لهم فى أسلوب تميل إليه نفوسهم ، وتألفه أذواقهم وأفهامهم ، كأن يقوم بمقارنة بين سامعيه وبين أشخاص القصة القائمين بأدوارها ، أو يسألهم بعض أسئلة عما قاموا به من أعمال مماثلة لوقائعها ، أو يصف لهم من خبرته الشخصية ما يحصر شوقهم فى حوادثها المتسلسلة .

(٣) يشرع المحدث فى إلقاء الحكاية من غير لعثمة ، مقتصداً فى سردها ، بين السريع والبطىء ، وبلهجة تخلق الجو الملائم للروح الشائع فيها حتى يبرز ما فيها من عواطف الحزن والسرور ، أو الاستياء والرضاء ، أو الهدوء والاستفزاز مع تعليق أهمية خاصة على المواقف الأساسية فيها .

(٤) يوضح الرواية كلما أمكن بصور من مناظرها المختلفة ، يعرضها خلال السرد فى المواضع المرتبطة بها ، بحيث تدخل فى سلك القصة بدون مقاطعتها ، كأنها جزء من مضمون وقائعها . وبذلك لا يتشتت انتباه الأطفال إليها ، وتستمر سلسلة تخيلاتهم فى مجراها ، بدون تفكك فى وحدتها .

(٥) ولتثبيت القصة فى عقل الطفل ، وربط نقطها بعضها ببعض ، واستكمال حلقات التخيل فى ذهنه ، وتحقيق صور معانيها . وإبرازها فى صورة حية ، يحسن بعد الفراغ من إلقائها ، أن يحبب إلى الأطفال رسم ما يروق لهم من مناظرها المتنوعة ، مع إعطائهم مطلق الحرية للاختيار .

وإذا أمكن تزويدهم ببعض خامات الأشغال اليدوية ، كالصلصال والرمل والورق ، كان من الميسور أيضا أن يعبروا عما استوعبوه منها بتكوين نماذج متعلقة بموضوعها .

ومما يسر الأطفال كثيرا . تشجيعهم على تمثيل وقائع القصة ، ومحاكاة الأشخاص البارزين فيها .

ولـكيلا تثقل عليهم بإعادة القصة كما سمعوها إثر إنصاتهم الطويل إليها ، يفضل مطالبتهم بتأليف البداءة من قصة مماثلة ، يلقى عليهم نصفها الثـانى ؛ أو بالعكس ، يطالبون بتأليف خاتمة مناسبة لحكاية يلقى عليهم نصفها الأول ، أو يكلفون بسرد قصة مشابهة لقصة سمعوها .

الباب الرابع عشر

الأطفال الشواذ

معالجة الطفل فى حالات العصيان وحدة الطبع والغضب.

الأطفال الشواذ والعناية بهم ومعاملتهم

الطفل الشاذ هو من خرج على المستوى العادى خروجاً ظاهراً سواء أكان ذلك بالزيادة أو النقص . ولكننا سنستعمل كلمة « الشاذ » هنا بالمعنى الذى يفيد النقص . وعلى هذا فالأطفال الشواذ هم الذين أصيبوا بنقص فى تكوينهم الجسمانى أو العقلى أو الخلق . وقد يشمل النقص ناحيتين معاً كالشذوذ الجسمى والعقلى مثلا ، كما قد يكون النقص العقلى جزئياً كتعطيل إحدى النواحى العقلية مثل الذاكرة أو كلياً كما فى حالة البله .

ومما يدل على شذوذ الطفل فى المرحلة المبكرة من حياته بطء نموه الطبيعى أو عدم انتظامه سواء أكان ذلك فى الناحية الجسمية أو العقلية . فاضطراب الحركات وتأخر مواعيد المشى والنطق والكلام وعدم استكمال وظائف الحواس ، أو تعطيل بعض الوظائف الحركية ، أو عجز الطفل عن التكييف لظروف بيئته واندماجه فيها ، كلها علامات تدل على شذوذ عقلى أو نفسانى فى الطفل .

ويمكن تقسيم الشذوذ على وجه عام إلى ثلاثة أقسام :

١ — شذوذ فى قوى العقل .

٢ — شذوذ فى التكوين الجسمى والحسى .

٣ — شذوذ فى التكوين الخلقى والاجتماعى .

الشذوذ العقلى :

هو عجز العقل عن تأدية وظائفه . وقد يكون هذا ظاهرا جدا كما هى الحالة فى البله ، وقد يكون على درجات متفاوتة تشاهد فى بعض الأطفال الذين تقل قواهم العقلية عن القوى العادية للذين فى سنهم وبيئتهم . ويمكن تقدير هذا

التأخر بواسطة اختبارات مقننة وضعت خصيصا لمعرفة مقدار اضطراد النمو العقلى، وتسمى باختبارات الذكاء .

والذكاء قوة عقلية فعالة فى الفرد تدفعه للسير فى شئون الحياة وتطوراتها بنجاح . ومن مظاهره المقدرة على حل المعضلات الجديدة بالاستفادة من التجارب السابقة فى ذلك .

والذكاء يورث كبعض الصفات الجسمية أو الميول الفطرية التى يرثها الطفل عن آبائه وأجداده . وإن للبيئة أثرا ذا أهمية كبرى فى ظهوره . فهو يظهر فى الصغر ويستمر نموه إلى سن معينة حددها بعضهم بالرابعة عشرة ، والبعض الآخر بالسادسة عشرة . والذكى ذكى طول حياته ما دامت البيئة صالحة لإثارة ميوله واستعداداته العقلية والنفسية اللهم إلا اذا طرأ طارىء غير عادى يؤثر فى قواه العقلية ؛ كما أن الغبى غبى بطبيعته ويستمر كذلك مهما بذلت البيئة من جهود فى تنمية مداركه .

اختبارات بينيه (Binet) فى الذكاء :

فى أوائل القرن العشرين قام فريق من كبار المربين فى البلاد الأوروبية بدراسة نمو ذكاء الطفل للاستدلال على أسباب تأخر بعض الأطفال فى الأعمال المدرسية ، ومعرفة ما إذا كان هذا ناشئا عن ضعف فى ذكائهم أو عن أسباب أخرى ؛ إذ كثيرا ما وجه اللوم إلى المدارس والمناهج وطرق التدريس المتبعة فيها وإلى المدرسين أنفسهم دون التحقق من استعدادات الطفل العقلية والجثمانية . فوكل الأمر إلى العالم الفرنسى المسيو بينيه « Binet » للبحث عما يكشف الستار عن حقيقة الموقف . فقام بدراسة أطفال عديدين يتعلمون فى مدارس مختلفة ويعيشون فى بيئات متنوعة . وفى سنة ١٩٠٥ وضع هذا العالم مقياس الذكاء المعروف باسمه ، وقد انتشر فى كثير من الممالك وأخذ المربون

يقومون بتطبيقه كل فى بلده لغرض تقنينه وفقا لأعمار الأطفال المختلفة، إذ تبين لهم أن تشخيص مشاكل الأطفال من الناحية العقلية والنفسية وعلاجها لا يكون تاما إلا بعد تعرف درجة ذكاء كل منهم ليمكن تعليمه حسبما يقتضيه تقدمه أو تأخره بما يناسب استعداده .

وقد كان هذا العالم حكيما فى وضع مقياسه إذ جعله على شكل اختبارات فردية يمكن بها معرفه ذكاء الطفل عن طريق المعلومات العامة التى اكتسبها من الحياة والتجارب الشخصية فى محيطه وبيئته . وليس الغرض من هـذه الاختبارات معرفة مبلغ تحصيل الطفل فى المدرسة من المواد المختلفة .

واختبارات الذكاء هذه مرتبة ترتيبا تصاعديا حسب تدرجها من السهل إلى الصعب ومراعى فيها المستوى العقلى للأطفال من سن ٣ الى ١٥ . وقد جعل «بينيه» هذه الاختبارات متعددة النواحى بحيث تقيس القوى العقلية المختلفة للطفل فيمكننا الحكم بها على مستواه العقلى بوساطة إجابته عنها .

والطريقة التى لجأ اليها فى وضع اختباراته وتقنينها فى بادئ الأمر ، هى أنه جرب كل سؤال على عدد كبير من الأطفال فى سن واحدة وبيئة واحدة ومن جنس واحد . فإذا تمكن معظم الاطفال من الإجابة عن السؤال اعتبر صالحا لهذه السن ، والعكس بالعكس ، إذا عجزت الأغلبية عن فهمه والإجابة عنه جرب على من هم أكبر منهم سنا وهكذا .

وبعد اختبار الأطفال فيما يزيد على ٢٠٠ مدرسة بفرنسا نشر مقياسه الشهير الذى برهنت التجارب العديدة على أنه ذو فائدة كبرى فى الحكم على مقدار الذكاء الذى لدى الشخص .

الاختبارات الجمعية « لبلارد » :

وقد قام «بلارد» باختبارات مختلفة لقياس الذكاء على عدد كبير من الأطفال فى مدارس انجلترا . وكان يجربها على جماعة منهم فى وقت واحد بدلا من إعطائها لكل طفل على حدة كما هو الحال فى مقياس « بينيه » . وتمكن بها من معرفة المستوى العقلى للأطفال الذين تقع أعمارهم بين الثامنة والرابعة عشر .

وقد وضع اختبـــاراته بحيث تلقى على الأطفال شفويا ويطالب منهم الإجابة عنها فورا بالكتابة . وقد أسست هـذه الاختبارات على عماد من المعلومات العامة المناسبة .

«وبلارد» مثل «بينيه» يعنى بوجه خاص فى اختباراته بقياس ذكاء الطفل بوجه عام ، لا بتقدير أى استعداد عقلى خاص مثل قوة الانتباه والذاكرة وغيرهما .

وقد انتشرت اختبارات الذكاء فى جميع بلدان العالم المتحضر . وعمل كثيرون على تهذيب هذه الاختبارات وتقنينها لتعرف المستوى العقلى الحقيقى للأطفال .

وقد ترجمت بعض هذه الاختبارات فى مصر ، وأجريت على كثير من الأطفال لتعرف مستواهم العقلى، كما وضع بعض المربين المصريين اختبارات أخرى مناسبة لقياس ذكاء التلاميذ .

غير أن هناك اختبارات أخرى تحليلية وليست شاملة كالتى ذكرناها ، بمعنى أنه يمكن بواسطتها اختبار القوى العقلية المختلفة . ومنها اختبـارات للذاكرة والانتباه والتخيل والتصور . كما أن هناك اختبارات أخرى يمكن أن نقيس بها قوة الشخصية والإرادة ونوع المزاج .

ولهذه الاختبارات المختلفة كتب خاصة تشرحها وتبين كيفية القيام بها

وهى تساعدنا على معرفة ما إذا كان هناك ضعف فى إحدى قوى الطفل العقلية، كما تبين لنا أصل ذلك الضعف .

ولكى يتسنى لنا معرفة مقدار ذكاء الطفل فلا بد من معرفة عمره الزمنى أو الميلادى ، ثم عمره العقلى وهو عبارة عن العمر القاعدى أو العمر الذى استطاع الطفل أن يجيب عن كل أسئلته بنجاح تام ، مضافا إليه حاصل ضرب عدد الإجابات الصحيحة من اختبارات الأعمار الأخرى التى تلى العمر القاعدى مضروبا فى الزمن المقدر لكل سؤال ، ويكون عادة شهرين أو ثلاثة تبعا لعدد الاسئلة الخاصة بكل سن . ثم يقدر الذكاء تقديرا حسابيا بقسمة العمر العقلى على العمر الميلادى ، وضرب الكسر الناتج فى مائه . وبذلك نحصل على نسبة ذكاء الطفل . فمثلا إذا كان عمر الطفل ١٠ سنوات وكان سنه الميلادى كذلك ١٠ سنوات كان الطفل عاديا ، وتكون نسبة ذكائه مساوية ١٠/١٠ فى ١٠٠ = ١٠٠

وإذا زاد عمره العقلى على عمره الميلادى أى زادت نسبة ذكائه عن ١٠٠ كان الطفل ذكيا ؛ وموهوبا إذا كانت هذه الزيادة كبيرة . أما إذا نقص العمر العقلى عن الميلادى فإن ذلك يكون دليلا على تأخره من الوجهة العقلية .

ويمكن تقسيم شواذ العقول إلى ثلاثة أنواع :

(١) المعاتيه (٢) البلهاء (٣) المأفونون .

المعاتيه :

ودرجة ذكاء الواحد منهم منحطة جداً فلا يزيد عمره العقلى على سنتين أو ثلاث سنين . وعلى الرغم من أن حواسه كلها قد تكون سليمة تؤدى وظائفها على الوجه الأكمل ، إلا أنه لا يدرك ولا يستطيع أن يتفاهم مع سواه . فحياته حياة حيوانية محضة ؛ أى أنها فسيولوجية مقصورة على الغذاء والشراب ، وربما لا يقوى الشخص على طلبهما .

وهذا الشذوذ راجع إلى نقص فى تكوين الطفل وخصوصاً فى جهازه العصبى ويسمى عادة بالشذوذ التكوينى .

ويشاهد فى أغلب هؤلاء الأطفال إما كبر حجم الجمجمة (وتعرف بالهيدروسيفال) أو الجمجمة المائية ، وفيها يضغط السائل السحائى على الجهاز العصبى فتتعطل لذلك وظائفه المختلفة . وقد يشاهد أحياناً صغر حجم الجمجمة ويكون كثير من المراكز العصبية ناقصة التكوين فلا تستطيع أداء وظائفها .

كما أنه قد يصاب الطفل بالعته من جراء إصابته بأحد الأمراض التى تنتاب المخ فى عهد الطفولة كالتهاب السحاء أو إصابته بأحد الأمراض العصبية . وتظهر على الطفل فى كثير من الحالات علامات تدل على الشذوذ . وكثيراً ما تشاهد فى تكوينه العظمى كعدم تناسق أعضاء الوجه وعظام الجمجمة ، وقد يغزر شعره ويمتد إلى ما يقرب من منتصف العظم الجبهى ، ويكون بصره زائغاً ، وتبدو عليه علائم الحول . وتظهر على بعض الأطفال علامات الكساح ؛ ويأخذ القفص الصدرى شكل القمع ، وتكون عظامه عريضة ولينة ؛ وأطراف الطفل العليا والسفلى تكون غير متناسبة فى النمو ، فقد تزيد الواحدة على الأخرى فى الطول ؛ وتكون الأصابع قصيرة ومتفرقة على شكل غير طبيعى ؛ وتكون حركات المعتوه عادة (إرادية أو غير إرادية) غير متزنة ، كما أنه قد يصاب فى نهاية حياته بشلل عام .

وغريزة المحافظة على البقاء عند الأشخاص المعاتيه ضعيفة فى أغلب الأحيان ولذلك فهم يتعرضون دائماً للأخطار ، ولا يؤمن عليهم من أن يسيروا وحدهم فى الطرقات العامة .

والمعتوهون غير قابلين للتربية والتعليم . وهم غالباً لا يتقدمون فى السن إذ تنتهى حياتهم بسرعة .





طفلان ضعيفا العقل تبدو على وجهيهما المسحة المنغولية





رأسان لشخصين أبلهين

وهناك طبقة من المعتوهين يستطيعون أن يطالبوا بشيء من الطعام والشراب . ويتميزون بضعف الإرادة وسرعة الانفعال وكثرة التقلب مع عدم المقدرة على ضبط النفس . وقد نستطيع أن نخطو بهم خطوة بسيطة فى التعود الآلى عن طريق التقليد ، ولكنها خطوة فى حين محدود جداً .

و « الأمورتيك » : نوع من المعاتيه يكثر فى الطبقة الإسرائيلية . ومن مميزاته ضعف النظر الذى ينتهى بالعمى ، أو شلل الأطراف . ويكون المعتوه



رأسان لمعتوهين يظهر فيهما صغر الجمجمة

من هذا النوع فى الغالب قلقاً كثير الحركة ، ومعجباً بنفسه إلى حد كبير .

والنوع « المنغولى » من المعاتيه يشبه الجنس الآسيوى فى ملامح الوجه فعيناه تلفتان النظر من حيث انحرافهما ، ووجهه منبطح مع بروز الخدين ، وفمه مستدير ، ولسانه كبير الحجم ، وأسنانه متآكلة وأطرافه قصيرة وعظامها عريضة مما يجعلها تبدو كأطراف المصابين بالكساح .

ومن مميزات هذه الطائفة تأثرهم السريع بالموسيقى ؛ فالطفل يميل إليها وتسترعى انتباهه أى نغمة كانت ؛ ويستطيع استبقاءها مدة غير قصيرة بعد سماعها مرة واحدة .

ويمكن التدرج فى تعليم المعتوهين من هذا النوع الموسيقى تعليما آليا بمجرد ظهور هذا الميل فيهم .

وقد يرجع سبب الشذوذ فى هذا النوع إلى الأمراض التناسلية الوراثية . وربما كان سببه زواج الأقارب أو المتقدمين فى السن أو إدمان الوالدين على شرب الخمر أو تعرض الأم للانفعالات الشديدة وقت الحمل .

وكثيرا ما تنتهى حياة هذه الطائفة البائسة حوالى سن البلوغ .

معاملة المعاتيه على اختلاف درجاتهم :

تقضى الإنسانية أن تعامل هذه الطائفة المسكينة معاملة خاصة تناسب حالتهم العقلية والجسمية . فيجب أن تنشأ لهم ملاجىء خاصة لا يسمح لهم بالسكن خارجها خوفا عليهم من الأخطار . ذلك لأن أغلبهم لا يقوى على المحافظة على نفسه . وبطبيعة الحال يجب حرمانهم من الحقوق المدنية ، كما يجب ألا يسمح لهم بالتزوج منعا لانتشار أمثالهم فى الشعب . هذا وقد توصل بعض المهتمين بتربية الشواذ إلى تعليم بعض أطفال هذه الفئة تعليما آليا محضا لا يحتاج إلى تفكير .

٢ — طبقة البلهاء :

ومرتبة هذه الطبقة من الأطفال وسط بين طبقتى المعتوهين والمافوبين من حيث النمو العقلى فيهم . وهذا الفريق يمتاز عن سابقه بأن الطفل الأبله يمكنه أن يتفاهم مع غيره بالكلام ، ولكنه لا يستطيع التقدم فى القراءة والكتابة . هو لا يقدر على التحصيل . ولا يزيد سنه العقلى غالبا على سبع سنوات .

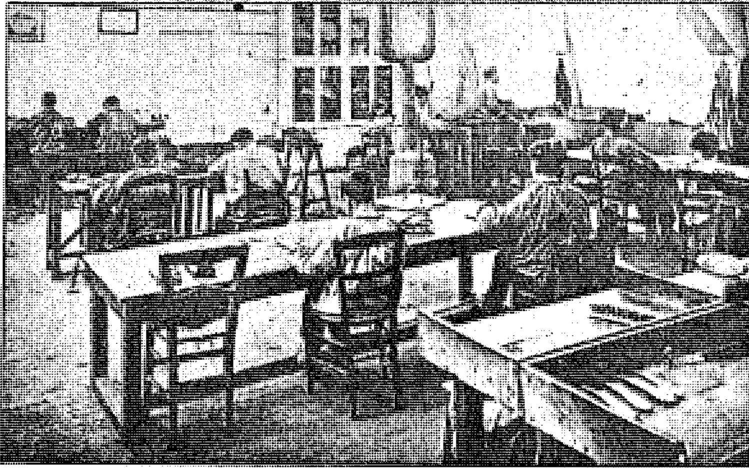
وتتميز هذه الطائفة بضعف الإرادة وكثرة الحركات غير المتزنة ولمس الأشياء لغير غرض خاص .

وهم شديدو الانفعال لأقل الأسباب ، فترى الطفل عبوسا ، سرعان مايبتسم ، أو ثائرا وسرعان ما يهدأ . وقد تنضج فى بعضهم الغريزة الجنسية قبل أوانها .

ولا ينبغى أن نحمل هذا النوع فى الأشخاص أى مسئولية كانت . كما يجب أن يحرم من حقوقه المدنية ومن التزوج كما سبق القول فى حال المعاتيه .

ويرجع سبب هذا الشذوذ إلى الأمراض الوراثية . أو الاضطراب فى إفرازات بعض الغدد كالغدة الدرقية مثلا ، أو اختلال الجهاز العصبى فى تأدية وظائفه ، أو نتيجة مضاعفات بعض أمراض الطفولة الحادة .

وتعمل كثير من البلدان المتحضرة على إنقاذ هؤلاء الأطفال بوضعهم فى مصحات وملاجىء خاصة كالتى سبق ذكرها فى الحديث عن المعتوهين .



معمل فى إحدى مدارس ضعاف العقول « المأفونين »
التلاميذ يقومون بصنع الفراچين (الفرش)

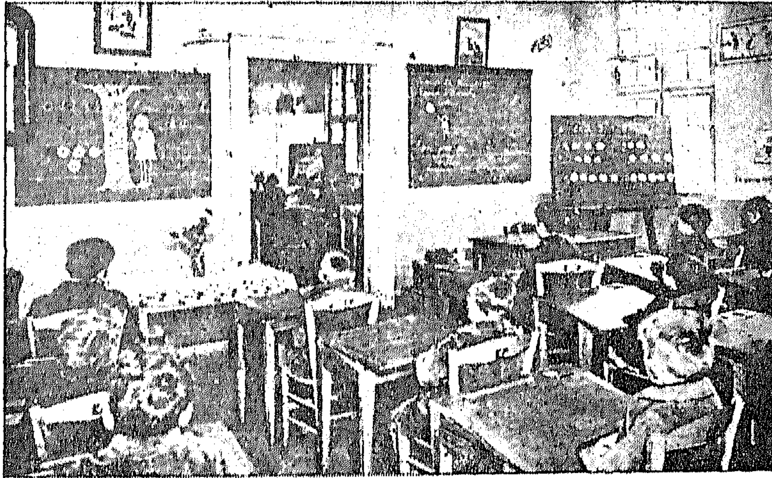
هذا ويمكن تعليم البلهاء بعض الأشغال اليدوية الآلية كصنع السجاد ونسج الأقمشة بالآلات اليدوية .

٣ — طبقة المأفونين :

الطفل المأفون هو الذى يقل سنه العقلى عن الميلادى بسنتين إذا كان عمره لا يزيد عن ٩ سنوات ، أو بثلاث سنوات إذا كان سنه الميلادى يزيد على ذلك .

وأفراد هذه الطبقة يمكنهم التفاهم مع غيرهم بالقراءة والكتابة والمحادثات الشفوية ، ولكن تقدمهم العقلى والعلمى يكون دون مستوى الأطفال الذين فى سنهم . ويرجع هذا التأخر العقلى إلى الوراثة أو إلى إصابة الطفل بمرض شديد فى السنين الأولى من حياته .

ويجب أن يوضع أفراد هذه الطبقة فى مدارس خاصة بهم يسيرون فيها تبعا لمناهج معينة ترمى إلى تعليمهم القراءة والكتابة وبعض المعلومات العامة .



فصل فى إحدى مدارس ضعاف العقول (الأطفال يتعلمون العد)

وتغلب فى هذه المناهج الناحية العملية حتى يمكن إعداد الطفل فى هذه المدارس لمزاولة حرفة من الحرف يستطيع الارتزاق منها فيما بعد . وهذه المدارس منتشرة فى جميع أنحاء العالم المتمدين .

ويمكن لأفراد طبقة المأفونين أن يتمتعوا بكل الحقوق المدنية ، إلا أن نجاحهم فى الحياة محدود .

التأخر المدرسى :

كثير ما نشاهد بعض الأطفال يتلكأون فى دراساتهم فيرسبون عام بعد عام . وأمثال هؤلاء يسببون كثيرا من المتاعب للمدرسين ويطلق عليهم طبقة المتأخرين ويرجع تأخر الطفل بوجه عام إلى الأسباب الآتية : —

١ — ضعف القوى العقلية وهنا يجب وضع الطفل فى مدارس خاصة كما سبق أن شرحنا .

٢ — ضعف جسمانى يؤثر فى حياة الطفل العقلية وهنا يجب معالجته حتى



دروس للمتأخرين فى الهواء الطلق

يعود إلى حالته الطبيعية وذلك بوضعه فى فصول تسمى عادة بفصول الهواء الطلق أو المصحات الدراسية . وهى عبارة عن مدارس ترمى إلى غرضين : هما العلاج والتعليم البسيط المناسب لحالة الطفل الصحية .

٣ — سوء البيئة ، والمراد بالبيئة البيت والمدرسة . فقد يكون اضطراب المعيشة المنزلية ، وسوء تصرف الوالدين ، وفساد نظام الأسرة سبباً فى تأخر الطفل من جراء عدم العناية به وإهماله . كما أنه قد يكون عدم موافقة المدرسة ونظمها للطفل سبباً فى تاخره أيضاً . ويجب فى كل حالة أن نبحث عن المسببات ونعمل على علاجها . فإذا كان سبب التأخر راجعاً إلى البيئة المنزلية ، فيجب أن نعمل على انتشال الطفل منها إذا يئسنا من إصلاحها . ومثل هذا يحصل فى بعض البلاد التى يقضى تشريعها بأخذ الطفل من أحضان والديه إذا كانت البيئة المنزلية تؤثر فى تكوينه العقلى أو الخلقى تأثيراً سيئاً ، كما هو الحال فى إنجلترا وبلجيكا وأمريكا .

أما إذا كان سبب التأخر راجعاً إلى المدرسة ، فيجب دراسة حال الطفل لنتبين ما يصادفه من الصعاب كعدم استعداده لدراسة مادة خاصة من مواد الدراسة ، أو كراهيته للمدرس ، ومن ثم للمادة التى يدرسها إلى غير ذلك . وفى كل الأحوال يجب معاملة الطفل معاملة خاصة ، وتوجيهه توجيهاً مناسباً . وعلينا توطيد الصلة بين البيت والمدرسة ليتعاون الوالدان والمربون على تربية الطفل تربية صحيحة ناجعة . وعلى المدرسين أن يعملوا على توثيق عرى الألفة بينهم وبين الأطفال الذين يعهد إليهم أمر تربيتهم وتعليمهم ، وأن يشاركوهم فى نشاطهم ومشاعرهم مشاركة حقة ليتمكنوا بالتشجيع والترغيب من النهوض بهم .

ب — الشذوذ الجسمى

من الأمور الهامة التى يجب على المربى مراقبتها فى الأطفال، الأوقات التى تظهر فيها قدرتهم على الحركات الآلية ، لأن هذه الحركات من مظاهر نشاط الأجهزة الداخلية . فينبغى مراعاة وقت المشى ، والقيام بالحركات الأخرى ، ونمو الأعضاء ومبلغ قيامها بوظائفها وتناسبها مع جسم الطفل ؛ فالطفل طويل القامة (العملاق) أو قصيرها (القزم) يعتبر فى الحقيقة شاذا فى نموه الطولى عن بقية أفراد جنسه .

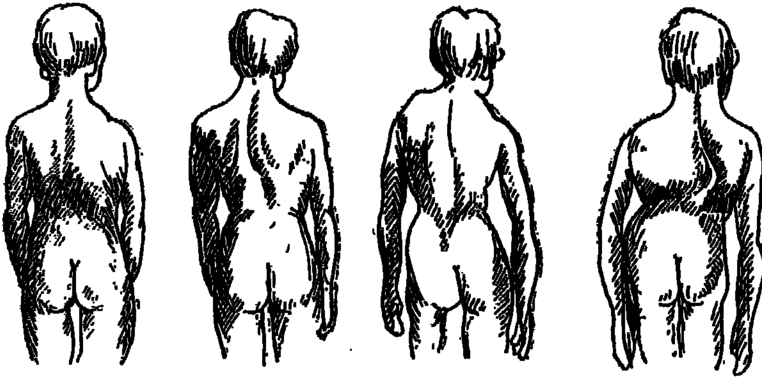
ولما كانت قامة الشخص هى المقياس الظاهر لمعرفة ما قد يكون من شذوذ فى نمو بعض أجزاء الجسم ، فإن من الواجب علينا مراقبة قامة أطفالنا . فالجسم كالعمود القائم تتصل أجزاء جهازه العظمى بعضها ببعض فى نقط عدة كمفصل القدمين والركبتين والحوض . وتتصل الفقرات بعضها ببعض على طول العمود الفقرى كما تتصل بالرأس من أعلى وبالضلوع من الجانبين . وحول كل هذه العظام تتصل العضلات والأربطة . وفى داخل الجسم توجد الأجهزة المختلفة الضرورية لحياة الفرد كالجهاز التنفسى والدورى والهضمى وموضعها القفص الصدرى والبطنى ، أما الجهاز العصبى فموضعه الجمجمة والعمود الفقرى .

وفى أثناء نمو الجسم ، لا تتحمل هذه الأجهزة المختلفة جهدا عظيما . فهى لا تقوم بوظائفها خير قيام إلا إذا كان نموها طبيعيا معتدلا مناسبا من ناحيتى الطول والحجم وفقا لسن الطفل . أما إذا كان هناك شذوذ فى نمو بعض هذه الأجزاء ، فإن ذلك يسبب نقصا أو تعطيلا فى أداء وظائفها . وقد يؤثر شذوذها هذا على ما يجاورها أو يتصل بها من بقية الأعضاء .

وأنواع الشذوذ الجسمية كثيرة ، ولكن الذى يهمنا فى هذا المقام هى الأنواع الأكثر انتشارا فى الأطفال . والتى يمكن تهذيبها وعلاجها بالوسائل الطبية والتربية البدنية .



التصاق الركبتين وتباعد القدمين



التواء العمود الفقرى

التواء فى المنطقة العنقية



قبل العلاج

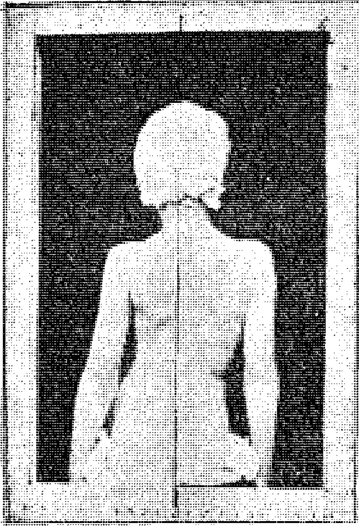


بعد العلاج

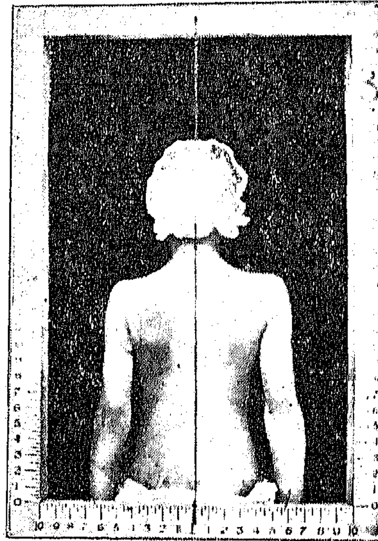
التواء وتقوس العمود الفقرى



قبل العلاج



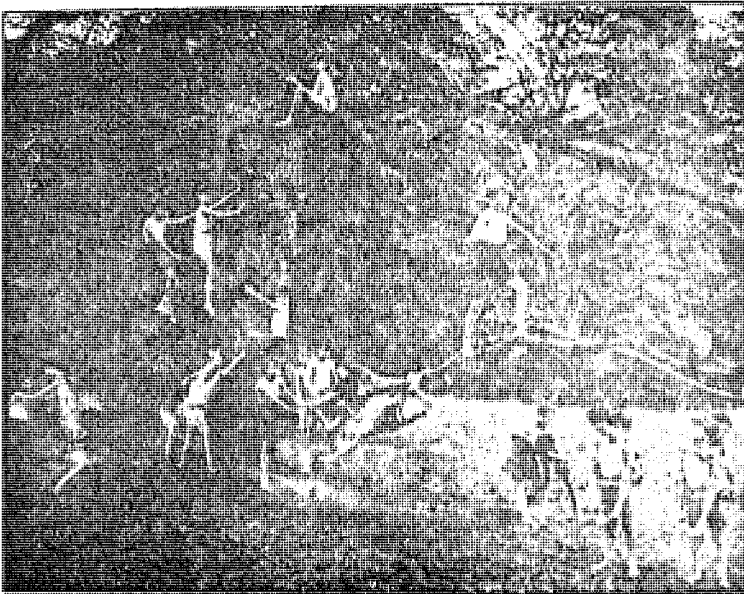
قبل العلاج



بعد العلاج



درس قراءة لضعاف الصحة وهم يتعرضون لأشعة الشمس



كيفية قضاء الأطفال ضعاف الصحة لأوقات فراغهم

الشذوذ الخلقى :

يرجع معظم هـذا الشذوذ فى الأطفال إلى العادات السيئة التى يكتسبها الطفل من البيئة التى يعيش فيها . فالبيئة كما ذكرنا لها أثر فعال فى تـكوين الطفل من الوجهة الخلقية والاجتماعية ، كما قد يرجع شذوذ الطفل إلى قوة غرائزه الفردية وعدم تدريبها وتوجيهها إلى الطريق المستقيم . فقد يكون الطفل أنانياً لا يحب إلا نفسه فيهاجم غيره فى غير حق ليصل إلى أغراضه ، ويستولى على ما ليس له ، ويميل إلى أذى الناس دون أى مبرر ، ويخرب ويحطم كيما يرضى بذلك هوى فى نفسه دون مراعاة لشعور الغير وإحساسهم . ويعتبر نفسه كل شىء فى هذه الحياة ، فلا يكترث بروابط المجتمع ونظمه . ومن الأطفال من لا يقف شذوذه عند هـذا الحد بل يصل به إلى حد الثورة على بيئته وحب الانتقام والسرقة وقد ينتهى به الحال إلى التشرد والإجرام .

أما نوبات الانفعال التى تلازم بعض الأطفال كالغضب الشديد والبكاء والضحك فى تتابع وكثرة التقلب والتغير كالانقلاب من عنف غير معقول إلى لين متناه ، وعدم المقدرة على ضبط الحركات إلى غير ذلك ، كل هـذه المظاهر غير العادية يجب أن تـكون موضع بحث فى سلوك الطفل المعتل من الوجهة الخلقية . وفى الحقيقة إن الشـذوذ الخلقى تدخل فيه عوامل كثيرة لا بد من بحثها ودراستها حتى نقف على علة الشذوذ الرئيسية ونعمل على علاجها .

ويجب انتشال شواذ الخلق من الأطفال — خصوصاً إذا بلغ الأمر بهم إلى حد الإجرام — من بيئتهم التى يعيشون فيها وإدخالهم إصلاحيات أو معاهد خاصة لتقويم ما اعوج من أخلاقهم ، وإصلاح ما فسد منها .

هذا والعناية واجبة جداً بالأطفال الشواذ مهما كان نوع شذوذهم . ولذلك
عنيت كثير من البلاد الراقية بإنشاء عيادات طبية سيكولوجية ، الغرض منها
فحص الشواذ من الوجهات الجسمية والعقلية والاجتماعية لتشخيص نوع
الشذوذ ومعالجته معالجة ناجحة على حسب ما يقتضيه حال الطفل .

معالجة الطفل فى حالة العصيان وحدة الطبع والغضب

من الأطفال من يكون صلب الرأى عنيداً أو عصبى المزاج أو حاد الطبع كثير الغضب. ولنوع المعاملة التى يعامل بها أمثال هؤلاء الأطفال شأن كبير فى طرق تربيتهم وتهذيبهم. ولا يجب بأى حال من الأحوال أن نعاملهم بمثل ما نعامل به الطفل العادى السهل الانقياد اللين الجانب. وإنما يجب مراعاة اختلاف أمزجتهم وطباعهم والنظر فى حالاتهم الخاصة وما تحمله نفوسهم من ميول متنوعة، ثم نبنى على ذلك كله طرق معالجتهم وتهذيبهم. فلا ينبغى مثلا أن نعامل الطفل العصبى المزاج بنفس المعاملة التى يعامل بها الطفل العنيد صلب الرأى أو الحاد الطبع والكثير الغضب.

وعلى هذا الأساس يتحتم على المربين أن يدرسوا كل طفل من هؤلاء الأطفال على حده دراسة وافية بصفته فرداً مستقلا ذا شخصية قائمة بذاتها ويحتاج تقويمه إلى توجيه خاص وعناية خاصة.

والطفل إما أن يكون بطبيعته صلب الرأى أو حاد الطبع سريع الغضب، وإما أن يكون للبيئة أثر عظيم فى تعوده ذلك. وفى كلتا الحالتين يجب المبادرة إلى معالجته حتى لا يشب على هذه الخصال الشاذة فيتعذر علينا استئصالها فى المستقبل.

معالجة العصيان :

إن الطفل لا يعصى أمر من يحب مادام فى مقدرته تنفيذ ذلك. فهو يطيع أوامر والديه دائماً لما يقومان به نحوه من جليل الأعمال. ولكن يجب أن تكون طاعته لهم فى حدود المعقول. فالذين يحملون أولادهم على الطاعة العمياء بقوة الضغط عليهم كمطالبتهم بالهدوء والسكون مثلا على

الرغم من ميلهم الطبيعى إلى النشاط والحركة المستمرة، يخطئون أكبر الخطأ؛ إذ ربما يحمل الطفل تكرار هذه الأحكام القاسية على العصيان، وتشتد فيه صلابة الرأى، فيخالف كل مايلقى إليه من الاوامر، وقد يؤدى الضغط إلى إضعاف عزيمة الطفل وفساد استعداده، فتراه يميل مع كل ريح ويسير تحت أى تأثير من غير عقل ولا تمييز.

وقد يكون سبب عناد الطفل وتصلبه سوء تصرف الوالدين، وعدم مساواتهما فى المعاملة بين الإخوة والأخوات مما يدعو إلى إثارة الغيرة والحسد بينهم. فكثيراً ما نشاهد أن الطفل المحوط برعاية والديه وحبهما ينقلب عنيداً صلب الرأى كثير الغضب إذا ما رزق والداه بطفل آخر وأكثرا له من العناية والعطف. وقد يحقد الطفل على أخيه الأصغر لأنه قد استحوذ على حب والديه دونه. وقد يصبح صاخبا مشاكسا مخربا كأنه بذلك يريد أن يستلفت انتباه والديه المركز على أخيه الصغير.

وكل ذلك نتيجة لسوء تصرف الوالدين. فالواجب دائما ألا تظهر الأم عنايتها ومحبتها لطفل أكثر من آخر حتى ولو كانت هى فى الواقع تفضل أحدهم؛ وأن تحيط أطفالها جميعا برعاية واحدة. وإن كانت حالة الصغير مثلا تستدعى رعاية أكثر، فيجب أن تفهّم أخاه أن الصغير فى حاجة إلى عناية خاصة لعجزه واعتماده عليها أكثر منه. كما يمكنها أن تستعين بالأكبر فى رعاية أخيه. وبهذا ترتبط الإخوة برباط وثيق من المحبة والإخلاص.

وربما كان سبب عناد الطفل سوء معاملته ويكون ذلك غالبا فى حالة معيشته مع زوجة أبيه أو إخوته عن أبيه ومعاملتهم له معاملة سيئة. وربما كانوا سببا له فى عقابه من والديه بغير ذنب. وهذا يدعو الطفل لأن يثور على تلك المعاملة ويتسبب عن ذلك عناده إذا كان قوى الشخصية.

وقد لوحظ أيضا أنه تبدو حالات العناد والعصيان على بعض الأطفال

المدللين عنـد أخذهم بالشدة وذلك بسبب رغبتهم فى أن تـكون أوامرهم هى النافذة .

وقد تبلغ حدة الطبع بالطفل إذا كان مدللا ، أن يشتم أمه ويقذفها بما فى يده ويصرخ ويغضب ويبكى إذا لم تنفذ مطالبه . وبعض الأمهات الجاهلات يشفقن على أولادهن فى مثل هذه الحالات فيعملن طوعا لإرداتهم جهلا منهن بأن هـذه العادات إذا شجعت أصبحت فيهم راسخة تلازمهم طول حياتهم ، علاوة على ما تسبيه لهم من الأمراض العصبية المزمنة . فالأم يجب أن تـكون حازمة فى معاملتها للأطفال ، ويجب أن تعمل على تعويدهم الهدوء بقدوتها الحسنة ، وأن تتجنب التدليل لما له من الأثر السيء فى تـكوين الطفل عقلياً وخلقياً .

وقد يظهر ضعف المربين أحياناً أمام أطفالهم مما يجعلهم يحسون بضعف سيطرتهم وقلة نفوذهم ، فيدفعهم ذلك إلى العناد والعصـيان . ولهذا يجب ألا نظهر أمام أطفالنا بمظهر العجز والتردد وضعف النفوذ . ومن ناحية أخرى إذا كان من خصالنا حدة الطبع وصلابة الرأى أخذها عنا أطفالنا . ولذلك يجب أن نـكون قدوة حسنة لهم فى كل شيء ، لأنهم سريعو التقليد بفطرتهم ؛ كما يجب أن تـكون معاملتنا لهم مبنيّة على المحبة والعطف ، لا على الإرهاب والخوف .

ولاشك أن الطفل إذا اندمج فى هيئة رفاقه خضع لهم بطبيعته كى يكتسب ودهم ورضاءهم عنه ، فى حين أنه قد يكون عنيداً حاد الطبع مع بعض أفراد أسرته كأمه أو أخيه أو مربيته . فهو عند اندماجه فى الجماعة لا يجنح إلى العناد والغضب مخافة أن ينبذه أقرانه إذا لم يؤد جانب الطاعة والولاء لهم .

وإذا كان الطفل سريع الغضب بطبيعته فمن الضرر البليغ أن نتركه يتمادى فى ثورة غضبه ، بل يجب أن نخفف من وطأتها . هذا وهناك حالات من

الغضب المرغوب فيه لا يصح إضعافها ، وهى الغضب للحق والفضيلة وللأهل والوطن . فالطفل إذا كبت فيه مثل هذا الغضب قد ينشأ قليل الاكتراث إذا اعتُدِى على أهله ووطنه ، ويكون إذ ذاك قليل النفع لنفسه وللمجتمع . فالغضب للشرف يجب أن تشجعه التربية بعزم وحكمة .

ويجب معاملة الطفل فى حالة الغضب معاملة معتدلة مع استعمال الحزم ، بأن يؤخذ بالهوادة والهدوء ، وأن يترك وشأنه حتى تخمد ثورته ويعود إلى حالته الطبيعية . لأنه لو عومل بالشدة والعنف زادت فيه قوة الباعث على الغضب ، واشتد أثره فى نفسه لدرجة ربما ضرت بصحته وأخلاقه .

ويسبب الغضب عادة حدة الطبع ، وهى عادة سيئة فى الطفل ، إذ نراه يتبرم لأقل سبب ويبكى ويشتم ويلطم الأرض . وإذا أسرف الطفل فى هذا الأمر ولم يجد من يهذب هذه الطباع السيئة فيه ، فإنه يصاب حتما بأمراض عصبية .

وعلينا أن نعامل حاد الطبع بالهدوء وأن نسوسه بالحزم مع عدم المَسّ بكرامته . فليس من الحكمة أن نهين الطفل أو نهزأ به فى مثل هذه الأحوال ؛ بل الواجب أن نهذب من سلوكه تهذيباً مناسباً لمقتضى حاله .

وإذا استدعى الحال عقاب الطفل فلا يجب أن نظهر بمظهر المنتقم منه ، بل بمظهر المصلح له الساهر على تهذيبه وتقويمه . وخير أنواع العقاب هى :—

١ — حرمان الطفل مما يحب كالحلوى والمصروف .

٢ — إذا رفض عمل شىء تركناه حتى يعود إليه راغباً مختاراً .

٣ — فصله من الجماعة التى ينتمى إليها بابعاده عن إخوته أو تركه فى مكان بعيد عنهم مدة قصيرة حتى يعود إلى صوابه .

على أنه لا يجب أن نعاقب الطفل ونحن فى حالة الغضب . لأن هذا قد يدعونا إلى تشديد العقاب عليه بغير حق ؛ بل الواجب أن نكون هادئين

وأن نوقع العقوبة بعد الذنب مباشرة ، لأن تأجيلها قد ينسيه ذنبه ، ويجعله يعتبر العقاب ظلماً وعدواناً .

ويجب أيضا ألا نستعمل أنواع التوبيخ الشديد والعقوبات العنيفة ، لأنها لو تكررت تعودها الطفل وأصبحت عنده عديمة الفائدة ، فلا يكترث بها .

ويجب ألا ننسى أنه من أسوأ الخطأ أن نوقع على الطفل عقابا يضر بصحته .

الباب الخامس عشر

التربية الخلقيـــة

النمو الخلقى ومعنـــاه . الإرادة وتربيتهـــا
العـــادات وأهميتها . الانفعالات والعواطف
المثـــل العليـــا . الشـــعور الديني

معنى النمو الخلقى وأهميته

إن ثمرة التربية الصحيحة نمو الطفل نموا متوافقا فى جميع قواه الفردية ، ويشمل ذلك نمو الجسم والعقل والخلق .

فالمرء لايستطيع أن يعيش صالحا أوسعيداً ما لم تتوافر له صحة البدن ؛ ولا يكون عقله سديداً وقديراً على تدبير شئونه وحسن تصريفها ما لم يكن جسمه سليما : ولا يمكن أن يشب على خلق حميد يجلب به الخير لنفسه ولغيره ويدفع به الشر إلا بالحياة الصحية والتفكير القويم .

فالنمو الخلقى يتكون ويزدهر بمساعدة النمو الجسمى والنمو العقلى ، ويزداد تحت ظلالهما ، وبه يصير الطفل فى معترك الحياة قوة تسعى فى دماثة لينة ، وحرية وسيعة غير هيابة ما يعترضها فى سبيل الأعمال الصالحة ؛ وبه النجاح بعينه فى الدنيا ، والاستبشار بالنصر دائما . فقيمة المرء فى الحياة تقدر بما يصل إليه من رقى النفس وكمالها واتصافها بالحكمة والعفة والعزة والعدل ، وبما يتغلغل فى نفسه من بواعث العمل لصالح الفرد والمجتمع ، ومقدار استعداده لنبذ الشر ، وتجنب الإساءة إلى غيره من الناس .

فالأخلاق الدمثة هى المقياس للتربية الرشيدة .

وأما طريق نموها فآخذ فى الظهور بوضوح فى مبادئ التربية الحديثة . وقد أصبحت تربية الأخلاق مرتبطة بالتربية الاجتماعية إلى حد بعيد .

فالأخلاق تتكون فى كل ناحية من نواحى حياة الطفل الصغير بطريقة غير مباشرة . ولا يمكننا أن نعلمها أطفالنا فى دروس خاصة مقصودة ، أو نبثها فيهم طفرة واحدة ؛ بل هى تأتى نتيجة للروح المعنوى السائد فى المجتمع الذى يحيط بهم . فالطفل يتنبه إلى وجوب اجتياز مسالك الحياة بصفته

عضواً فى الجماعة ، فيوازن فى مختلف علاقاته بأفراد أسرته ورفاقه ، بين صوالحه وصوالحهم ، ويتحتم عليه أن يعرف أسباب الخير له ، ثم ليقابل بينها وبين أسباب الخير لهم ، ويراعى ما ينفعه أو يضره وما ينفعهم أو يضرهم . وهكذا يتدرج إلى أطوار الحياة قاذراً على الاندماج مع غيره من الأفراد بثقة متبادلة ، وسمو فى المعاملة ، فيقدر مسئوليته العظيمة تجاه المجتمع الذى نشأ فيه .

ولقد كانت مظاهر التربية الخلقية قديماً أن يراعى الطفل آداب المعاشرة والمجاملات المعتادة ، وأن يلتزم الصمت والسكون فى حضرة غيره ، ويطيع الأوامر ، وينفذ الواجبات التى تفرض عليه بدون توان أو مناقشة . ولكن قواعد السلوك الخارجى هذه ، ولو أنها قد تكون دليل الأخلاق ومظهرها ، فإنها لم تعد مهمة فى حد ذاتها . وأصبح الخلق يرتكن على البواعث الداخلية التى تدفع الطفل إلى الأعمال الطيبة أو السيئة . لذلك وجب على المربى أن يستقصى حالة الطفل النفسية التى تصدر عنها تلك الأعمال ويتخذها معياراً لخلقه .

فالخلق صورة النفس وصفة راسخة فيها ، تنبعث عنها الأعمال بواعز وجدانى ونزعة فطرية من غير تفكر أو تردد . ولا تعتبر أعمال الإنسان خلقية إلا إذا كانت تدخلها الإرادة منبعثة بدون رادع من الخوف أو غرض فى الشهرة والظهور .

والعناية بالتربية الخلقية تشمل ما يأتى : —

(١) تعديل الغرائز والميول الفطرية وتهذيبها ومعالجة النزعات المختلفة وأنواع الاستعدادات المتباينة ، ورفعها من الحد الضار غير المهذب إلى الشعور السامى والنزوع الأدبى . فعمل الإنسان دليل على خلقه . وترجع معظم أعمال الإنسان إلى غرائزه وميوله الطبيعيه ، ولذا فخلقه يتوقف كثيراً عليها .

فالخوف مثلا يمكن توجيهه إلى التروى ومخافة الله بدلا من تركه بذرة للجبن والتقهقر أمام العقبات . وغريزة حب الظهور يمكن أن تذكى فى الطفل تمجيد الأعمال الجليلة والمبادىء الخلقية الصحيحة ، ومقت الأعمال الباطلة بدلا من الخيلاء والزهو الباطل . والمقاتلة قد تصير قوة للجهاد الأدبى ، والدفاع عن حقوق الغير ، والانتصار للضعيف بدلا من حب الانتقام وجلب الأذى . وغريزة الانقياد قد تكون أساساً للخشوع الدينى والخضوع لذوى النفوذ والقانون العادل ، وقد تكون سبباً لضعف الشخصية وعدم المغامرة فى سبيل الخير .

ومن هنا يبدأ واجب المربى فى تنظيم الانفعالات النفسية ، وتحويلها إلى عواطف راقية ، وقيادة تلك العواطف فى سبيل الخير .

(٢) تقوية الإرادة وتوثيق دعامتها فى الطفل حتى يستطيع ضبط النفس والتحكم فى مشاعره ، والإذعان لوحى الحق ، وشحذ همته فى الصبر والمثابرة والثبات والمواظبة على وزن الأمور والحكم عليها واختيار الصالح منها اختيارا حرا .

(٣) إعداد الطفل للعمل الطيب بالتدريب الفعلى ، وتكوين العادات الحسنة فى السنين الأولى من حياته .

(٤) وضع القدوة الحسنة فى مراعاة أصول النظام والنشاط وتأدية الواجب وضرب أحسن الأمثال العملية للإخلاص والأمانة والصدق وغيرها من الصفات الفاضلة التى يكسبها الطفل عن طريق اقتدائه بالمثل العليا لقواعد السلوك الخلق ؛ فنحبب إلى الطفل اتخاد أبطال من ذويه ومربيه ومن المصلحين ورجال الدين والأدب ليكونوا مشكاة له فى تمثيل الحياة الصالحة فيحتذيهم مقياساً له فى أعماله وتصرفاته .

(٥) تنمية الشعور الدينى لأن الدين يدعم الأخلاق العميقة الأثر

فى نفس المرء . وكل تربية على غير أسس دينية لا بد أن ينهار بناؤها وتتقوض دعائمها ؛ ومن ربى طفله على مبادىء غير دينية كان عمله هدما وتخريبا .

هذه إذن خير الوسائل للنمو الخلقى — أما الطريقة الشكلية لبث دروس الأخلاق كالعظة والإرشاد والنصح وتلقين الحكم والأقوال الذهبية وتحفيظ القوانين وتوقيع العقاب والتخويف والتأنيب، فطرق ثقيلة على نفس الطفل لأنها تشعره بالتحكم والإلزام . وربما أدت الى السلوك الصحيح ولكنه يكون ناشئا عن خوف ورهبة لا عن عطف ورغبة .

أما الطرق غير المباشرة فإنها أفعل فى النفس وأدعى إلى اتباعها بدراية عملية ، وأقوى فعلا فى استهواء الطفل الصغير إلى الخير ، وإيحاء روح الفضيلة فى خفيته ، وتكوين مبادئه ومعتقداته تكوينا متينا يظهر أثره بين ثنايا أعماله ، ويبعده عن عوامل الرذيلة وعن التعثر فى الخطأ .

الإرادة

الإرادة مظهر من مظاهر النزوع . والنزوع هو الدافع النفسانى الذى يدفع الشخص لأداء عمل من الأعمال . أو هو ذلك العمل نفسه إن قام به الإنسان فعلا .

فإذا كان هذا الدافع موروثاً وعاماً عند جميع أفراد النوع ، كان مظهراً لأحد الميول الفطرية .

وإذا كان مكتسبا شبه آلى كان مظهراً لإحدى العادات .

وأما إذا كان الدافع نتيجة التفكير سمى إرادة . وهى كما عرفها العلامة مكدوجل « العقل فى حالته العملية » ، فهى الدافع الذى يدفع الفرد لأداء عمل من الأعمال بعد تفكير وروية .

تحليل العمل الإرادى :

إذا حللنا العمل الإرادى ، وجدنا أنه لابد وأن يكون مسبوقا برغبات وميول متضاربة ، يتغلب إحداها على الأخرى بعد التفكير والروية فمثلا عند قراءة رواية مسلية تتنازعك عدة ميول :

(١) الاستمرار فيها إلى النهاية

(٢) تركها لأداء واجبك المدرسى ، أو لزيارة قريب أو لقضاء حاجة ما . وينتهى بك الأمر بتفضيل أحد هذه الميول وتنفيذه فعلا . ولا يتأتى ذلك إلا بالتفكير والموازنة . وهذا معناه أن شعورك بالواجب عليك يدفعك إلى التفكير فى الأمر والموازنة بين الميول والرغبات المتعددة

فى نفسك لتنتقى منها ما هو أفضل وأرجح . وهنا تصمم على تنفيذه ، ثم تنفذه بالفعل .

وعلى هذا الأساس نجد أن العمل الإرادى يتركب من : —

١ — شعور وجدانى .
٢ — رغبات أو ميول .
٣ — تفضيل أو ترجيح أحد هذه الميول .
٤ — عزم أو تصميم عليه .
٥ — تنفيذه بالفعل .

منشأ الإرادة فى الطفل :

نرى أن الوليد لا تظهر عليه أمارات الإرادة أو النزوع الذاتى نحو عمل من الأعمال . فإذا ما كبر وأخذت مداركه العقلية فى النمو ، بدأت نزعاته الذاتية فى الظهور بالتدريج ، وشرع يقوم فعلا بأعمال وحركات عضلية ترمى إلى أغراض ظاهرة ، كالبحث عن ثدى أمه ، أو الحبو نحوها ، أو النظر إلى لعبته الجذابة ، أو غير ذلك .

وبما أن الحركات الإرادية لا بد أن يسبقها تفكير ، فهى إذن لا تصدر عن الطفل إلا بعد أن تستطيع حواسه القيام بوظائفها ، ويقوى فيه الإدراك الحسى ، وتنمو قواه العقلية ، وتتكون لديه أفكار يعمل على تنفيذها بحركات إرادية .

فقوة الحواس على الإدراك ، ونمو القوى العقلية شرطان أساسيان لنمو الإرادة . كذلك للأفكار التى تصل إلى الطفل شأن عظيم فى نموها ؛ إذ ترى الطفل يحول الفكرة إلى عمل يقبل عليه بنفسه إذا ما جلب له الفرح والسرور ، وينكمش عنه إذا ما كان مؤلما .

والطفل يميل إلى التقليد بفطرته كما سبق القول . وكثيرا ما نراه يقلد الإنسان أو الحيوان بدافع إرادى . فرغبته فى محاكاتنا فى أقوالنا وأعمالنا مظهر من مظاهر الإرادة .

نستخلص من هذا أن حركات الطفل لا تكون إرادية إلا إذا تدخلت رغبته فى القيام بتلك الحركات . أما إذا رأى الطفل جسما براقا مثلا ، أو لونا جذابا فتوجه تلقاءه مباشرة ، لم يكن ذلك عملا إراديا . ولكن اذا اتجهت نفسه إلى الغذاء عند رؤية الطعام ، ومد يده إلى نوع خاص منه ، كان ذلك عملا إراديا من غير شك ، لأن الطفل فى هذه الحالة يشبع رغبته ، ويسد رمقه بإرادة منه .

أما فى الحالة الأولى فالجسم البراق أو اللون الزاهى ، هو الذى جذب انتباهه فاندفع إليه مباشرة قسرا ومن غير تفكير .

مميزات الإرادة عند الأطفال

إذا لاحظنا أعمال الأطفال الإرادية ، وجدناها تختلف عن مثيلاتها فى الكبار . فهى قليلة متقطعة . وذلك لأن الطفل لايزال بعد فى دور النمو ، وفى حاجة إلى التربية والتهذيب . وأهم الأسباب التى من أجلها كانت إرادة الطفل ضعيفة ما يأتى :

١ — إن الطفل يندفع إلى العمل بدافع الرغبة الوقتية والميل الشخصى . وهذا راجع إلى أنه يتأثر بوجدانه أكثر مما يخضع لفكره ورويته . فنراه لرغبته الشديدة فى الحصول على شىء ما ، يلقى بنفسه إلى التهلكة من غير تبصر فى عواقب الأمور .

٢ — يدفع الطفل نشاطه الذاتى وحبه للاستطلاع إلى الانتقال من عمل إلى آخر قبل أن يتمه . فنراه يعنى بهذا الأمر ، ثم لايلبث أن ينتقل إلى ذاك . ومثله فى ذلك كمثل النحلة التى تنتقل من زهرة إلى زهرة طلبا فى ارتشاف

رحيقها فالطفل ميّال بطبيعته إلى كل جديد ، وإلى ما يتطلب النشاط والحركة .

٣ — إن الطفل يشعر بالتعب بسرعة لأقل مجهود يبذله ، كما تنقصه المثابرة في مزاولة الأعمال والالتفات إليها مدة طويلة .

درجة الإرادة

قد تكون الإرادة قوية وقد تكون ضعيفة .

فالشخص قوى الإرادة هو من يقدم على الأعمال بعزيمة ثابتة ومن غير تردد ، ويستمر في عمله إلى أن ينال مأربه . وإن قامت الصعاب في طريقه فإنه يواجهها بصدر رحب ، ويزداد في اقتحامها قوة على قوة إلى أن ينال غرضه .

مظاهر قوة الإرادة

إن قوة الإرادة فضيلة من الفضائل التي لا تثبت في النفس إلا بمراعاة شروط تكوين العادة . فهي إذن من الأمور المكتسبة التي يحصل عليها المرء بالتجارب والتعود . ومن مظاهرها ما يأتي :

١ — الإقدام : فقوى الإرادة هو الذي يقدم على العمل بعزيمة ثابتة .

٢ — ضبط النفس وهو مظهر من مظاهر قوة الإرادة . فستيْر المرء وراء نزواته ، وعجزه عن كبح جماح نفسه ، راجع إلى عدم مقدرته على ضبطها .

٣ — مضاعفة القوى وبذل الجهد في تقوية الدوافع المستحسنة وإخماد الدوافع المرذولة .

٤ — الاستمرار في العمل حتى يصل المرء إلى الغاية المنشودة على الرغم من العراقيل التي تصادفه .

والواجب علينا تقوية الإرادة في الأطفال بأن نكون لهم مثلا عليا في قوة العزيمة وضبط النفس ، وأن نزودهم بالأفكار التي تحملهم على العمل .

مراعين فى ذلك مقدرتهم الجسمية والعقلية. لأننا إذا أعطينا الطفل عملا فوق طاقته فقد لا يتمكن من إتمامه. وربما دعا ذلك إلى تثبيط همته وقتل عزيمته، إذ يشعر أنه عاجز عن القيام بمثل ذلك العمل. كما يجب أن تكون الأعمال التى يكلف الطفل بها مرتبطة بميوله ورغباته ليقبل عليها بدافع شخصى. وكذلك يجب أن يشجع على العمل من آن لآخر ليتجدد نشاطه ويحتمل الاستمرار فى العمل المكلف به حتى يتمه على خير الوجوه.

ضعف الإرادة وعلاجه :

يظهر ضعف الإرادة فى تردد المرء فى أعماله وهذا لقلة ثقته بنفسه، وعدم مقدرته على ضبطها، ولوهن عزيمته وعجزه عن كبح جماح أهوائه.

وعلى المربى دراسة نقط ضعف الإرادة فيمن يعهد إليه أمر تربيتهم كى يقضى عليها أو يعالجها علاجا ناجعا باتباع الوسائل الآتية : —

١ — لما كان تردد الطفل فى أموره وأفعاله راجعا إلى عدم ثقته بنفسه وعجزه عن الاعتماد عليها، كان واجبا على المربى أن يعوده أولا الإقدام على الأمور السهلة التى يكون فى مقدوره القيام بها، والوصول إلى نتيجة سريعة مرضية ثم ينتقل به إلى غيرها مع مراعاة التدرج فيها حتى يمكنه فيما بعد أن يقدم على أصعب الأمور من غير تردد أو وجل.

٢ — يجب أن يثير فى الطفل الرغبة الصادقة فى العمل الذى يكلف بأدائه.

٣ — يجب أن يزود الأطفال بالأفكار الصالحة التى تحملهم على العمل.

٤ — يجب أن يكون الغرض الذى يرمى إليه الطفل من الأعمال التى يناط به تأديتها صريحا واضحا، إذ بدون ذلك يتخبط فيها الطفل خبط عشواء. فلا عزيمة تدفعه، ولا قوة تسنده.

٥ — قد يكون ضعف الإرادة فى الطفل ناشئا عن خوفه من الاستهزاء به بسبب تأخره عن زملائه . فيجب والحالة هذه أن نزيل أسباب خوفه وأن نشجعه التشجيع الكافى ليقبل على العمل من تلقاء نفسه .

٦ — يجب أن نغرس فى أطفالنا فضيلة ضبط النفس لما لها من الأثر العظيم فى تقوية الإرادة .

٧ — يجب أن نستهوى الطفل إلى حسن الظن بقدرته والوثوق بنفسه . فهذا يساعد على تقوية إرادته .

بهذه الوسائل نستطيع أن ننتقل بالطفل من عالم التردد إلى عالم الإقدام والعزيمة الصادقة .

المثل الأعلى

إن القدوة الحسنة من أهم العوامل التى تبث الأخلاق الصالحة فى الأطفال، لأنها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير، وتمثل لهم معنى الحياة السامية.

فالتهذيب بوساطة المثل الصالح يأتى عن طريق الخبرة. وتنتقل الأخلاق مجسمة فى مجراها الفعلى فتدعو نشاط الأطفال إلى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة.

والطفل عندما يبلغ شأوا من النمو، يوجه غايته إلى محاكاة أفراد ممن يعاشرونه فى بيئته، ويتأثر بأعمال من يعجب بهم من الأشخاص الذين تدور حولهم القصص التى تلقى عليه. فيتجه مسلكه نحوهم، ويتخذهم أنموذجا لنفسه يسعى لإرضائهم والعمل على ضوء مبادئهم وأفكارهم.

والمُثُل التى تمثل أمام الطفل تتبدل دلالتها فى أطوار نموه المختلفة حسب تغير وجهة نظره إلى الحياة وتحور ظروفه، وتبعا لعلاقاته التى يكونها مع الناس حتى سن المراهقة حين تتحدد غايته من العيش، فيدأب على تحقيق ماتصبو إليه نفسه.

والإنسان دائما يطمح إلى الكمال؛ والبشرية بأجمعها أبدا تنشد السمو؛ والمثل الأعلى ماثل على الدوام نصب عين المجتمع، يضىء له سبل الرقى فيجد للوصول إلى أعلى مستواه.

عوامل تكوين المثل العليا للأطفال

طالما كان المثل الذى نضعه أمام الطفل طيبا كان السلوك الذى يوحيه

طيبا أيضا ، وكانت الأخلاق المبنية عليه قويمة . ولقد يسيء الطفل اختيار أبطاله فينتقيهم من بين أصحاب الجاه أو الشهرة الباطلة ، أو ممن لا يوافقون ظروفه الخاصة وشخصيته ، فينحرف عن حذو الصواب ، وتسوء أخلاقه بمحاكاتهم . لهذا فالعناية واجبة بإحاطة الطفل بالنماذج المثلى لقواعد السلوك ، ومراقبة ما يقع تحت بصره من الأعمال والأفعال .

ولكي نقوده إلى المثل السوى فى الحياة العامة يجب مراعاة ما يأتى :

١) اتصاف كل من يحيطون به من ذويه ورفاقه ومربيه بالسجايا الفاضلة التى نود أن يتمثل بها وأن يحاكيها فى حركاته وسكناته وأفعاله المختلفة حتى يكون لها الأثر التهذيبى المطلوب .

٢) تصوير أبطال من عالم الحقيقة أو خلق الخيال ومن أمثل رجال العصر البارزين أو أشخاص التاريخ والإصلاح والاستكشاف والأدب ، وتحبيب الطفل فيهم وإثارة اهتمامه بهم واحترامه لهم ، فيتخذهم مصدراً لإلهام الخير ووحى الفضيلة . وأكثر ما يؤثر فى الصبية الصغار مثل البسالة والبطولة والشهامة ؛ أما البنات فيعتبرن بالشخصيات التى تشمل عناصر جمال الروح والهدوء والشفقة والتدين وخدمة الخير وعذوبة الطبع وعطف الأمومة .

ولكي تنجلى المثل العليا للطفل أكثر فأكثر ، ويتسع أفقه الأدبى كلما ارتقى فى النمو وازداد فهمه ، يجب تنظيم المؤلفات التى نقرؤها عليه ، أو نهيؤها له ليطالعها بنفسه إذا ما تعلم القراءة ، من كتب ومجلات دورية وصحائف منوعة ، فيها القصص والأساطير والتراجم وسير قادة البشر بحيث تكون فى مستوى تفكيره ، وموضحة بأسلوب طريف يستهويه إلى تتبعها بشغف ، وإلى محاكاة طرق جهاد هؤلاء الأبطال فى سبيل الفضيلة ، وتغلبهم على القسوة والظلم ، وخطتهم فى إصلاح الشر الذى بينهم .

نشأة الشعور الديني وأثره

لا يمكن أن ينجح الإنسان حقا فى دنياه إلا إذا كان لأخلاقه عماد من الشعور الدينى . والدين لا يظفر به المرء بعقله ، وإنما يظفر به بوجدانه ونية قلبه . فالوازع الدينى يستيقظ فى طوية النفس ، وعنه تنبعث عقيدة الفرد وإيمانه بالخالق عز وجل . وهذه العقيدة وذلك الإيمان يبقيان فى الحياة شعلة من النور لهداية صاحبهما إلى السلوك بأسلوب لا نهاية لتساميه .

وطفلنا الصغير ، يولد فى هذا العالم وبنفسه البريئة بذرة الخير الأصلية التى يشع منها ضوء من الروحانية والحساسية بأسرار الوجود وبقوة الله العليا التى تتراءى فى الكون والتى تسجلها شواهد الطبيعة ومعالمها المختلفة . فهو كثيرا مايحيرنا بأسئلته العميقة عمن صنع العالم وأبدع الإنسان والحيوان؟ وأين هو ذلك البارىء العظيم ؟ ولماذا لا نراه بيننا ؟ وما بدء هذه الحياة ؟ ولماذا خلق الله تعالى الشيطان الردىء ؟ وكيف أتت الناس إلى هذه الدنيا ؟ وإلى أين يذهبون بعد الموت ؟ وما إلى ذلك من الاسئلة العويصة التى دعت بعض الباحثين إلى تلقيبه بالفيلسوف الصغير .

وفى مرحلة الطفولة الأولى نجد الصغير مستعدا لقبول معتقداتنا فى قالب مناسب مداركه الأولية . فهو يتناول تفسيراتنا وردودنا عن أسئلته هذه بإيمان وتسليم تام ، دون أن يفهم ما تنطوى عليه أسرارها من حكمة جزيلة ، وإن هذا ليغذى شعوره ويجلى فيه البصيرة الدينية . وهو يخضع لآرائنا بدافع من غريزتى الانقياد والخوف ، وبعامل من الاستهواء والإيحاء ، ولاسيما أنه قليل الخبرة بالحياة يثق بحسن معرفتنا بالأمور ، ويعترف بتفوقنا عليه ، ويدرك أن مقدرة الله تعالى فوق مقدرة البشر ، وتتجاوز حد الخليقة بأجمعها ، فيخضع لها بإجلال وهيبة وخشوع .

وبنموّ عقل الطفل وتدرجه إلى سن المراهقة تقوى فيه نزعة التدين فيصبح ورعه ثابتا بالتعليل والتعقل، وممحصنا بالتمييز والتمحيص. وتقوم عقيدته على أساس مستحكم من الإدراك الكلى لقواعد الدين الحنيف وفروضه القويمة. وهذا طور انقلاب خطير فى حياة الناشىء؛ فإن لم نتناوله بالعناية الشديدة، ونحصنه بسلامة التفكير والإقناع، فقد ينساق من كثرة البحث والنقد، إلى هوة من الإبهام والشك والكفر لا سمح الله.

ونشأة الشعور الدينى تأتى بتأثير القواعد والتعاليم التى فرضتها الكتب المنزلة كمبادىء للحياة الإنسانية العامة. فهذه تبث فى الأطفال محبة الله والإيمان به تعالى، وتريهم سناء قدرته وسمو حكمته فى تشريع الأوامر التى أمرنا باتباعها والنواهى التى أمرنا باجتنابها.

ففى الامتثال لقول الصدق مثلا يكون الفوز فى الحياة. ولذا أمرنا الله تعالى أن نحكم الحق على جميع أعمالنا مهما كلفنا ذلك.

وتعليم القرآن الكريم ودراسة الكتب السماوية يجب أن يكونا فى بادىء الأمر عن طريق القصص التى تتضمن سير الأنبياء والمصلحين ورسالاتهم التى بعثوا بها إلى أقوامهم المختلفة.

وبما أن الطفل فى هذه السن قوى التخيل، كثير النشاط، شديد الاستهواء، ميّال إلى المحاكاة، فيجب أن نهىء له القدوة الطيبة فى جميع حركاتنا وسكناتنا وأقوالنا وأفعالنا حتى نوحى له التقوى فى أثناء قيامنا بالصلاة وإيتاء الزكاة والبر بالغير، وحتى نوحى له الخشوع والروعة فى ذكر كل ما لله عز وجل.

كذلك ينبغى إجابة الطفل عن أسئلته المتعددة بطريقة تناسب عقله وتبين له حكمة الخالق جل وعلا فى جبلة خليقته وسن شرائعه ونواميسه مع البشر.

ومن الحزم ألا نماطله ، ولا نحاول إخفاء الحقائق أو إفساد تفكيره عليه.
فإذا سأل مثلا « من أين أو كيف جاء أخي الوليد ؟ » لا نضلله بإقناعه أن الطبيب أحضره فى حقيبته ، أو أنه وجد ذات صباح فى الحديقة تحت شجيرات الورد ، بل يحسن إفادته بصراحة أن الله تعالى بعثه إلينا كما أرسل أمه وأباه من قبل ، وكما أنه ينبت النبات لنتغذى بثماره ، ويخلق القطيطات لتسلينا بلعبها ، فهو أيضا قد شاء أن يهدى إليه أخاه الجديد ليكون رفيقه فى الحياة .

وإذا شاء الطفل أن يعرف أين كان أخوه المولود قبل خروجه إلى العالم فلنحدثه عن المحبة الوالدية ولنشرح له أن الأم تتعهد أبناءها وتحميهم من الأذى لشدة حبها إياهم ، وأنه من فرط حرصها على أخيه المولود وهو صغير جداً فى بدء تكوينه ، كانت تحمله بالقرب من قلبها محفوظا من كل ضرر .

وقد ينزعج الطفل لموت أحد معارفه ، ويكرر أسئلته المتوالية عن « أين ذهب ؟ » وهنا يحسن أن نذكره بلذة النوم وما يشعر به من راحة عند ما ينهض فى الصباح . فالله لفائق رحمته بالمتعبين والعجزة والمرضى يرقدهم فى ثبات عميق يستيقظون من بعده فى عالم آخر منتعشين ومعافين .

ولكى نقرب إلى ذهن الطفل قدرة الله على كل شىء ، وكلية وجوده فى كل مكان ، فلنصرفه إلى الطبيعة ليمرح فيها ، ويتأمل ظواهرها فتكشف له أثر البارىء فى بدائعها ، وتتعالى بخياله إلى تصور وحدة جلالته الشاملة لجميع المخلوقات .

وما المحرك للأفعال العجيبة البادية أمام ناظريه إلا يد الله المحجوبة عن عينيه وراء كل شىء . فبقدرة الخالق تهب الرياح وتتفتح البراعم وتسطع النجوم ويرخى الظلام سدوله وينبثق الفجر ؛ فهو رب المشرقين ورب المغربين ، مسجى الليل والنهار ، ووازن المواقيت ، وصانع الأنعام والإنسان فى أحسن تقويم .

وعند قيام الطفل ببعض أعمال الزرع والإنبات ، يدرك مبلغ ضعف البشر إزاء قوة الله تعالى ، فبمحض إرادته ينبت الحب بعد بذره ، ويخرج لنا من بطون الأرض شهى الثمار وجميل الأزهار وحدائق غلبا .

يشاهد الطفل كل هذا فيزيد تقديره لعناية الرحمن وعزيز قدرته ، ويهتز أمام عظمته الإلهية إعجابا وروعة ، ويتحدث بما زين به لنا الحياة الدنيا من مسرة وسماح ، ويندفع إلى حمده سبحانه وتعالى على ما نتمتع به من فضل نعمته ؛ ومن ثم تنشأ فيه الرغبة لإقامة الصلاة ، ويتسع قلبه للعطف على قاطبة الخلائق ، فيجانب الإساءة ، وينبذ كل فكرة لاخير فيها لإنسان . وعلى هذا المبنى الصالح يكون الشعور الدينى النزيه الذى ينتهى به المسير فى الحياة إلى الخير الأبقى .

العادات وأهميتها

كيفية تكوين العادات أو التخلص منها

إن السنوات الأولى من حياة الطفل أهم وقت لتعويده مختلف العادات وغرس الصفات الخلقية الحميدة فيه . وذلك لأن قابليته للتعلم تكون على أشدها فى هذه المرحلة ففى سن الطفولة يكون الجهاز العصبى مرنا وذا استعداد للتأثر السريع بجميع المؤثرات التى تصل إليه . وكل عمل أو شعور أو تفكير يأتى به فى هذا الطور من حياته يترك أثراً باقياً فى المادة العصبية ، وبتكرار هذا العمل أو الفكر أو الشعور الواحد ترسخ آثاره فى المخ وتتعمق فيه ، فيصبح عادة يؤديها بسهولة وبدون تفكر أو عناء . وهكذا يدخر من قوة مجهوده ومن زمن حياته ما يستطيع أن يصرفه فى نواحى الترقى الأخرى .

ومن العادات الأولى التى يكونها الإنسان فى طفولته ما كان خاصاً بآداب الأكل والشرب والنوم وأوضاع الجسم وأسلوب المحادثة والتحية والمجاملات العامة والاعتماد على النفس فى تأدية لوازمه الشخصية والمواظبة على النظافة وعناية الهندام والمحافظة على المواعيد وما إلى ذلك من العادات الصحية والأدبية الأخرى .

والطفل فى بادئ نموه يستقبل طول وقته آثارا مختلفة تطبعها فى نفسه بيئته التى يشب فيها . وهذه الآثار سواء أكانت صالحة أم طالحة لابد أن تترك وراءها أثرا فى نفسه فتكون عادات حسنة أو سيئة تبعا لنوعها . فهو يتخلق بالرغم منا ومن نفسه بتلك العادات وليس فى وسع المربى دفع هذا التخلق الذى يعرضه إليه الاستعداد الفطرى ، وإنما فى مقدوره أن يوجه هذا الاستعداد إلى الناحية النافعة ، ويجنبه عن الناحية الضارة ؛ فيراقب الطفل

مراقبة شديدة لشغل أوقاته بأعمال طيبة ، وتزويده بأفكار صالحة لتكوين العادات الحميدة المرغوب فيها .

يتبين لنا إذاً أن تكوين العادة ما هو إلا نتيجة عاملين جوهريين هما الأثر والتكرار ، فكلما كان الأثر الذى ينطبع فى نفس الطفل لعمل ما سارا رغب الطفل فى تكراره . وبهذا التكرار يكون التمرين المستمر الذى يثبت العادة فى نفسه ، فيؤديها على نمط خاص ونظام واحد . ولذا فإننا لا ننجح فى غرس العادات الفضلى فى صغارنا إلا إذا عاملناهم بالرفق والود والتفاهم . وأحجمنا عن التخويف والتهديد والإيذاء الذى يلجئهم إلى الكذب والمخاتلة وغيرهما من الرذائل . كذلك كلما كان أثر الفعل موافقا لميول الطفل وطبائعه زاد مجهوده فى تجريبه حتى يتقنه ، إذ هو يعيد كرته باغتباط ، ويوالى محاولته المرة بعد الأخرى بدون ملل . ومن هنا نشأت علاقة العادات بالغرائز حيث ينشأ كثير منها على أساس أعمال الطفل الغريزية ونزعاته الفطرية . فالعمل الغريزى إذا تكرر بطريقة معينة يتخذ أثرا خاصا فى المخ ، ويتأصل فى الطفل فيصبح عادة وسجية منظمة كالشجاعة أساسها الخوف والمقاتلة ، وكالتعاون أساسه الميل الإنسى وحب الاجتماع ، وكذلك السرقة فإنها ناشئة عن حب التملك والادخار .

ولما كانت العادات فى الأفراد تختلف لتنوع الآثار التى تحدثها ، وجب أن تكون الأعمال التى نقصد تعويد أطفالنا إياها ذات بواعث توافق ميولهم حتى يحققوها بسرور ، ويجدوا لذة فى بذل المجهود للإتيان بها والتدريب عليها . وعلى قدر التدريب والتكرار تكون العادة راسخة فى المرء ومسيطرة عليه .

فلتعويدهم الطاعة والدقة والمثابرة مثلا ، علينا أن نشق أمامهم الطريق بالبواعث السارة التى تجذب ميولهم الشخصية ، فتدفعهم إلى الانقياد إلينا على

الفور بحرية ورغبة ، كأن نعطيهم واجبات فى تنظيم أدواتهم ، ومسئوليات فى المحافظة على إخوتهم الصغار ومساعدتهم وتعهدهم ، لنشعرهم بموقف القيادة ونثير فيهم حب التعاون فيؤدوا كل هذا بحزم وبدقة . وهكذا كلما تقدموا فى النمو وازدادت قواهم العملية أمكننا زيادة نصيبهم من تلك الأعمال، فيناط بهم أداء مهمات خطيرة يقومون بها من غير مراقبة ، وبأكبر مقدار من الدقة .

وليكن تعويد الطفل الاهتمام بنظافته الشخصية وترتيب مواعيده وحسن هندامه مرتبطا بدافع من غريزة حب الظهور وحفظ المكانة بين الأنداد واكتساب احترام الآخرين .

وإذا ألقينا أوامرنا على أطفالنا بأسلوب العطف والرجاء واللطف ، وأحطناها بالعناية بتنظيم الأعمال التى نود منهم تأديتها ، فإنهم يذعنون إلينا فى الحال رغبة فى إرضائنا ، وحباً فى كسب ثقتنا بهم .

وهم بهذه الطريقة يطيعون عن طيب خاطر ، بعكس وسائل النهى والتحكم والاستبداد بميولهم التى قد ترغمهم على الطاعة فعلا ، ولكن بشىء من التبرم وبدون تحمس للواجب ، حتى إذا ما وجدوا فرصة للتقصير فعلوا ذلك من غير وجل . هذا فضلا عما لذلك من نتيجة فى إضعاف إرادة الطفل وإفساد استعداده .

وهناك التنافس الذى يمكن إثارته مع مراعاة الرفق والحكمة لتؤسس عليه الطاعة والدقة والعادات الصحية المختلفة ، فيجتهد الطفل أن يقوم بعمله على طريقة أحسن وأدق وأسرع من الأول . ويجب إزاء هذا التنافس تقدير المجهود الذى يبذله الطفل فيه والحكم عليه بمبلغ تقدمه فى الإتقان لا بالنتيجة الفعلية ، لأن هذا يشجعه على المضى فى التحسين .

أما دقة التنفيذ ودقة التعبير وملاحظة دقائق الأمور فلا يتعودها الطفل

قائمة بذاتها ، بل يجب أن يراعيها فى جميع أعماله . ولجعل العمل الذى نكلف به الطفل شائقاً ، يحسن ان نخلع عليه غرضاً يكسبه لديه قيمة وأهمية ، فيرتاح فى السعى إلى إكماله ، وتوصيله إلى الغاية المقصودة .

وفى الأعمال اليدوية والرسم واللعب التعليمى أكبر فرصة لتعويد الطفل حسن التنفيذ ، ولتحديد غرض أمامه يتوق إلى إظهار مواهبه فى تحقيقه بحذق ودقة .

ولا يفوتنا أن نذكر ما للقصص الملائمة من الأثر فى نفس الطفل لما فيها من جمال المثل الأعلى للطاعة والدقة والنظام والترتيب والنظافة وغير ذلك من الصفات التى تكسو الشخصيات المحبوبة فيها ، فهذه القصص تستهوى الطفل لأن يتشبه بهؤلاء الأشخاص المحبوبين فتكسبه بذلك عظمة وقوة .

أثر العادة فى الخلق

إن تكوين العادات الحسنة من أهم أغراض التربية الخلقية لأن كثيرا من أعمالنا يقوم عليها .

فقول الصدق والأمانة والإخلاص والعفة عادات فاضلة وأساسية فى خلق الإنسان ، كذلك التقاليد الخاصة بمحيط الطفل والعرف السائد فيه : فكل ذلك قائم على العادات أيضا .

والعرف فى البيئة الاجتماعية بمثابة معاهدة خلقية تربط الطفل بغيره من الأفراد ، فيحترم مبادئهم ، ويرسخ فى نفسه أن من كرامة الانتساب اليهم ، الذود عن تقاليدهم ، وعدم الخروج على مبادئها . وإن لهذا فى بناء أخلاقه أثرا كبيرا .

والعادة متى تكونت تصبح آلية غير مصحوبة بكثير من التفكير والوجدان . وهى لا تكفى وحدها لتكوين الخلق القويم ، بل يجب أن تكون

مقرونة بسرعة الخاطر ودقة الشعور وقوة الإرادة . والعادات فى جميع الأحوال يجب ألا تسيطر على المرء أبدا ؛ وإلا فإنها تجمح بصاحبها وتخضع إرادته لنفوذها فلا يستطيع أن يعدلها أو يبدلها ، ولا يمكن أن يسخرها لظروفه المتغيرة . فالإرادة يجب أن تكون فوق العادة حتى يتحكم بها المرء على عاداته القديمة أو السيئة ، فيكيفها حسب مشيئته ، أو ينزعها إن حادت عن قصد السبيل .

التخلص من العادات السيئة

متى لاحظنا عادات سيئة فى أطفالنا يجب ألا نتوانى فى معالجتها ، ولاسيما فى أول تكوينها .

ويكون ذلك بالبحث عن الباعث لها والعمل لإخماده . وبما أن للإرادة الشأن الأول فى التخلص من العادات الرديئة كما سبق التنويه بذلك ، إذ أن الخطوة الأولى فى هذا السبيل هى العزيمة القوية ، فقد يكون الأمر شاقا فى بدايته . ولكن مع ترويض عزم الطفل وتدريبه على الإقلاع عن تلك العادات يسهل عليه إهمالها بالتدريج . وهنا يجب أن يكون تصميمه نهائيا باتا فى نبذها . وعلى المربى ألا يلين مع الطفل قطعيا فى العدول عن عزمه ، أو السماح له بالرجوع إلى عاداته القديمة ، أو الإتيان بأى عمل يناقض ما أبرمه من قبل ؛ لأن ذلك مما يقوض إرادته ويضعفها أمام الباعث الخبيث . ويتحتم دائما تكوين عادات جديدة صالحة فى مكان العادات القديمة ، فنوجد للطفل بواعث مستجدة ، وظروفا صالحة تنسيه العمل القديم وتنوده عنه ، وتغرس فى نفسه ميلا صادقا إلى العمل الطيب ، فينزع إليه حتى يتمكن منه ؛ وهو بذلك يخلع الرداء القديم البالى من العادات ، ويرتدى منها أنفس الثياب وأغلى الديباج .

وبقدر قوة الباعث الجديد ، وميل الطفل إليه ، ومثابرته على التروض على

ما يدفع إليه من أعمال ، يكون تغلبه على العادة القديمة وقهر باعثها ، وسهولة تكوينه عادة أفضل تحل محل العادة القديمة المكروهة .

فالطفل الصغير إذا تعود الخوف من بقائه فى مكان معين من مسكنه مثلا ، نستطيع مساعدته لكى يتغلب على هذه العادة ، ويستبدل بها عادة الإقدام بإبعاد أى باعث مخيف فى هذا المكان ، وإزالة أى شرك أوقعه فى الخوف منه ؛ ثم استدراجه إلى المكان رويدا بترك أشياء من الحلوى أو اللُّعَب التى يميل إليها ويطلبها منا ، فنرسله لأخذها من هناك حتى ينشغل فكره بها عن الآثار المخيفة ، ويندفع إلى المكان وهمه محصور فى الحصول على ضالته . وهكذا يتعود عدم المبالاة بمخاوفه ، وتغرس فيه الثقة بما يحيط به ، ويتعود الشجاعة والإقدام بدل الجبن والإحجام .

وإن المربى الذى يلجأ إلى الضرب والتأنيب والعقاب المؤلم لمحاربة العادات السيئة فى أطفاله ، لا يجنى إلا فساد علاقته بهم ، ونفور عواطفهم منه ، فلا ينسون إساءته إليهم بسهولة . وإن ما يبديه من قسوة ليبقى فى أذهانهم ، ولا تمحى آثاره من نفوسهم ، فيتعودون معاملة غيرهم بمثل ما ألفوا من معاملة ذلك المربى القاسى .

ومن أين يأتى لأمثال هؤلاء الأطفال بواعث رقة الطبع والصبر ولين الجانب والعطف إذا لم يرأف بهم آباؤهم حين تزل أقدامهم ، ويخطئ الأمور تقديرهم ، وأولى ثم أولى لهؤلاء الآباء أن يمارسوا هناءة أطفالهم بحزم نافذ وبصيرة نقادة ليكملوا النقص ، ويرتقوا الفتق ، ويرأبوا الصدع . غير أن هناك مواقف يكون فيها العقاب دافعاً للطفل لأن يضاعف مجهوداته للتخلص من عاداته الرديئة . فإذا كان دائم الميل إلى لمس علب الكبريت مثلا ونهته أمه عن ذلك وجب أن يكون النهى بلطف أولا ، مبنياً على أسباب يفهمها الطفل ، مع إمداده بلعبة أو كتاب أو بشىء نافع يقوم مقام علبة الكبريت .



سوء التعود

فإذا لم يصغ الطفل لقولها ، فلتكرر نهيه بالشدة التى يخالطها العطف ، ثم تتركه وشأنه حتى يثوب من نفسه إلى طاعتها ، لأنها إن واصلت النهى فقد تفتر قيمته أو يؤدى بالطفل إلى العناد . فإن فشلت ولم يرتدع ، فلتلج العقاب . وهنا يجب أن تحذر الأم اتخاذ العقاب لذاته ، بل يجدر أن تفهم أنه ليس إلا وسيلة لتقوية عزيمة الطفل وتعويده عدم التهاون فى إرضائها . ويكون العقاب بحرمانه من أشياء كمالية فى حياته ، أو بإهماله إلى حين على شرط ألا يسوق ذلك إلى الضرر بصحته أو فقد رجائه من التحسن . يجب أن يؤدى العقاب إذن إلى الإصلاح والنفع ، وأن يتلو الخطأ مباشرة بعد وقوعه ، حتى يستأصله فى حينه . ومن الخطأ أن يساوم المربى طفله على الطاعة بشىء من المال أو المكافآت المادية الأخرى ، لأن هذا ينشئه على المطامع الباطلة . ولكن كما أن النجاح يعقب الجد والعمل ، كذلك يمكن استخدام الثواب نتيجة حسنة للعادات الفاضلة . وهنا تفضل أنواع الثواب التى تمكن الطفل من التمتع بمزايا معينة كالتنويه بمسلكه بالإعجاب والثناء ، وخصه بقبلة أو ابتسامة أو بإسباغ لقب محبوب عليه . وينبغى الحذر فى توقيع العقاب أو الثواب فلا نشعر الأطفال بالجور أو التحيز أو المحاباة . فقد يتبادر إلى ذهن طفل مثلا أن أمه تحب أخاه أكثر منه فتنيله ثواباً أعظم ، أو أنها تعاقبه لأنها تمقته ولا تميل إليه ، فتتولد فى قلبه البغضاء ، ويشتق بذلك الغراس الخبيث .

هذا ويجب أن يكون العقاب أو الثواب متفقاً ونفسية الطفل حسب إحساسه وميوله ، ومجانساً للغرض الذى وُقّع من أجله حتى تتحقق أغراضه ، كما ينبغى أن يقتنع الطفل بعدالته .

الانفعالات والعواطف وتهذيبها

الانفعال هو حالة من الشعور الفطرى تلم بالنفس ، ومثله الخوف أو الغضب أو السرور . وهو فى أبسط أنواعه مرتبط بالغرائز المختلفة ، إذ أنه ينتج عن الباعث الإدراكى لها ، ويسبق الرغبة فى العمل الصادر عن الغريزة؛ بل إنه المظهر الثابت لها والمميز بين بعضها عن بعض . فالخوف والعجب مثلا يميزان بين غريزتى الهرب وحب الاستطلاع .

وللانفعالات أثر ظاهر فى سلوك الإنسان وتصرفاته ، إذ أنها عند ماتعترى شخصا ما ، تولد فيه قوة محركة عظيمة، ونشاطا دافعا للعمل بطريقة معينة حسب الغريزة الخاصة بها . فالمرء إذا خاف غامر فى الإقدام على الهرب من المؤثرات المخيفة بالقفز لعلو مرتفع ، أو الجرى بسرعة مدهشة لايستطيعها لو كان فى حالة هدوء واطمئنان . وعلى العكس من ذلك قد يشل الانفعال صاحبه فيعجز عن بذل أى مجهود جسمى أوعقلى . فالخائف مثلا قد يجمد فى مكانه لاحراك به ،وقد تقف ذاكرته ، ويقعده تفكيره عن التصرف لتلافى الخطر الذى يحدق به . كذلك الحياء متى استولى على إنسان جعله ينكمش فى وحدة منعزلا عن غيره من الناس .

ولجميع الانفعالات أعراض خاصة تنم عنها فى المنفعل . فالغضبان يخفق قلبه ، ويحمر وجهه ، وقد ترتعد فرائصه ، ويندفع إلى العمل بدون روية أومبالاة . ويستمر الانفعال مابقى الباعث الذى أثاره ، فإذا مازال الباعث، زال فى الغالب الانفعال . وإن كان الانفعال عنيفا فإنه يضر بأعصاب المرء ويزعجها ، وينهك جسمه ويرهق عقله . ولذا فلا يؤمن جانبه فى حسن التمييز وموازنة الأمور. فمتى كان الإنسان مسخرا بقوة انفعاله فإنه لايستطيع إصالة الرأى وصواب التعليل والتفكير . وقد تشتد قوة الانفعال فى نفسه ، فتخرجه

عن حد الاعتدال فى مسلكه ، ويبنى تصرفاته على غير فطنة أو سبب معقول . وليس ذلك فحسب ، بل قد يدفع الانفعال الإنسان إلى ناحية الشر فى العمل ويسلبه نزعة الخير . فالزهو مثلا قد يؤدى الى الغرور والخيلاء ؛ والغضب قد يسبب القسوة ويسوق إلى الهجو والسب . لهذا كان تهذيب الانفعالات من أول العوامل لتكوين الخلق القويم ورفع المستوى الأدبى لأعمال الإنسان . ويرمى تهذيب الانفعالات إلى الأغراض الآتية : —

(١) تحويلها إلى دوافع أساسية تحفز إلى الأعمال الصالحة وتعمل لتكوين العادات الحسنة والصفات الفاضلة . فالغضب مثلا يمكن تحويله إلى الثورة من أجل الحق ؛ والعجب قد يشجع على حسن الاهتمام بشئون غيرنا من الناس ؛ والخوف قد يؤدى إلى رهبة الخالق وإجلاله عز وجل .

(٢) ضبط جماحها وتخفيف حدتها حتى تسيطر الإرادة والتفكير عليها . فمتى كان الإنسان أكثر تحكما فى انفعالاته ومشاعره ، قامت تصرفاته على أساس من الحكمة والتبصر . فالغضب مثلا يجب ألاّ يتسع مداه إلى درجة العنف فى المغالبة والتطرف فى الدفاع عن النفس ، بل ينبغى إيقافه عند حد التفاهم على إقساط الحقوق بالعدل بيننا وبين معاشرينا .

(٣) تنظيمها لتكوين العواطف السامية النبيلة ، ويشمل هذا التنظيم توثيق علاقاتها بعضها ببعض ، وتوجيه نشاطها حول مدار معين للجهاد الخلقى ؛ وهذه هى الغاية العليا لتهذيب الانفعالات . فهى متى تحولت إلى عواطف أصبحت قوى فعالة للخير ، ونبعا لأعمال المروءة وحسن الصنيعة ؛ فالشفقة مثلا تثيرها محبة الحيوان والأطفال ، والخوف عليهم من إصابتهم بأذى ، والدفاع عن سلامتهم ، والغبطة بتعهدهم وتغذيتهم وإراحتهم وإبداء مظاهر الحنو عليهم ، وتهدئة خواطرهم ، والتأنى معهم ، واحتمال ضعفهم ، والتسامح فى غلطاتهم .

ومن ثم يمكننا أن نعرف العاطفة : فهى جملة انفعالات متجمعة حول موضوع واحد . وتنشأ فى نفس الطفل بعد تقدمه فى النمو ، إذ يكتسبها عن طريق الخبرة والتبصر . وأثرها رابض فى ذهنه غير زائغ ، وهى على أنواع منها عواطف المحبة وعواطف الكراهة .

ويثار فى دائرة عواطف المحبة ، الفرح أو الجذل ، والشعور بجمال الشىء المحبوب ، ومشاركته فى الوجدان والحنو عليه ، وحب الظهور به ، والعتاب كأن تلوم الأم طفلها الذى تحبه عند غضبها عليه لقسوته على الحيوان مثلا والجزع وهو شعور الحنو ممزوجاً بالخوف على الشىء المحبوب ، والشوق وهو الود المقترن بالألم ، والغيرة وهى حب التملك والحنو والغضب معاً .

أما عواطف الكراهة فيثار فى دائرتها الغل أو الاستياء وهو ينشأ من تجمع الغضب والسيطرة ، والحسد ويتكون من الخضوع وحب التملك والغضب.

ويمكن أن نذكر علاوة على النوعين السابقين للعاطفة نوعا آخر يطلق عليه عاطفة اعتبار الذات ، وهى تتكون من تفاعل انفعالى الزهو والخنوع. وتظهر فى احترام الإنسان لنفسه ، أو شعوره بالكبرياء والغرور ، أو الاستكانة والذلة .

وتتنوع العواطف أيضا حسب محور انفعالها والموضوع الذى نوجهه نحوه ، فهى حسية إذا كانت متعلقة بأشياء محسة كاللعب والطيور والرفاق والإخوة ، والوالدين والدمى والقطيطات الصغيرة .

وهى معنوية إن كانت تدور حول معنى مجرد ، كعاطفة حب الصدق كعاطفة بغض والكذب .

وعواطف الطفل تكون أول نشأتها حسية ومتعلقة بذاته وحاجاته الشخصية ؛ فهو يتعلق بمرضعه وبالأشخاص الذين يلاعبونه أو يرافقونه عند التنزه . ثم إنها بعد ذلك ترقى وتصبح بالتدريج عواطف معنوية اجتماعية ،



الرفق بالحيوان

فتأخذه الحمية للأسرة والمجتمع والجنس البشرى بأجمعه . وعندما تتعدى العواطف دورها المحسوس ، تتجه نحو المثل العليا للصفات الخلقية الفاضلة كحب الشهامة والإيثار والشرف ، وكراهة الكيد والحقد والغل .

والمرمى الذى نقصد إليه من تهذيب العواطف ، هو الوصول بها إلى هذا النوع المعنوى الاجتماعى ، الذى تتغلب فيه نزعات الحب على نزوات البغض . لأن عواطف المحبة أكثر إفادة وأسرع إجداءً من عواطف الكراهة فى السلوك العام . فمتى أحببنا الخير ازدادت فينا الحماسة لتحقيقه ، والرغبة لتنفيذه فى حياتنا العامة . أما كراهة الشر فليست إلا مبدأ نقرره حتى يصرفنا عنه ويدعونا إلى مجانبته فى أعمالنا المختلفة . وقلما تدفعنا تلك الكراهة المجردة إلى المساهمة فى سبيل النفع والمصلحة العامة .

والعواطف أن لم نصرّفها فى نواحى الجهاد والعمل المفيد ، بقيت مشاعر قوية تجيش فى الصدر ، ولكنها لا تثمر فى الإنتاج الخلقى والإصلاح المأمول ، فالفرد منا قد يكون دقيق الحس فياضا بالعواطف الشريفة ، ولكنه متى واجه مجال البر والإحسان تهيّبه ، وقعد عن التعلق بمبادئه وممارستها ، وفاته العمل بها والإقامة على بواعثها الطيبة . ولذلك وجب أن تكون تربية العواطف بالعلم المقترن بالعمل حتى يرسخ أثرها فتصبح مبادىء ثابتة وقواعد صالحة لمسلك الإنسان . وهى كالعادة كلما تكررت بواعثها وكانت سارة مفرحة للنفس ، تمكنت منها ، وتغلبت على التفكير والإرادة . فالسعادة والسرور يبعثان فى الطفل العناية بقطته الصغيرة وإسداء عطفه عليها . ويشجعه الثناء على مداومة الاهتمام بالحيوان الأعجم الضعيف .

وأيضا كلما قويت وجدانية الفرد وحساسيته الطبيعية، سهل تكوين عواطفه وتهذيبها . فالأطفال وجدانيون بفطرتهم لتمكن الغرائز من نفوسهم وتغلبها على قوتى الفكر والإرادة . ولذلك كان من السهل أن نسير بانفعالاتهم

ومظاهر الوجدان فيهم ، فنتخذها أساسا لتكوين العواطف وتنمية الخلق .
ومن العوامل التى تساعدنا على هذا ، تزويد الأطفال بالعناصر الصالحة حتى تكون مدارا لعواطفهم المختلفة ، ويكون ذلك بإلقاء القصص التى تطلعهم على طبيعة بلادهم وعلاقتها ببلاد العالم الآخرى ، وعن سكان الأقطار المختلفة وتاريخ الشعوب ونشأتها وأساطيرها وحياة جهابذة الرجال وجهود البشرية بأكملها فى سبيل تعميم الخير والقضاء على عناصر الشر فى العالم — ليأخذوا بأخذهم ، فيبذلوا أنفسهم فى تحسين حال مواطنيهم ، وإسعاد البائسين ، وكف حاجة المعوزين ومؤاساتهم . ومن الممكن حصانة المعلومات التى يلتقطونها من القصص بمرافقتهم لنا فى زيارة المعاهد الخيرية والملاجىء ومؤسسات رعاية الفقراء ، وفى رحلات أخرى متنوّعة ، تقفهم على مناظر واقعية من حياة الوطن وتاريخه وأحواله الاجتماعية ، لنجعل مراكز عواطفهم من نحوه ملموسة ، فتكون أفعل فى نفوسهم لإثارة الرحمة والاحترام والإعجاب وتكوين عواطف الوطنية والإنسانية وحب الخير العام .

ومن القصص ما تمثل العواطف تمثيلا يناسب عقول الأطفال ويظهر عواقب أعمالها فى صور مشوّقة تبين سعادة النفوس ذات العواطف الطيبة ، وشقاء النفوس ذات العواطف الشريرة ، فتجعلهم يريدون الأولى ويهوونها ، ويمقتون الثانية وينفرون منها .

وإذا عنينا بتجميل البيئة التى يعيش فيها الطفل ، لتبهج مشاعره وتبعث فى نفسه الانشراح والسرور ، فإننا ننعش فيه عاطفة حب الجمال .

فالبيئة المكانية بما فيها من مناظر جميلة وأشكال وألوان وشذى أريج ، تتسلط على وجدانه وتهذبه . وعندما يشاهد الطفل معيشة الكائنات ، ويلاحظ ملاءمة تركيبها للوظائف التى تؤديها فى حياتها ، فإنه ينظر إليها بعين رءوفة فيعجب بها ويحنو عليها ، وتستلب قلبه وعنايته ، ثم تطبع فى نفسه صورة جميلة

لتوافق مظاهر الطبيعة ، فيأخذه العطف على بناتها من أزهار وطيور وأشجار كان يقتطفها من قبل ويتلفها ويعاملها بقسوة بدافع من غريزة الهدم والتخريب ؛ إذ يسبيه العطف على كل ذلك ، فيضن به أن يتلف أو يعامل بقسوة .

وإنه ليشعر بلذة الفن الجميل أيضا فى ترتيب مسكنه المهيا لمعيشته مع أسرته . وحينما ينعم النظر فى تنسيق مشاهد هذا العالم ، ويرى فصائل النبات وقطعان الحيوان راتعة معه فى الحياة جنباً لجنب ، وحينما يتأمل كيف يتغلب بعضها على بعض ، وكيف يتغلب الإنسان عليها جميعاً يستطيع أن يدرك أعمال البشر وقدرتهم على إصلاح أحوالهم وتحسين معيشتهم فى الأرض ، فتنمو فيه روح الأخوة وحب التعاون . وهذا الروح يقوده إلى مسلك من الحكمة البليغة فى مساعدة غيره من الناس وإلى حسن التمييز بين النافع والضار من الأعمال.

وإذا ربطنا عواطف الأطفال بالانفعالات النفسية المفرحة التى يثيرها النغم الموسيقى وألحان الأناشيد والأغانى وإلقاء منتخبات النظم المشير إلى جمال الطبيعة وحياة البشر والتاريخ القومى ، فإن ذلك يقوى حماسته ويخصب وجدانه .

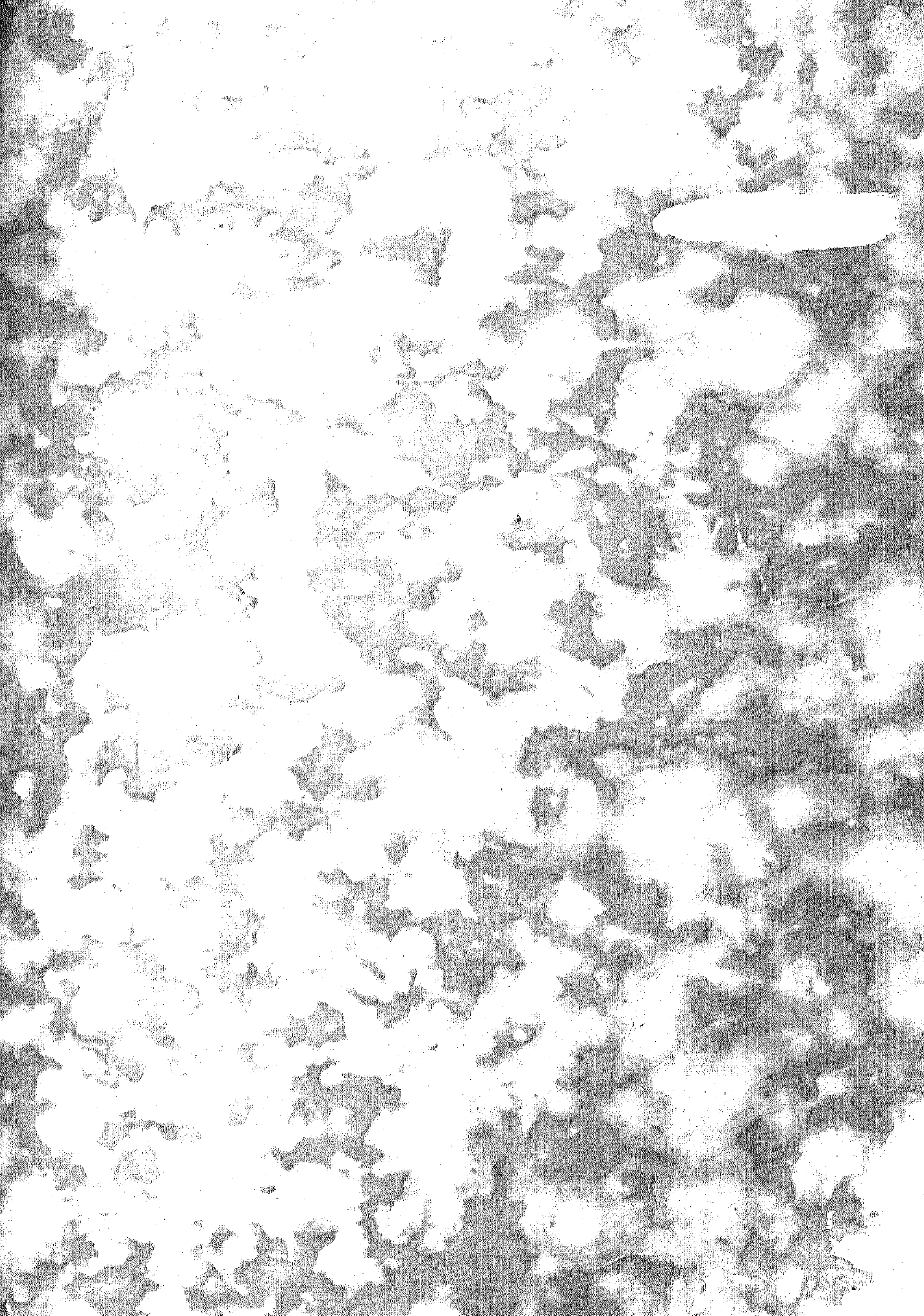
كذلك إذا أمتعنا بصره بمختلف الصور والألوان المنسجمة ، وإذا روحنا عن نفسه بالأنوار الهادئة الجميلة فإن ذلك كله يصور له المعانى تصويراً يوفق بين مشاعره ، ويبعث فيه الطمأنينة والسعادة والهدوء .

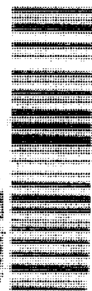
ولا يخفى ما للألوان من تأثير على انفعالات الإنسان . فإذا كانت براقة خاطفة أو متنافرة فإنها تهيجه وتقلق شعوره . أما اللون الرائق البهى فإنه يشعره بالسعادة والحبور والصفاء .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





Bibliotheca Alexandrina
0213109